

T
179A

" THESIS RELEASE FORM "

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

I, Jamal Sirhan

do not authorise the American University of
Beirut to supply copies of my thesis to li-
braries or individuals.

~~HS~~

Signature

18.7.78

Date

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

The Boon-Companionship in the Arab World until the 4rth C. A.H.
المسامرة والمناذمة عند العرب حتى القرن الرابع الهجرى

By

Mr. Jamal Sirhan

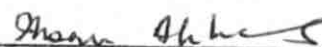
(Name of Student)

Approved:


Prof. Muhammad Najm


Advisor

Prof. Ihsan Abbas


Member of Committee

Prof. Fuad Tarazi


Member of Committee

Member of Committee

Date of Thesis Presentation: 29/6/1978

المسامرة والمنادمة عند العرب

حتى

القرن الرابع الهجري

The Boon-Companionship in The Arab World

Until

The Fourth Century A.H.

إعداد

جمال محمد سرحان

رسالة مقدمة إلى دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى

في الجامعة الأميركية في بيروت

لنييل درجة أستاذ في الآداب

حزيران ١٩٧٨

المسامرة والمنادمة عند العرب

حتى

القرن الرابع الهجري

جمال محمد سرحان

* * * * *

- تمہیں -

احتلت أخبار الجلساء والندماء جزءاً من كتب التراث، ولكن بقيت شخصياتها الجليس والنديم دون حد واضح يرسم صورة تبرز مفهوم هاتين الشخصيتين، إذ أن المصادر عندما تحدثت عن ذلك لم تعن بكشف الفروق القائمة بينهما، وهذا ما حدا بي إلى محاولة الإسهام في إزالة ما يكتنفهما من لبس وظلال، ففقت بوضع كل من النديم والجليس ضمن إطار محدد واضح حيث أبرزت الخطوط والألوان التي تضافرت على إخراج صورتين لهما عليهما توكوان أقرب إلى المفهوم الصحيح لكل منهما .

وقد يتبادر إلى الذهن أن مجالس المسامرات والمنادمات كانت مخصصة للعبث واللهو ومعاقرة الخمر، ولكن، وبعد عرض تاريخي استطاع الدارس أن يزيل ذلك عندما تناول المجالس المختلفة في بلاط ذوي السلطان فوجد أن جانباً من تلك المجالس كان مخصصاً لإنشاد الشعر أو المناظرات العلمية، أو الأحاديث الدينية أو الدنيوية، هذا بالإضافة إلى جانب آخر عني بالغناء والعبث والمجون .

وطبيعي أن يصادف المرء أثناء البحث عقبات مختلفة لعل أبرزها تمثل في ندرة ما وصل من كتب أفردت للحديث عن خلطاء ذوي السلطان، وأرخت لمجالس المسامرات والمنادمات، وإذا ما علمنا أن كتاب "أدب النديم" هو الأثر الوحيد الذي تحدثت عن ذلك، وأن كتاب "الموشى" تحدثت عن الظرف والظرفاء، فإن بقية

الكتب التي ذكرها الفهرست ووفيات الأعيان ومعجم الأدباء ، وقد بلغت ثلاثين كتابا ، لم تصل إلينا ، ولهذا كان لا بدّ من البحث في كتب التراث جمعا للأخبار التي تناثرت في ثناياها .

وقد اعتمدت العرض التاريخي لأنه يعين على ربط الحلقات الحضارية ، ويكشف إلى أي مدى تسربت المؤثرات وتبدلت ، وقد أسهم ذلك في إبراز العادات الدخيلة - وكان معظمها فارسيًا - التي سيطرت أو كادت على البلاط في العصر العباسي .

- المقدمة -

عنيت كتب التراث من أدبية وتاريخية وكتب تراجم بالندما والجلساء وأخبارهم، وبرزت المنادات والمجالسات منذ القدم باعتبارها أحد المظاهر الحضارية في بلاطات الملوك وغيرهم من أصحاب السلطان . وغدا النديم أو الجليس شخصية ذات مكانة في حاشية ذوي السلطان بحيث استطاع، وخصوصا في العصر العباسي، أن يكون إحدى الشخصيات الرئيسة في الحاشية . ومن أفضل ما يصور التنافس بين أفراد الحاشية ويوضح مكانة النديم الحوار التالي بين كاتب ونديم ، فقد : "فاخر كاتب نديما ، فقال الكاتب : "أنا معونة وأنت مؤونة ، وأنا للجد وأنت للمهزل ، وأنا للشدة وأنت للذة ، وأنا للحرب وأنت للسلم" ، فقال النديم : "أنا للنعمة وأنت للخدمة ، وأنا للحضرة وأنت للمهنة ، تقوم وأنا جالس ، وتحتشم وأنا مؤانس ، تدأب لراحتي ، وتشقى لسعادتي ، فأنا شريك وأنت معين ، كما أنك تابع وأنا قرين" (١) .

وقد تحولت المنادات والمجالسات إلى جزء من الحياة اليومية عند بعض أصحاب السلطان ، وخصوصا في الدولة العباسية التي أسهم التقدم الحضاري الذي شهدته في انتشار حياة البذخ والترف في القصور . ولكن آثار المنادات

١- زهر الآداب ٢ : ١٠٠٩ - ١٠١٠ .

لم تقتصر على البلاط بل تعدته إلى الناس فسيطرت على تصرفاتهم وتركت آثارها على عقليتهم وتفكيرهم بحيث نرى أن بعضهم لجأ في سنة (٣٧٧هـ) إلى تسمية : " ولده مدا ما وكناه أبا الندامي ، وسمى ابنته الراح وكناها أم الأفراح ، وسمى عبده الشراب وكناه أبا الإطراب ، وسمى وليدته القهوة وكناها أم النشوة" (١) .

وتركت المنادات أيضا آثارها على المصنفين ، وشهرة الندما جعلتهم يثبتون صفة " النديم " لمن يترجمون له أو يتحدثون عنه من الندما كما فعل أبو الفرج الأصفهاني في " الاغانى " ، والمسعودي في " مروج الذهب " والبيهقي في " المحاسن والمساوي " ، وياقوت الحموي في " معجم الأدبا " ، والنويري في " نهاية الأرب " ، وغيرهم من المؤلفين . كما أصبحت الكتب تُؤلف لتكون رفيقا لجلس السلطان وعونا له على مجالسته ككتاب " الفخري في الآداب السلطانية " (٢) .

وفي بحث هذا الموضوع قسمته ثلاثة فصول ، تناولت في الفصل الأول مفهوم النديم عند المؤلفين وكيف خلطوا بينه وبين الجليس ، وهذا ما جعلني أتحدث

١- مطالع البدور ١ : ١٣٩ .

٢- أنظر الفخري في الآداب السلطانية : ٨ ، حيث جاء أن : " من ينصب نفسه لمفاوضة الملوك ومجالستهم ومذاكرتهم يحتاج الى أكثر ما في هذا الكتاب ، فعلى أقل الأقسام لا يسعه تركه " .

عن الجلساء والندماء بعد توضيح الفرق بينهما ، ودفعني ذلك إلى استعمال
لفظة النديم لتعني رفيق الشراب والمؤانسة ، ولفظة الجليس لتشير إلى المحدث .
كما تحدثت عن مفهوم النديم عند الفرس والعرب وأوضحت تطور هذا المفهوم ،
وعن تاريخ المناديات عند الفرس الذين يعتبرون أقدم الأمم التي روي عنها
ذلك . ثم أوردت لمحة موجزة عن مناديات اليونانيين والرومانيين والبيزنطيين .
ثم تحدثت عن النديم عند العرب منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية حكم
المتقي لله سنة ٣٢٣ هـ .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن صفات الندماء وموهلاتهم وآدابهم وتصرفاتهم .

وفي الفصل الثالث أبرزت دور النديم الترفيهي ، كما تحدثت عن دور الجليس

الواعظ .

وختمت البحث بثلاثة ملاحق ، ضم الأول منها تراجم مشاهير الجلساء والندماء

عند الأمويين والعباسيين ، وبحث الثاني في أثر المجالسات والمناديات على الحركة

الأدبية ، وتناول الأخير عرضاً لكتاب " أدب النديم " .

- الفصل الأول -

- مفهوم النديم

- تاريخ العنادمات

الفصل الأول

مفهوم النديم

أ - عند المؤلفين :

"النديم هو الشريب الذي ينادم جليسه ، وهو ندمانه أيضا ، وندام الرجل منادمة جالسه على الشراب"^(١) . وهكذا فإنه يجتمع رجلان يتبادلان الشراب هما النديمان ، اللذان يكونان مجلس الندام^(٢) . ويفهم من هذا الحد للنديم أن دوره مقصور على معاقرة الشراب ، ولكننا نرى له دورا آخر يضاف لما يظهر من هذا التعريف ، لأنه ليس للخمر التي يتبادلها الندماء سوى تأثيرها على الشاربين من حيث إتشاؤهم وتخفيفهم لتقبل الأَس والبهجة اللذين يعود الفضل فيهما إلى الندماء لا الشراب .

١- اللسان : مادة ندم .

٢- تعددت الآراء حول عدد الجلساء أو الندماء الذين يؤلفون مجلسا ، وقد كره المجلس الذي يقتصر على اثنين ، واعتبره اسحق الموصلي "هما" . أنظر نهاية الأرب ٤ : ١٤٩ ، وقطب السرور ص ٢١١ ، وسمي هذا المجلس لكراهته "منشارا" ، أنظر قطب السرور ص ٣٠٨ ، وأدب النديم ص ٢٨ ، وهناك أقوال متعددة تفضل المجالس التي تضم ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة أو ستة ، مع أن بعضهم نفر من المجلس الذي يضم أكثر من خمسة جلساء . انظر قطب السرور ص ٢١١ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، وأدب النديم ص ١٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ١٤٩ .

وإذا عدنا إلى تعريف النديم نرى أن كلمة "جليس" جاءت مفسرة له ،
كما أن كلمة "نادم" استعملت مرادفة لكلمة "جالس" . والترادف بين هذه
الألفاظ يشير إلى طبقتين من الأصحاب والخلطاء ، هما : الجلساء والندماء .
وقد رسم لكل منهما دور يختلف عن دور الآخر . فإذا كان النديم شرباء
فإنه ليس من الضروري أن يكون الجليس كذلك ، أي أن كل نديم جليس ،
ولكن ليس كل جليس نديماً . ولاشتراك النديم والجليس في صفة الذين
يتقربون منهم من ذوي السلطان وغيرهم ، ولتشابه بعض ما يقومون به ، خلط
المؤلفون بينهما وتحدثوا عن الجلساء وهم يقصدون الندماء ، وتحدثوا عن
الندماء وهم يقصدون الجلساء ، أو أنهم تحدثوا عن كليهما مستعملين هذه
الكلمة أو تلك . فالشعبي^(١) (ت ١٠٣ هـ) كان جليس عبد الملك بن مروان
(٦٥ هـ - ٨٦ هـ) ومحدثه ويوصف بأنه نديمه ، مع أنه لم يعاقر الشراب^(٢)

١- أنظر ترجمته في الملحق الأول .

٢- أنظر : مروج الذهب ومعادن الجوهر ٣ : ١٠٠ ، ووفيات الأعيان ٣ : ١٣ - ١٤ ،
وراجع كنز الحفاظ في "كتاب تهذيب الألفاظ" ص ٢٢٣ حيث ورد "وقد يكون
النديم الصاحب والمجالس على غير شراب" .

كما أن أبا بكر الصولي^(١) (ت ٣٣٥ هـ) يتحدث في مواضع كثيرة من كتاب
"الأوراق" قسم أخبار الرازي بالله (٣٢٢ هـ - ٣٢٩ هـ) والمتقي لله (٣٢٩ هـ -
٣٣٣ هـ) عن الندما^(٢) ويصفهم بالجلساء^(٣) . وقد خصص كشاجم^(٤) (ت ٣٦٠ هـ)
كتاب "أدب النديم" للحديث عن الجلساء والندما^(٥) . وقد أسهم في خلق
الالتباس بين النديم والجلساء أن بعض الجلساء كانوا يشاركون خلطاءهم
الشراب . وإذا اعتبرنا أن ما بين أيدينا من مصنفات قد كتبت في العصر
العباسي ، وهي فترة شهدت جلساء ندما^(٦) ، استطعنا تحليل ذلك .

ب- عند الفرس والعرب:

كان النديم عند الفرس يتميز بصفات خاصة ترفعه عن طبقة العامة^(٧) فإن

- ١- أنظر ترجمته في الملحق الأول .
- ٢- أخبار الرازي بالله والمتقي لله : أنظر مثلا ص : ٤٧ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ١٠٢ ، ١٢٩ ، ١٥٠ .
- ٣- أنظر ترجمته في الملحق الثالث .
- ٤- راجع "التاج في أخلاق الملوك" المنسوب للجاحظ ، ص ٢٣ - ٢٤ ، حيث وضع الندما^(٨)
في الطبقة الثانية التي تقربت من الملوك ، وراجع مروج الذهب : ١ ، ٢٤٤ ، حيث وضعوا
في الطبقة الأولى التي ضمت الأساورة وأبناء الملوك . ولعل الذي دفع المسعودي الى
تصنيفهم في أرقى طبقة من طبقات المقربين هو تقدم مركز النديم في أيامه وبروزه كأهم
شخصية في البلاط بعد الملك .

ملوكهم لم يقرؤا خسيس الأصل ، ولا وضع القدر ، ولا ناقص الجوارح ، ولا فاحش
الطول ولا القصر ، ولا ابن صانع ذي صناعة وضيعة كابن حائك أو حجام •
وكان أردشير (٣٧٩ - ٣٨٣ م) يقول : " ما شيء أضر على نفس الملك من معاشرة
سخيف أو مخاطبة وضع ، لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأديب
الحسيب ، كذلك تفسد بمعاشرة الدنيء الخسيس ، حتى يقدر ذلك فيها
ويزيلها عن فضيلتها • وكما أن الريح إذا مرّت بطيب حملت طيباً تحيا به
النفس وتقوى به جوارحها ، كذلك إذا مرّت بالنتن فحملته ألقت له النفس وأضرّت
بأعلاقتها إضراراً تاماً " (١)

وظهرت عند العرب قبل الإسلام آثار هذا الاتجاه "الارستقراطي" في تقريب
الندماء ، فاتصل بعض سادة العرب وبعض المتميزين من شعرائهم ببلاطي
الغساسنة والمناذرة ، كما كان السيد القرشي في الجاهلية يتخذ لنفسه نديماً
من طبقتهم ، ومما يؤكد هذه الحقيقة تلك الازدواجية التي أوردها ابن حبيب حين
عدّ الندامى من قریش ، إذ نجد هنالك هذا التحديد الواضح على النحو الآتي :

١- التاج : ٢٤ • وراجع عهد أردشير ص ٩٠-٩١ ، وانظر في "الفخري في الآداب
السلطانية" ص ٢٣-٢٤ ، ما جاء عن "مخالطة الأندال والسوقة للسلطان" •

فعبد المطلب بن هاشم كان نديما لحرب بن أمية ،
وحمزة بن المطلب كان نديما لعبد الله بن السائب المخزومي ،
وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية كان نديما لأبي بن خلف ،
وأبو طالب بن عبد المطلب كان نديما لمسافر بن أبي عمرو بن أمية ،
وأبو لهب بن عبد العزى بن عبد المطلب كان نديما للحارث بن عامر بن
نوفل بن عبد مناف بن قصي ،

والحارث بن حرب بن أمية كان نديما للحارث بن عبد المطلب* (١)

ويلاحظ أن القرشي كان يقتصر على نديم واحد يعرف به ويشتهر، فإذا مات
أحدهما أو تنافرا انتقل النديم إلى سيّد آخر ينادمه ، وعندما تنافر عبد المطلب
ابن هاشم وحرب بن أمية افترقا ، فانتقل حرب بن أمية إلى منادمة عبد الله بن
جدعان (٢) .

وقد وقع بعض الشعراء الجاهليين في الالتباس عندما خلطوا بين الجليس

١- المحبر ص ١٧٣ - ١٧٧ .

٢- المصدر السابق ص ١٧٥ .

والنديم، فحسان بن ثابت (ت نحو ٦٧٤م) لا يميز بينهما عندما يتحدث عنهما
وكأنهما شخص واحد فيقول :

" لا أخذش الخدش بالنديم ولا
يخشى جليسي إذا انتشيت يدي" (١)

وطرفة بن العبد (ت نحو ٥٦٤م) يصف الخلطاء بالجلساء فيقول :

" وجالس رجال الفضل والبر والتقى
فرين الفتى في قومه جلساؤه" (٢)

وبمجيء عصر الرسول (ص) والخلفاء الراشدين اختفى النديم الشريب ولم

يظهر في مجالس أصحاب السلطان ، ورافق ذلك بروز مفهوم أخلاقي مثالي

للجليس فالرسول (ص) يقول : " مثل الجلوس الصالح والسوء كحامل المسك

ونافع الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد

منه ريحا طيبة ، ونافع الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحا خبيثة" (٣)

فالرسول يتحدث عن طبقتين من الجلساء ، وهو يقصد بجلوس السوء ذلك الذي

ينتهك التعاليم الدينية ، وهذا لا يستثني النديم الشريب . ويلتقي علي بن

١- ديوان حسان بن ثابت ص ٦٧ .

٢- ديوان طرفة بن العبد ص ١٥٩ . وراجع ص ٤٧ حيث يفهم بالندما .

٣- فتح الباري في شرح صحيح البخاري : كتاب الذبائح ، باب المسك ، ج ٧ :

١٢٥ . وراجع عيون الأخبار ١ : ٣٠٥ .

أبي طالب (٣٥ - ٤٠ هـ) مع الرسول (ص) في تحديده لفهم الجليس فيحذر من مجالسة السفهاء ، ويحدد صفات من لا يصلح للمخالطة عندما يقول : " لاخير في صحبة من تجتمع فيه هذه الخلال ، من إذا حدثك كذبك ، وإذا ائتمنته خانك ، وإذا ائتمنتك اتهمك ، وإذا أنعمت عليه كفره ، وإذا أنعم عليك من عليك " .^(١) وكان هم الصحابة البحث عن الجليس الصالح فقد جاء في الحديث : . . . عن خيشمة بن أبي سبرة قال : أتيت المدينة فسألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا ، فيسر لي أبا هريرة ، فجلست إليه فقلت له : "إني سألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فوفقت لي" ، فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ، جئت ألتبس الخير وأطلبه . . .^(٢)

وشهد البلاط الأموي الجلوس المحدثين ، فمعاوية بن أبي سفيان (٤١ هـ -

٦٠ هـ) استحضر عبيد بن شرية الجرهمي^(٣) (ت نحو ٦٧ هـ) ليسأله عن

١- المخلاة ص ٣٧ ، وراجع ص ٨٩ ، ١٠

٢- أنظر: صحيح الترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب ابن مسعود ج ٣: ٢١٥-٢١٦ .

٣- عبيد بن شرية الجرهمي : من الحكماء الخطباء في الجاهلية ، أدرك النبي (ص) ، واستحضره معاوية من صنعاء الى دمشق ليروي له أخبار الأمم الماضية ، وأمر معاوية بتدوين أخباره . وقد عمّر الى أيام عبد الملك بن مروان . ويقال إنه أول من صنف الكتب من العرب . وله من الكتب "كتاب الأمثال" و "كتاب الملوك" وأخبار الماضين" . راجع ترجمته في الاعلام ٤ : ٣٤١ حيث يذكر فصادره .

أخبار القدماء^(١) . ولم ترد أخبار عن النديم الشريب إلا أيام يزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ - ١٠٥ هـ) وابنه الوليد بن يزيد^(٢) (١٢٥ هـ - ١٢٦ هـ) . وقد أصبح النديم جزءاً من مجالس الوليد بن يزيد وشخصية هامة ضمن حاشية المقرئين إليه . وخرميات الوليد سجل لمناداته ومجالس عبثه ، وقد تحدث عن تعلقه بالغناء والشراب والندماء عندما قال :

”إِنِّي أَشْتَهِي السَّمَاعَ وَشُرْبَ الكَا
سِ وَالْعَصَّ لِلخُدُودِ المِإْلَاحِ
وَالنَّدِيمِ الكَرِيمِ وَالخَادِمَ الفَا
رَهُ يَسْعَى عَلَيَّ بِالأَقْدَاحِ^(٣)“

ولم يظهر النديم الشريب في البلاط العباسي إلا أيام المهدي^(٤) (١٥٨ هـ - ١٦٩ هـ) وأصبح الندماء والجلساء أيام هارون الرشيد (١٧٠ هـ - ١٩٣ هـ) في

١- الفهرست ١: ٨٩ - ٩٠ .

٢- وإذا اعتبرنا ما جاء عن يزيد بن معاوية في ”مروج الذهب ٣: ٧٧“ فإنه يكون أول من سبق الأمويين الى تقريبه ، حيث جاء أنه : ”كان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب . . . وفي أيامه ظهر الغناء في مكة ، واستعملت الملاهي ، وأظهر الناس الشراب . وكان له قرد يسمى بأبي قبيس يحضر مجلس منادمته“ .

٣- ديوان الوليد بن يزيد ص ٣٨ .

٤- الوزراء والكتاب ص ١٥٩ - ١٦٠ ، حيث يذكر أن ندماء كانوا يشربون بحضرته .

أرفع طبقات المقربين حيث أنه كان يرفع من يعجبه من موظفي القصر إلى طبقة الجلوساء والمؤانسين باعتبارها أسمى درجة يبلغها من يفكر بمخالطة الخليفة^(١). ثم يأتي أبو نواس (ت ١٩٨ هـ) والحسين بن الضحاك الخليع (ت ٢٥٠ هـ) وقد اتصلا بالأمين وغيره من الخلفاء متأثرين بوالبة بن الحباب (ت نحو ١٧٠ هـ) وبنظرته إلى النديم حيث يقول : "الغلام هو الرفيق في السفر، والصديق في الحضر، والمعين على الشغل، والنديم عند الشرب، وهو سبب الأفس^(٢)". وهذا ما أبعد عن البلاط العباسي عندما عبّر عن رأيه بالندما" في حضرة المهدي حيث يقول :

"وَنَمَّ عَلَى صَدْرِكَ لِي سَاعَةً
إِنِّي أَمْرٌ أَنْكحُ جُلَاسِي"^(٣)

ويظهر تأثر أبي نواس به عندما يقول :

"وَجَلِيسِ كَأَنَّ فِي وَجَنَتَيْهِ
قَدْ أَصَبْنَا مِنْهُ فَتَسْتَغْفِرُ اللَّهُ
كُلُّ حَسَنٍ تَصَبُّوْا إِلَيْهِ النَّفُوسُ
كَثِيرًا وَقَدْ يَصَابُ الْجَلِيسُ"^(٤)

١- معجم الأدباء ١٣ : ١٦٨ ، وراجع التاج : ٣٧ .

٢- مطامع البدور في منازل السرور ١ : ٢٤٦ .

٣- الوزراء والكتاب ص ١٤٩ .

٤- ديوان أبي نواس ص ٩٨ .

ولم يظهر المخنث شخصية هامة في حاشية المقربين من السلطان إلا أيام المتوكل^(١) (٢٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ) .

وبدأ العلماء المحدثون ينافسون ندماء الشراب في التقرب من البلاط ، فأخذ بعضهم يشرب مع الخلفاء وينادهم حتى يلحقوا بالندماء ويساووهم في المرتبة والصلوات . فالزجاج^(٢) (ت ٣٠٠ هـ) وكان عالماً ، كان له رزق في الفقهاء ورزق في الندماء^(٣) . ولا يعني هذا أنه كان يعاقر الخمر ، ولكن يفهم أنه أصبح من طبقة الجلساء المحدثين الذين ساووا الندماء في المرتبة .

ومهما اختلفت النظرة إلى النديم ، وتنوع الدور الذي يضطلع به فإن من أفضل ما يوضح فضله ويحدد الهدف من تقريبه قول أحدهم :

١- العقد الفريد ٦ : ٤٣٠ - ٤٣١ .

٢- أبو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج ، عالم بالنحو واللغة ، ولد ومات في بغداد . كان في فتوته يخرط الزجاج ثم مال الى النحو فعلمه المبرد . وطلب عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد مؤدباً لابنه القاسم ، فدل المبرد على الزجاج ، فطلبه الوزير فأدب له ابنه الى أن ولي الوزارة مكان أبيه فجعله القاسم من كتّابه ، وأصاب في أيامه ثروة كبيرة . ومن كتبه "معاني القرآن" و"الاشتقاق" . الخ . أنظر ترجمته في الأعلام ١ : ٣٣ حيث تذكر مصادره .

٣- معجم الأدباء ١ : ١٤٨ - ١٥٠ .

أَرَى لِلْكَأْسِ حَقًّا لَا أَرَاهُ
لِغَيْرِ الْكَأْسِ إِلَّا لِلنَّدِيمِ
هُوَ الْقُطْبُ الَّذِي دَارَتْ عَلَيْهِ
رَحَى اللَّذَاتِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ (١)

تاريخ المنادمات

لمحة تاريخية عن المنادمات عند بعض الأمم غير العربية :

عني ملوك الفرس بتقريب الجلساء والندماء فجمعوا حولهم رجالا عديدين اتخذوهم سمّارا ومحدثين منادمين أو مغنين ومضحكين • ولعلمهم أول من اتخذ المنادمات وجالس الندماء بين ملوك الأمم منذ القدم • وقد كانوا يرون ذلك من علامات كمال الملك ، فقد أيقن بهرام جور (٤٢٠ - ٤٣٨) أن ابنه قد أصبح رجلا عاقلا مؤهلا لوراثة الملك من بعده عندما طلب الدواب والآلات والمطاعم والندماء بعد أن كان قد يئس منه لفساد سيرته واستهتاره واستخفافه بالأمر • (٢)

١- أدب النديم ص ٦ •

٢- نشوار المحاضرة ٤ : ٢٨٤ •

واصطحب ملوك الفرس الموانسين والمحدثين والملهين في حلهم وترحالهم ،
وكانت العادة "إذا خرج بعضهم لسفر أو نزهة أن لا يفارقه خلع للكساء ،
وأموال للصلوات ، وسياط للأدب ، وقيود للعصاة ، وسلاح للأعداء ، وحماة يكونون
من ورائه وبين يديه ، ومونس يفضي إليه بسرّه ، وعالم يسأله عن حوادث أمره ،
وسنة شريعته ، وملة يقصر ليله ويكثر فوائده" . (١)

واهتم الأکاسرة بندمائهم فأردشير بن بابك يقول : "حقيق على كل ملك أن
يتفقد وزيره ونديمه وحاجبه وكاتبه ، فإن وزيره قوام ملكه ، ونديمه بيان معرفته ،
وكاتبه وكيل معرفته ، وحاجبه برهان سياسته" . (٢)

ونظم ملوك الفرس بلاطهم تنظيماً دقيقاً فوضعوا الرسم التي تقيد بها كل
من حضر مجالسهم ؛ وكان أردشير بن بابك أول من رتب الندماء فجعلهم ثلاث
طبقات : فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى ، وكان مجلس هذه
الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة (٣) . ثم الطبقة الثانية وكان

١- التاج ص ٧٢ .

٢- انظر عهد أردشير ص ١٠٣ .

٣- سيا تي الحديث عن الستارة في الصفحات التالية .

مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع، ورجالها هم بطانة الملك وندماؤه
ومحدثوه من أهل الشرف والعلم . ثم الطبقة الثالثة، وكان مجلسهم على
عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة^(١) .

وحافظ من تلاه من الملوك على هذا الترتيب، ولكن "لما جاء" بهرام جور
قرر مراتب الأشراف وأبناء الملوك وسدنة بيوت النيران والنسك والزهاد وطبقات
العلماء بالديانة وأنواع المهن الفلسفية على حالها . وغير طبقات المغنين
فرفع من كان بالطبقة الوسطى إلى العليا والطبقة الدنيا إلى الوسطى ،
وغير المراتب على حسب إعجابه بالمطرب له منها ، وبذلك أفسد ما رتبته أردشير
في طبقات الملهمين^(٢) ، وسلك من جاء بعده من الملوك هذا المسلك حتى
جاء كسرى أنوشروان فرد مراتب المغنين إلى ما كانت عليه أيام أردشير^(٣) .

١- التاج ٢٣-٢٤ .

٢- الملهمون ، أصحاب الملاهي : تعني المغنين .

٣- مروج الذهب ١ : ٢٤٦ ، وانظر التاج ص ٢٨ .

وكان من غير المسموح به للندماء أن ينتقلوا من طبقة إلى أخرى إلا إذا لوحظ في أحدهم ما يؤوله لذلك، وعندما يعرض أمره على الملك بعد اختبار الموازنة والهرابذة^(١) إياه، فإن رأوه مستحقاً أمر الملك بإلحاقه بغير طبقته^(٢). ولم يسمح الملوك للندمائهم أن يتجاوزوا المراتب المخصصة لهم، ويروى أن كسرى أنو شروان جلس للناس يوماً فدخل عليه رجل من خاصته فنحاه وأمر أن يقام من المجلس ويحجب عنه سنة لأنه تعدى المرتبة التي رسمت له^(٣). كما أن الملوك إذا غضبوا على أحد ندمائهم أزالوه عن المرتبة التي هو فيها إلى ما هو أدنى منها، ويروى أنه "كان لأحد ملوكهم نديم مضحك يسمى "مرزيان"، فظهر له من الملك جفوة، فلما زاد ذلك عليه تعلم نبج الكلاب وعوي الذئب ونهيق الحمير وصهيل الخيل وصوت البغال، ثم احتال حتى دخل موضعاً بقرب خلوة الملك وأخفى أمره، فلما خلا الملك بنفسه نبج الكلاب فلم يشك الملك

١- الموازنة: كلمة فارسية معناها القضاة، وانظر "الترجمة والنقل عن الفارسية ج ١: هامش رقم ٦ ص ٦١. والهرابذة: كلمة فارسية صفدها هريذ، ومعناها: قيم النار، وانظر ص ٢٦٤ من المصدر السابق.

٢- المصدر السابق ١: ٢٦٩.

٣- مروج الذهب ١: ٢٦٩-٢٧٠. وانظر عهد أردشير ص ٦٢-٦٤ حيث يوصي أردشير ولاية عهده أن يقرأ طبقات الرعية على حالها ويحذر من الانتقال من طبقة إلى أخرى أسماً منها لأن ذلك يولد الطموح والطمع في نفوس الرعية. وفي هذا بوار الملك، وبهذا يعتبر المحافظة على طبقات الرعية ركناً من أركان سياستها.

في أنه كلب، فقال : انظروا ما هذا ؟ فعوى عوي الذئب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير، فمضى الملك هاربا، ومضت الغلمان يتبعون الصوت، فلما دنوا منه سهل سهيل الخيل، فاقتحموا عليه وأخرجوه عريانا، فلما أتوا به إلى الملك وعرف أنه مرزيان، ضحك ضحكا شديدا، وقال : "ما حملك على ما صنعت؟ قال : إن الله عز وجل مسخني كلبا وذئبا وحمارا وفرسا لما غضب عليّ الملك، فأمر الملك أن يخلع عليه وأن يرد إلى مرتبته الأولى". (١)

وكان يفصل بين الملوك وجلسائهم ستارة تحجبهم عنهم، وكانت هذه الستارة من دلائل هيبة الملوك وعظمتهم لأنهم، على ما يبدو، كانوا يترفعون عن مواجهة المجالسين إمعانا في العظمة وحرصا على أن يغرسوا في نفوسهم شعورا بالألوهية لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم ظلّ الله على الأرض (٢)

١- المستطرف في كل فن مستظرف ٢: ٢٩٧ - ٢٩٨ .

٢- راجع كتاب : Dress, Drinks and Drums , P. 205 ، حيث يتحدث

المؤلف عن شرب أحد ملوك الزنوج في إفريقيا خلف ستارة تحجبه عن الحاضرين . ويعتدل ذلك أسطوريا لأنه يقول "إن الزنوج يعتقدون أن من يرى الملك وهو يشرب يمكن أن يؤثر بشعوذته وسحره عليه فيروون أن أحد الملوك الكونغو قد حكم عليه بالموت لأنه شاهد والده وهو يشرب ."

أو كي لا يقع نظره على عيوب خلطائهم الخلقية . وقد وُكِّل الملوك رجلا من أبناء الأساورة بالستارة وكان اسمه "خَمَّ باش" (١) ، وإذا جلس الملك لندمائمه ومعاقبه أمر رجلا أن يرتفع على أرفع مكان في دار الملك فيرفع عقيرته ويغرّد بصوت رفيع يسمعه كل من حضره ، فيقول : " يا لسان احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم الملك " ، ثم ينزل ، وكان ذلك فعلهم في يوم جلوس الملك للهوه وطربه ، فيأخذ الندماء مراتبهم خافتة أصواتهم غير مشيرة بشيء من جوارحها حتى يطلع الموكل بالستارة فيقول : " غن أنت يا فلان كذا وكذا ، وأضرب أنت يا فلان كذا وكذا من طريقة كذا وكذا من طرائق الموسيقى " . (٢)

وقد رسم ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة ممن في خدمتهم لبسة لا يلبسها أحد ممن في غير تلك الطبقة ، فإذا وصل الرجل إلى الملك عرف صناعته والطبقة التي هو فيها . (٣)

١- أنظر مروج الذهب ١: ٢٤٦ - ٢٤٧ حيث يفسر المسعودي هاتين اللفظتين :
بكن فرحا مسرورا .

٢- مروج الذهب ١: ٢٤٦ - ٢٤٧ .

٣- الوزراء والكتاب ص ٣ .

وكان لملوك الفرس علامات لصرف جلسائهم ، وكان أردشير بن بابك إذا تعطى قام سماره ، وكان يستاسف إذا ذلك عينيه ، قام من حضره ، وإذا قال يزدجرد (٦٣٣ - ٦٥١م) " شپبشد " (١) قام من حضره من الجلساء والندماء . وكان سابور إذا قال : "حسبك يا إنسان" قام سماره ، وكذلك إذا قال أنوشروان : "مَرَّتْ أَعْيُنِكُمْ" (٢) . وهكذا فإنه كان من حق الملك إذا تئأب أو فعل ما يدل على ، نعاسه أو تعبته أن يقوم من بمجلسه .

ولتقريب الجلساء والندماء مقاييس معينة . وكانت الأكاسرة تمتحن أمانة جلسائها ، فقد دس أبرويز إحدى جواربه لبعض خاصته حتى تمكنت من قلبه ، ولما راودها عن نفسها انقطعت عنه بأمر الملك ، ثم أرسل مكانها أخرى فتعلق بها كسابقتها فأعلمت الملك الذي قام بنفيه بعدما علم خيانه (٣) . وإذا صادف أن اجتاز أحد الجلساء هذه الامتحانات وخف على قلب الملك " وكان الرجل عالما بالحكمة موضعاً للأمانة في الدماء والفروج والأحوال على ظاهره ، فيأمره الملك أن يتحول إلى منزله ، وأن تفرغ له حجرة ، وإن لا يتحول إليه بها امرأة ولا

١- جملة فارسية معناها " صار الليل " . أنظر التاج الهامش رقم ٣ ص ١١٨ .

٢- أنظر المصدر السابق ص ١١٨ - ١١٩ .

٣- المحاسن والأضداد ص ١٣٦ - ١٣٧ .

جارية ولا حرمة ، ويقول له : " أريد بك الأنس في ليلي ونهاري ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عني ، فاجعل منصرفك إليّ في خمس ليالٍ " ، فإذا تحوّل الرجل أنس به وخلد معه ، وكان آخر من ينصرف من عنده ، فيتركه على هذه الحال أشهراً^(١).

وكان ملوك الفرس لا يرتضون لندمائهم أن يشاركوهم في مس طيب أو مجمر ، لأن هذا مما يرتفع فيه الملك عن مساواة أحد إمعانا في تفردّه وترفعه عن ندمائه^(٢). وإذا عرضنا تاريخ بلاط بعض ملوك الفرس ، نرى مستوى الندماء والجلساء الذين ارتادوه . فقد كان بهممن مشغولاً بمحاسن الكلام يقدم له ، ويؤثر من أجله ندماء ، وخطاء^(٣) . كما كان أنوشروان ذا عناية كبيرة بالآراء الفلسفية ، وكان في بلاطه كثير من الأطباء والفلاسفة أمثال أورانيوس الطبيب ، والحكيم السرياني الذي كان يفسر له آراء الفلاسفة ، وكان يجمع علماء الدين ويحادثهم فيما يتعلق بنظام التكوين وغيرها من الآراء الفلسفية^(٤) . وكان حريصاً على تقريب المغنين ، ولما أراد قتل زيوشث

١- المحاسن والأضداد ص ١٣٥ - ١٣٦ .

٢- التاج ص ٤٦ .

٣- أنظر جاويدان خرد ص ٦١ .

٤- أنظر الترجمة والنقل عن الفارسية ١ : ٣١ - ٣٢ وجاء في مروج الذهب ١ : ٢٦٨ أن أنوشروان " كان يجالس الحكماء ليأخذ عنهم ، وكان يقول لهم : " دلوني على حكمة فيها منفعة لخاصة نفسي وعمامة رعيتي " . وورد في " جاويدان خرد ص ٤٧ " أن بزرجمهر قد كتب إليه يحثه على صحبة العلماء ومجالستهم قائلاً : " وأكثر ما ينتفع به السلطان صحبة العلماء والإبتكار من العلم ، فإن من فضيلة العلم أن صاحبه كلما استكثر منه أحب أن يزداد منه ، وهذا هو الحرص الممدوح . وقد يلام الناس على شدة الحرص في طلب الدنيا والمال فهم يدخون على شدة الحرص في طلب العلم ومصاحبة العلماء " .

المغني الذي قتل زميله "فهلون"، وأمر أن يرمى به تحت الفيلة، قال له: قتلت أحسن الناس غناءً، وأجودهم إمتاعاً للملك حسداً له". فلما سحبوه نحو الفيلة إلتفت إلى كسرى وقال: "إذا قتلت "زيوشت" المغني، وقد قتل "زيوشت" "فهلون"، فمن يطربك؟" فقال كسرى: "المدّة التي بقيت لك هي التي أنطقتك، خلّوا سبيله". (١)

وقرب ملوك اليونان الجلساء والندماء من مجالسهم، وقد شهد بلاط الإسكندر نوعين من المقربين هما المحدثون والندماء، ومحدثوا الإسكندر كانوا على الأغلب من الفلاسفة الحكماء الذين برز منهم أرسططاليس الذي اتصل به مؤدباً قبل الملك، وجليسا ومستشارا بعده. ومن وصيته للإسكندر نقف أمام صورتين من صور المجالس عنده، فقد قال له: "احفظ ما أقول لك، إذا كنت في مجلس الشرب فليكن مذاكرتك الغزل، فإنهم يأنسون إلى ذلك، وإذا جلست إلى خاصتك فاذاكرك الحكمة" (٢). وهكذا فلمجالس الشرب - المناديات - ندماء يختلفون عن الجلساء في مجالس الحكمة، كما أن أرسططاليس يعتبر خاصة الإسكندر هم الفلاسفة أهل الحكمة، وهؤلاء هم جلساؤه المحدثون، أما ندماءؤه في مجالس الشرب فجعلهم في طبقة أخرى لعلها أدنى من طبقة المحدثين لأننا نرى أن أرسططاليس يحثه على

١- الحيوان ٧: ١١٣، وراجع عيون الأخبار ١: ٩٨.

٢- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢: ٧٠٦، وراجع صوان الحكمة

أن يشغل نفسه بلذة مجالسة العلماء ومحادثتهم. (١)

وقلّد أباطرة الرومان ملوك الفرس في مجالسهم فاتخذوا الندماء وقربوهم
وجمعوا حولهم رجالا يشاركونهم طعامهم وشرابهم ، ويرافقونهم عندما يخرجون
إلى الصيد ، وقد سموا أصدقاء الإمبراطور. (٢)

وقلّد ملوك البيزنطيين أكاسرة فارس في رسم لباس خاص بكل طبقة من
طبقات الرعيّة . وقلّدهم أشرف الدولة الذين حولوا قصورهم إلى صورة مصغرة
عن البلاط الإمبراطوري ، فضمّوا إليهم رجال الدين والأدب والشعر. (٣)

ولعناية الإمبراطور قسطنطين السابع (٩١٣ - ٩٥٩ م) بحياة البلاط والحاشية
ترك كتابا تحدث فيه عن الرسوم المتبعة في البلاط تناول فيه تصرفات الحاشية
وما تخضع له من تقاليد ورسوم. (٤)

١- جاويدان خرد ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

٢- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١: ٢٤٤ .

٣- Byzantine Civilization P. 193 .

٤- Byzantium, Greatness and Decline P. 279 .

وسيطر العبث على حياة الإمبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥ - ١٠٢٨ م) فاختص لاعبي النرد والشطرنج وقربهم ، وانصرف إلى مجالس اللعب بحيث أهمل أمور حكمه ، ويروى أنه كان عديم الاكتراث بالسفراء والرسل الذين يقفون ببابه عندما يمارس اللعب . (١)

وقد اتصل بعض العرب من شعراء وسواهم بالبلاط البيزنطي فامرؤ القيس (ت نحو ٥٤٥ م) يفخر بمنادمة قيصر الروم قائلا :

”ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريد“ (٢)

كما أن قس بن ساعدة (ت نحو ٦٠٠ م) جالس القيصر وحده . (٣)

وهكذا فقد شهدت بلاطات الأمم القريبة من الجزيرة العربية جلساء وندماء عديدين ، ونستطيع القول إن بعض تقاليدھا قد انتقل إلى الجزيرة العربية من خلال وفود العرب التي كانت تتراد بلاطي الفرس والروم ، أو بلاط المناذرة الذين كانوا أتباعا للفرس ، والغساسنة الذين كانوا أتباعا للروم .

١- Fourteen Byzantine Rulers . P. 58

٢- ديوان امريء القيس ص ٨٨ . وراجع ”قطب السرور في أوصاف الخمر ص ٢٨٥ .

٣- راجع قطب السرور ٣٢٥ ، ٣٨٥ حيث يورد لهما حديثا عن الشراب وأوقاته .

في العصر الجاهلي:

أ- في بلاط المناذرة والחסاسنة:

تأثر بلاط المناذرة ببلاط ملوك الفرس لارتباطهما سياسيا وحضاريا، فشهد بلاط الحيرة منادات يمكن أن تكون صدى لما كان يحدث عند الفرس. وكان جذيمة الأبرش (؟ - ٢٦٨ م) لتيهه وذهابه بنفسه لا ينادم إلا الفرقدين (١)، ولكن لما جاء مالك وعقيل (٢) بابن أخته عمرو بن عدي (٢٦٨ - ٢٨٨ م)، (٣) احتكم

١- الفرقدان: نجمان في السماء لا يغيران، ولكنهما يطوفان بالجدى. وقيل هما كوكبان قريبان من القطب. أنظر اللسان: مادة فرقد.

٢- مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك بن كعب من بني القين من أسد بن وبرة تغلب من قضاة، كانا من خاصة جذيمة الأبرش الأزدي ملك العراق، نادماه أربعين سنة، وقيل إنهما لم يعيدا عليه فيها حديثا. يضرب بهما المثل في طول الصحبة، قال أبو خراش الهذلي:

"ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفا، مالك وعقيل؟"

وقال متم بن نويرة في رثاء أخيه:

"وكنا كدمانسي جذيمة حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا"

راجع ترجمتهما في الأعلام ٦: ١٤١، حيث تذكر مصادرها.

٣- عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي أول من ملك العراق من بني لخم في الجاهلية. تولى بعد مقتل خاله جذيمة، وانتقم له من قاتله الزبأ. وكانت إقامته في الحيرة، وهو أول من اتخذها منزلا من ملوك العرب، ومات فيها. راجع ترجمته في الأعلام ٥: ٢٥٣ حيث يذكر مصادره.

لهما ، فطلبا منادته ، فنادماه أربعين سنة ، يشاركانه شرابه ويحدثانه^(١) .

وورد في الأخبار أن عمرو بن هند (٥٦٣ - ٥٧٨ م) قرب شعراء عديدين ،
فالمثقب العبدى (تنحو ٥٨٨ م) مدحه ونادمه^(٢) . كما اتصل به الحارث
بن حلزة (تنحو ٥٧٠ م) الذي ألقى معلقته أمامه ومطلعها :

”أَدْنَتْنا بَيْنِها أَسْمَاءُ رَبِّ نَأْوِ يَمَلُّ مِنْهُ النَّوَاءُ“^(٣)

كما وفد عليه ونادمه عمرو بن قميئة^(٤) (تنحو ٥٤٠ م) والمتلمس^(٥) (تنحو

٥٦٩ م) ، وطرفة بن العبد الذي كان يفضل على عمرو بن كلثوم (تنحو ٥٨٤ م)

١- الأغاني ١٥ : ٣١٢ ، وعيون الأخبار ١ : ٢٧٤ ، ونهاية الأرب ١٥ : ٣١٧ .
ويلاحظ أن نديمي جذيمة كانا متصافيين وأن صفاهما استمر بعد منادمة
جذيمة .

٢- الشعر والشعراء (تحقيق السقا) ص ١٤٧ .

٣- المصدر السابق ص ٥٣ ، والأغاني ١١ : ٤٢ - ٤٣ .

٤- الأغاني ١٨ : ١٤٠ .

٥- الشعر والشعراء ص ٥٢ ، ومعجم الشعراء (تحقيق فراج) ص ٦ .

ويروى أنه هجا عمرو بن هند فأرسل إلى عامله في البحرين فقتله^(١) . وناداه
عمرو بن كلثوم الذي قتله وقال معلقته التي يتحدث فيها عن فتنه به^(٢) .

وقام ملوك المناذرة بالبحث عن الجلساء والمحدثين ، فالمنذر (٥٨٢ - ٥٨٥ م)
كان يستدعي رواية من فارس يسردون عليه سير الملوك وتواريخهم^(٣) ، وهذا ما
ساعده على الاطلاع على حياتهم وما رافقها من مجالسات ومنادمات . وشغف
المناذرة بمحادثة الرجال ومنادمتهم ، وتحدث حرقة بنت النعمان عن لذة أبيها
فتقول : " إدمان الشراب ومحادثة الرجال " ^(٤) . وقد شهد بلاط النعمان بن
المنذر (٥٨٥ - ٦٠٣ م) وفود رجال العرب ، فجالسه خالد بن جعفر بن كلاب
(ت ٥٩٥ م) وناداه ، كما اضطر إلى منادمة بعض الشجعان ليأمن غاراتهم
أمثال سعد بن صخرة الأسدي^(٥) . ويعتبر النابغة الذبياني (ت نحو ٦٠٤ م)

-
- ١- الموشح (تحقيق البجاوي) ص ١١٠ - ١١١ ، والشعر والشعراء ص ٤٩ .
 - ٢- الأغاني ١١ : ٥٣ - ٥٤ ، ومعجم الشعراء ص ٧ .
 - ٣- الترجمة والنقل عن الفارسية ١ : ٢٤٥ .
 - ٤- الموشى ص ١٧ ، والعقد الفريد ٦ : ٢٢١ .
 - ٥- المستطرف في كل مستطرف ج ١ : ٥٨ - ٥٩ .

أشهر الشعراء المتصلين به، وكان : " يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان وأبيه وجده" (١) . وقرب النعمان علقمة بن عبدة الفحل (ت نحو ٦٠٣ م) ونادمه (٢) . واتصل به أيضا المنخل اليشكري (ت نحو ٦٠٣ م) ونادمه ولكن النعمان اتهمه بامرأته المتجذدة وقتله عندما وجده عندها (٣) .

وتأثر بلاط الغساسنة بالحضارة البيزنطية، ولكن جوارهم للمنادرة، وتتقل بعض الجلساء والندماء بين البلاطين أسهما في نقل بعض رسوم البلاطين أحدهما إلى الآخر .

ونادم علقمة بن عبدة الحارث الأصغر الغساني، ومدحه بقصيدة سأله فيها أن يطلق سراح أخيه الذي أسره (٤) . كما نادم النابغة الذبياني عمرو بن الحارث الأصغر، وأخاه الحارث ومدحهما (٥) .

١- الأغاني ١١ : ٢٩ .

٢- بروكلمان . تاريخ الأدب العربي ١ : ٩٦ - ٩٧ .

٣- المصدر السابق ٢١ : ٢-١ .

٤- تاريخ الأدب العربي ١ : ٩٦ - ٩٧ .

٥- الأغاني ١١ : ١٦ .

ويعتبر حسان بن ثابت من أشهر الشعراء الذين نادموهم^(١) ، وقد تحدث

عن منادمتهم عندما أنشد:

"لِلَّهِ دَرٌّ عِصَابَةٌ نَادَمْتُهُمْ
يَوْمًا بَجَلَّتْ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادٌ جَفَنَةٌ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ
قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضَلِ"^(٢)

وقد تمكن عند جيلة بن الأيهم (٦٣٨ - ٦٤١ م) آخر ملوكهم ، فكان ينشده
ويسامره وينادمه ، وقال له جيلة مرة: "إن حبّ المدامة استحوذ عليّ فبعضها
إليّ فصنع ارتجالا:

"ولولا ثلاثٌ هُنَّ فِي الْكَاسِ لَمْ يَكُنْ
لَهَا نَزَقٌ مِثْلُ الْجَنُونِ وَمَضْرَعٌ
لَهَا ثَمَنٌ مِنْ شَارِبٍ حِينَ يَشْرَبُ
وَعِيٌّ وَإِنَّ الْعَقْلَ يَنَائِي وَيَذْهَبُ"

فقال حرمتني لذتها ، فحببها إليّ ، فارتجل قائلا:

"ولولا ثلاثٌ هُنَّ فِي الْكَاسِ أَضْبَحَتْ
أَمَانِيهَا وَالنَّفْسُ يَظْهَرُ طِيْبُهَا
مِنْ أَكْبَرِ شَيْءٍ يُسْتَفَادُ وَيُجَلَبُ
عَلَى حُزْنِهَا وَالْهَمُّ يَنَائِي وَيَذْهَبُ"

١- حسان بن ثابت والناطقة الذبياني من الشعراء الذين اتصلوا باللخميين
والغساسنة ، وراجع الأغاني ١١ : ٢٧ حيث يتحدث عن منادمة حسان للنعمان
ابن المنذر اللخمي .

٢- ديوان حسان بن ثابت ص ١٧٩ .

فأمر له جيلة بجائزة وحلة من حلله»^(١).

بد في الجزيرة

يصف حسان بن ثابت شغفه بمحادثة الندماء فيقول :

أَهْوَى حَدِيثَ النَّدْمَانِ فِي هَلْقِ الصَّبِّ حِ وَصَوْتَ الْمَسَامِرِ الْغَرِيدِ»^(٢)

وقد تنادم حسان والأعشى (ت نحو ٦٢٩ م) عند خمار فاتمه الأعشى بالبخل

فاشتري حسان الخمر وسكبها على الأرض^(٣) .

وقد عرف عن الأعشى اتصاله ببني عبد المدان في نجران ومناذمتهم ، فكان

يفد عليهم في كل سنة ويمدحهم ويقم عندهم^(٤) . وشعره حافل بتصوير مجالس

الشرب والندماء ، وقد تحدث عن ندمائه فقال :

” وَلَقَدْ أَغْدُو عَلَى نَدْمَانِهَا
وَعَدَا عِنْدِي عَلَيْهَا وَاصْطَبَحُ

١- بدائع البداية (مطبوع على هامش معاهد التصيير) • ج ١ : ٢٥٧ - ٢٥٨ •

٢- ديوان حسان بن ثابت ص ٦٧ •

٣- الأغاني ٤ : ١٦٧ - ١٦٨ •

٤- المصدر السابق ١٢ : ٣ - ٤ •

٠٠٠ في شبابٍ كمصابيحِ الدَّجَى ظاهرُ النعمةِ فيهمُ والفرحُ
رُجَّحُ الأحلامِ في مَجْلِسِهِمْ كلما كلبٌ من النَّاسِ نَبَّحُ
لا يَشْحُونُ على المَالِ وما عُوِّدوا في الحيِّ تَصْرَارَ اللَقْحِ (١)

وهكذا فإبان الأعشى يعتر بندمائه ويصفهم بمصابيح الدجى رفعة ، ويتحدث عن رجاحة أحلامهم في مقابل سفاهة الآخرين يوينعتهم بالكرم ، وموقفه من ندمائه شبيه بموقف طرفة بن العبد حين يقول معتزاً :

”نداماي بيض كالنجوم وقينةٌ تروح علينا بين بردٍ ومجسدٍ“ (٢)

في العصر الإسلامي (٣)

حلَّت المجالسة مكان المنادمة أيام العصر الإسلامي بسبب تحريم الشرب

- ١- ديوان الأعشى ص ٢٧٩ . وقد كان ندماء الأعشى بعد موته يجتمعون عند قبره فيجعلونه مجلس رجل منهم فينادمونه . راجع ذلك في الأغاني ٩ : ١٢٦ .
واللقح جمع لقحة ، وهي الناقة الحلوب ، الغزيرة اللبن . (اللسان مادة لقح) .
وصر الناقة شد ضرعها بالصرارحتى لا يرضعها ولدها . أي أنهم لا يصرون إبلهم بخلا بألبانها . اللسان مادة صر .
- ٢- ديوان طرفة بن العبد ص ٤٧ . والبرد : ثوب فيه خطوطه وخص بعضهم به الوشي .
اللسان : مادة برد . والمجسد هو الثوب المشبع عصفاً أو زعفراناً ، وقيل المجسد هو الأحمر . انظراللسان مادة : جسد .
- ٣- نقصد بهذه التسمية عصر الرسول (ص) وعصر الخلفاء الراشدين .

شرعا . ولم يرد عن الرسول (ص) استعمال لفظتي "المنادمة والنديم" ، وإنما روي عنه استعمال لفظتي "المجالسة والجليس" ، فهو يقول : "كونوا علماء صالحين ، فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء" .^(١) ويرى " أن العلم هو الجليس في الوحدة وهو المعين على مجالسة الملوك في الدنيا" .^(٢) .

وجلساء الرسول (ص) كانوا من الصحابة الأخيار وكان بينهم شعراؤه الأنصاريون الثلاثة وهم : كعب بن مالك (ت ٥ هـ) وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة (ت ٨ هـ) الذين تعرّضوا لشعراء قريش .^(٣)

ويعتبر حسان بن ثابت شاعره الأول ، وكان عندما يأمره بالرد على شعراء قريش يقول له : " يا حسان ، أجب عن رسول الله ، ويضيف الرسول قائلا : " اللهم آيده

١- أدب الدنيا والدين ص ٣٣ - ٣٤ .

٢- المستطرف ١ : ٢٣ . والمصادر التي تتحدث عن خلطاء الخلفاء الراشدين ومعاشريهم تتعنتهم بالجلساء ، فقد جاء في : " الفخري في الآداب السلطانية ص ٧٥ : أن عمر ابن الخطاب قال لجلسائه : " تذكرون . . . " .

٣- الأغاني ٤ : ١٣٧ - ١٣٨ .

بروح القدس".^(١) وكان الرسول (ص) يحب أن يسمع أهاجيه في قریش، ويروى أن "النبي (ص) قال ليلة وهو في سفر: "أين حسان بن ثابت؟"، فقال حسان: "لبّيك يا رسول الله وسعديك"، قال: "أحد"، فجعل ينشد ويصغي إليه النبي ويستمع، فما زال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يمسّ الورك حتى فرغ من نشيده، فقال النبي: "لهذا أشد عليهم من وقع النبل".^(٢)

وتعلّق الرسول (ص) بأبي بكر الصديق (١١ - ١٣ هـ) ولشدة ارتباطه به قال: "لو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر".^(٣) وكان الرسول (ص)

١- أنظر فتح الباري في شرح صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب الشعر في المسجد.

٢- أنظر الأغاني ٤: ١٤٣، وراجع سنن النسائي: كتاب المناسك: ١٢١، حيث يروي الحديث التالي: "عن أنس قال: "دخل النبي (ص) مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ
ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيَذْهَبُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ"

فقال عمر: "يا ابن رواحة، في حرم الله، وبين يدي رسول الله (ص) تقول هذا الشعر! فقال النبي (ص): "خلّ عنه، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل".

٣- طبقات ابن سعد ج ٣: القسم الأول: ص ١٢٤. وانظر المصدر السابق ج ٢، قسم ٢ ص ٢٤ حيث يروي عن الرسول (ص) قوله: "لكل نبي صاحب وصاحب النبي (ص) أبو بكر".

يسمر معه حيث يتداولان أمور المسلمين (١) .

وقام خلطاء الخلفاء الراشدين بدور الجلساء والوزراء ، فأبو بكر الصديق كان يستشير من الصحابة الذين كانوا يفتون في أيامه وهم : عمر بن الخطاب (١٣) - ٢٣هـ) وعبد الرحمن بن عوف (ت ٣٢هـ) وزيد بن ثابت (ت ٤٥هـ) ومعاذ بن جبل (ت ١٨هـ) - وأبي بن كعب (ت ٢١هـ) (٢) كما كان يجالسه ويكتب له عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥هـ) وزيد بن ثابت (٣) .

وكان القراء أصحاب مجالس عمر بن الخطاب ومشورته (٤) . وكان يستدعي بعض من يشرح ما يشكل على جلسائه ، فعندما اختلف في : "أيهما أطيب ، العنب أم الرطب؟" أرسل إلى أبي حنيفة الذي فضل الرطب (٥) . كما أنه كان يطلب موعظة رجال الصحابة أمثال أبي نذر الغفاري (٦) (ت ٣٢هـ) .

-
- ١- راجع صحيح الترمذي : كتاب الصلاة : باب ما جاء من الرخصة في السمر بعد العشاء .
 - ٢- السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية ص ٤٣٥ .
 - ٣- الوزراء والكتاب ص ١٥ .
 - ٤- فتح الباري في شرح صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن : باب سورة الأعراف .
 - ٥- أمالي القاضي ٢ : ٥٨ .
 - ٦- أدب الدنيا والدين ص ١٠٩ .

وقد لاحق عمر الندماء شاربي الخمر، ورفع حدهم إلى ثمانين جلدة^(١) ،
وإذا كان قد حدث بعض المفاديات فبعيدا عن عينه ودون علمه • وقد قال
أحد الذين استعملهم على ميسان :

فَإِنْ كُتَّ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أُسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَلَمِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْؤُهُ تَادُمْنَا فِي الْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ^(٢)

وقد اختص علي بن أبي طالب عبد الله بن العباس (ت ٦٨ هـ) فكان جليسه
ومستشاره^(٣) ، وكان عبد الله بن عباس يقول : " أعز الناس علي جليسي الذي يتخطى
الناس إلي ، أما والله إن الذباب يقع عليه فيشق علي^(٤) . وكان قد قرب أحد
الجلساء فدخل عليه يوما فأقعدته معه على السرير ، وأقعد رجالا من قريش تحته ،
فرأى سوء نظرهم إليه وحموضة وجوههم ، فقال : " ما لكم تنظرون إلي نظر الشحيح

١- الأحكام السلطانية ص ٢١٦ حيث ورد : " كان حد شاربي الخمر أربعين جلدة ،
إلى أن رأى عمر تهافت الناس فيه ، فشاور الصحابة فيه ، فقال علي بن أبي طالب : أرى
أن تحده ثمانين " ، فجلد فيه عمر بقية أيامه والأئمة من بعد ثمانين " .

٢- لسان العرب : مادة (ندم) .

٣- المحاسن والمساوي ص ٣٩٧ - ٣٩٩ .

٤- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذهن والهاجس ١ : ٤٥ .

إلى الغريم المفلس» (١)

وهكذا اختفت صورة المنادمة بمعناها الشائع في عصر الرسول وخلفائه لغلبة الروح الدينية التي صقلت النفوس وهذبتهما ، فجالس الرسول (ص) كانت مخصصة لبحث ما يهم الإسلام والمسلمين ، وأحاديثه كانت تتناول كل ما يسهم في ترسيخ هذا الدين . وأصحاب الرسول (ص) إذا قعدوا يتحدثون "كان حديثهم الفقه ، إلا أن يأمرؤا رجلا فيقرأ عليهم سورة أو يقرأ رجل سورة من القرآن" (٢) .

وبهذا كانت تلك المجالس تختلف عن مجالس الملوك السابقين عربا وغير عرب ، فبعد أن كان الشراب مادة مجالس الملوك وذوي السلطان أصبحت الأحاديث مادة مجالس العصر الإسلامي ، واختفى الشراب منها ، ويمكن أن نضيف أن مجالس العصر الإسلامي التي خلت من تعقيدات بلاط الملوك وأصبحت البساطة هي الصفة

١- المستطرف ١: ٢٩ . ويلاحظ من هذا الخبر أن الجلساء أصبحوا يتفاضلون حسب الصفات المثالية التي يمتلكونها ولم تعد أرستقراطية الحسب والنسب مقياس رفعة الجليس وتقدمه . وهذا واضح من تعليق صاحب المستطرف على الخبر حيث يقول : "هكذا الأدب يشرف الصغير على الكبير ، ويرفع المملوك على المولى ، ويقعد العبد على الأسرة" .

٢- طبقات ابن سعد ج ٢ : قسم ٢ : ص ١٢٥ .

- المميّزة لها، خضعت لمجموعة الآداب والقيم الروحية التي جاء بها الإسلام.
- وإذا أردنا أن نصف هذا العصر فإننا نستطيع تسميته عصر الجلساء المحدثين.

في العصر الأموي

أدى اختلاط العرب بسكان البلاد المفتوحة إلى اكتساب عادات وتقاليد متأثرة بحضارتي بيزنطة وفارس، وإذا أضفنا إلى ذلك اتصال العرب قبل الإسلام بدولتي المناذرة والغساسنة، نرى أن المؤثرات الحضارية الفارسية والبيزنطية تسربت إلى البلاط الأموي الذي أصبح بلاط حكام أرسوا أول حكم وراثي في الإسلام، وهذا ما دفعهم إلى محاولة تقليد ملوك الأمم الأخرى.

ولم يشهد بلاط معاوية بن أبي سفيان سوى جلساء لا يشربون الخمر أمثال صوصة بن صوحان (ت نحو ٦٠ هـ) والسائب بن بشر الكلبي الذي كان يسأله عن أخبار العرب.^(١) والاحنف بن قيس (ت ٧٢ هـ) الذي كان يجلسه على سريره.^(٢)

١- العقد الفريد ٣: ٣٣٢.

٢- تنبيه الملوك والمكائد المنسوب للجاحظ (مخطوط مصور) ق ١٢٥.

ويمكن تعليل اختفاء نديم الشراب من بلاطه لاتصاله بالرسول (ص) لأنه كان أحد كتابه وأصحابه (١) .

ومع هذا فإننا نرى معاوية قد فتح الباب أمام اتصال المغنين بالخلفاء لأنه لم ينكر استماع ابنه يزيد لغناء نافع الخير (٢) . كما يروي أبو الفرج الأصفهاني أنه استمع لغناء سائب خاثر (٣) (ت ٦٣ هـ) عند عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ت ٨٠ هـ) في المدينة (٤) .

١- ومن الأدلة على معاداة معاوية لشاربي الخمر قوله لابن أبي محجن ، وقد حاول أن ينال منه ويضعه : " أنت الذي أوصاك أبوك بقوله :
" إِذَا مِتَّ فَأَدْفِنِّي إِلَى جَنْبِ كَرْمَةٍ تَرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عَرُوقَهَا "
فقال له : بل أنا الذي يقول أبي :
" لَا تَسْأَلُ مَا لِي وَكَثَّرْتَهُ وَسَائِلِ النَّاسِ مَا جُودِي وَمَا خُلِقِي "
فقال له معاوية : " أحسنت والله يا ابن أبي محجن " ، وأمر له بصله " . راجع ذلك في المستطرف ١ : ٧٢ .

٢- الأغاني ٨ : ١٤٢ - ١٤٣ .
٣- سائب بن يسار الليثي بالولاء ، أبو جعفر ، أحد أئمة الغناء والتلحين عند العرب ، فارسي الأصل ، كان أبوه مولى لبني ليث وأعتقه ، ونشأ سائب في المدينة فاحترف التجارة وأثرى ، وكان حسن الصوت حلوا المعشر . وقيل : " هو أول من عمل العود بالمدينة وغنى به " . وهو أستاذ معبد المغني المشهور وابن سريج وعزة الميلاء وآخرين . وقيل في سبب تسميته " سائب خاثر " : " إنه غنى صوتا ثقيلًا ، أي غير محذوق ، فلصق به لقباً . قتل عندما قدم جيش يزيد بن معاوية إلى المدينة في وقعة الحرة . راجع ترجمته في الاعلام ٣ : ١١١ . حيث يذكر مصادره .

٤- الأغاني ٨ : ٣٢٤ .

وكان اتصال دغفل الخزاعي النسابة (ت ٦٥ هـ) بيزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤ هـ) مؤدبا قد مكَّه من مجالسته عندما تولى الخلافة، كما أن علاقة بن كرم الكلابي (١) - وكان من أصحاب الأخبار والأنساب - قد دخل في سَعَّاره وجلسائه (٢) . وقد نادى يزيد الأخطل (ت ٩٠ هـ) ومولاه سرجون النصراني، وكان يأتيه من المغنين سائب خاثر فيقيم عنده، فيخلع عليه ويصله وقد غناه يوما :

" يا للرجال لمظلوم بضاعته
بيطن مكة نائي الأهل والنفر "

فاعترته أريحية، فرقص حتى سقط، ثم قال : " اخلعوا عليه خلعا يغيب فيها حتى لا يرى منه شيء " ، فطرحت عليه الثياب والجباب والمطارف (٣) والخز حتى غاب فيها (٤) .

١- علاقة بن كرم الكلابي - ورد اسم أبيه في الفهرست ١: ٩٠ "كريم" - هو أحد بني عامر بن كلاب، عاصر يزيد بن معاوية واتصل به، وله علم بالأنساب والأخبار وأحاديث العرب القديمة، وقد أخذ عنه من ذلك شيء كثير . مات ولم يعلم تاريخ وفاته . وله كتاب " الامثال " . راجع ترجمته في معجم الأدباء ١٢: ١٩٠، وانظر الفهرست ١: ٨٩-٩٠ .

٢- معجم الأدباء ١٢: ١٩٠ .

٣- الجباب جمع جبة: ضرب من الثياب . راجع اللسان مادة جيب . والمطارف جمع مطرف وهو رداء من خز له أعلام . اللسان مادة طرف .

٤- الأغاني ١٧: ٣٠٠-٣٠١، وراجع المحاسن والمساوي ٢٨٦-٢٨٧ حيث يتحدث عن منادمة يزيد للأخطل .

وكان مروان بن الحكم (٦٤ - ٦٥ هـ) يقرب أرتاة بن سهية^(١)، وقد دخل عليه لما اجتمع له أمر الخلافة وفرغ من الحروب التي كان متشغلا بها، فهناه، وكان خاصا به، فأنشده مادحا:

تَجْرُ السَّرِيحَ وَتُبْلِي الْخِدَامَا
تَشْكِي قَلْوَصِي إِلَيَّ الْوَجْصِي
يَدٌ لَا تَعُدُّ وَتَهْدِي السَّلَامَا^(٢)
تَزُورُ كَرِيمًا لَهُ عِنْدَهَا
فكساه مروان وأمر له بصلة^(٣).

كما كان مروان يقرب أبا خالد حكيم بن حزام^(٤) (ت ٥٤ هـ) الذي دخل عليه يوما فحال له عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة، ثم طلب منه مروان أن يحدثه عن غزوة بدر^(٥).

١- أرتاة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شداد . . . بن سعد بن ذبيان . وسهية أمه . وهو شاعر فصيح في طبقات الشعراء المعدودين من شعراء الإسلام في دولة بني أمية . وكان امرأ صدق شريفا في قومه، جوادا . له أخبار مع معاوية ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك . راجع الأغاني ١٣ : ٢٩ - ٣١ .

٢- القلوص : الناقة الشابة . اللسان : مادة قلص . الوجي : الحفا . اللسان مادة وجا . السريح : الذي تشد به الخدمة فوق الرسغ . اللسان مادة سرح . الخدام جمع خدمة وهي السير الغليظ المحكم يشد في رسغ البعير ثم يشد إليها سرائح نعلها . اللسان مادة خدم .

٣- الأغاني ١٣ : ٣١ - ٣٢ .

٤- حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، صحابي قرشي هو هو ابن أخي خديجة أم المؤمنين . ولد بمكة في الكعبة، وكان صديقا للنبي (ص) قبل البعثة وبعد ها هو عمر طويلا . كان من سادات قريش في الجاهلية والاسلام هو كان عالما بالنسب . وقد أسلم يوم الفتح فوفيه

وارتاد مجلس عبد الملك بن مروان شعراء عديدون ، ولكنه اختص منهم الأخطل الذي كان يدخل عليه ثملا ، حتى أنه أنشده مرة :

” إذا ما نديمي عَليّني ثمَّ عَليّني
دخلتُ أجرَ الطرفِ زهواً كأنني
ثلاثُ زجاجاتٍ لهُنَّ هديرُ
عليك أمير المؤمنين أميرٌ” (١)

وعبد الملك الذي أبدى عدم رضاه عن هذه الأبيات لم يعترض عليها لأنها قيلت في الخمر وفي النديم ، ولكن بسبب قول الأخطل : ”عليك أمير المؤمنين أمير” وهكذا أصبح شعر الخمر الذي يتحدث عن النديم والمناديات يسمع في مجالس الخليفة .

ويعتبر عامر الشعبي الذي حمل إليه على دواب البريد وأجرى له رزقا شهريا أشهر جلسائه ومحدثيه ، ويروى أن عبد الملك كتب إلى الحجاج (ت ٩٥هـ) إنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ، ولم يكن عندي شيء إلا مناقلة الإخوان للحديث ،

٤- الحديث يومئذ : ” من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن خزام فهو آمن ” . وتوفي في المدينة . راجع ترجمته في الأعلام ٢ : ٢٩٨ حيث يذكر مصادره .

٥- الأغاني ٤ : ١٨٦-١٨٧ .

١- ديوان الأخطل ص ١٥٤ .

وقبلك عامر الشعبي فابعث به إليّ يحدّثني".^(١) ولما دخل على عبد الملك وجد الأخطل عنده ، وكان لا يعرفه ، ودار حوار بين الثلاثة حول أشعر الشعراء ، وتداولوا شعرا للقطامي (ت ١٣٠ هـ) والخنساء (٦٤٥ م) ، وتمكن عنده الشعبي حتى أصبح أول داخل وآخر خارج " وبقي كذلك سنين وجعله في ألفين من العطاء ، ثم بعثه إلى أخيه عبد العزيز بن مروان (ت ٨٥ هـ) بمصر وكتب إليه : " يا أخي إني قد بعثت إليك الشعبي ، فانظر هل رأيت مثله قط ؟ " ^(٢) . ولم يخل بلاط عبد الملك من المضحكين أمثال عطاء ^(٣) ، وكذلك لم يخل بلاطه من المغنين إذ استمع لغناء ابن مسحج واهترّ طربا لذلك ^(٤) .

وكان عبد الملك مشغوبا بالشعر وروايته لكونه ذا ملكة نقدية مكنته أن يصدر أحكاما على ما يدور في مجلسه منه ، وكثيرا ما كان يطلب من جلسائه أن يتخيروا بعض الأبيات المشهورة للمناظرة ، وكان يعطي حكمه فيها ، ويروى أنه : " كان في

١- الأغاني ١١ : ٢١ . وراجع وفيات الأعيان ٣ : ١٣-١٤ .

٢- الأغاني ١١ : ٢٢-٢٦ .

٣- أنظر العقد الفريد ٤ : ٣١ .

٤- أنظر الأغاني ٣ : ٢٨٢-٢٨٤ .

سمره مع أهل بيته وخاصة ، فقال لهم : "ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله ، فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : "امرؤ القيس" ، وقال بعضهم : "الأعشى" ، فلما فرغوا قال : "أشعر الناس والله من هؤلاء الذي يقول ، وأنشد لمعن بن أوس (ت ٦٤ هـ) :

"وذي رحمٍ قَلَمَتْ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ
بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ" (١)

والمناظرات الشعرية بين الشعراء كانت متعة عبد الملك ، وقد كانت سبب ارتباط الشعراء بالبلاط على نطاق واسع ، إذ نلاحظ أن البارزين من شعراء العصر بدأوا يتقربون منه ويتنافسون بين يديه لإظهار قدرتهم الشعرية وتفوقهم . وكان عبد الملك يقف منهم موقف الحكم . وعندما اجتمع جرير (ت ١١٠ هـ) مع الفرزدق (ت ١١٠ هـ) في مجلس عبد الملك ، قال الفرزدق : "النوار بنت مجاشع طالق إن لم أقل بيتا لا يستطيع ابن المراغة (٢) أن ينقضه أبدا ، ولا يجد في الزيادة عليه مذهبا" . فقال عبد الملك : "ما هو ؟" ، فقال :

١- زهر الآداب ٢ : ٨١٧ - ٨١٨ ، وانظر الأمالي ٢ : ١٠١ - ١٠٣ .

٢- يقصد جريرا . والمراغة هي الأتان . انظر اللسان مادة مرغ .

"فإني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك ، فأنظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يا ابن الأتان بوائيل من الموت إن الموت لا شك نائله"

فأطرق جرير قليلا ثم قال : " أم حرزة طالق منه ثلاثا ، إن لم أكن نقضته وزدت
عليه " ، فقال عبد الملك : " هات ، فقد والله طلق أحدكما لا محالة ، وأنشد :

"أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيك يا ابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر يغنى الموت والدهر خالد فجنني بمثل الدهر شيئا يطاوله" .

فقال عبد الملك : " فضلك والله يا أبا فراس ، وطلق عليك " . (١)

وكان عبد الملك مرهف الذوق سريع الانفعال لما قد يصدر عن الشاعر من
الفاظ تخرج عن حدود اللياقة ، وعندما أوفد الحجاج جريرا إليه وحضر بين
يديه ، استأذنه بالإشاد ، فأذن له فقال :

"أصْحُو بِلْ فَوَادِكْ غَيْرِ صَاحِي"

قال له عبد الملك : " بل فوادك " ، فلما انتهى إلى قوله :

"أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحٍ"

١- بدائع البداية ١ : ١٧-١٨ . وانظر نيل الأمان ص ٦٦-٦٧ ، حيث وردت منظره
في مجلس عبد الملك حضرها عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٣ هـ) وكثير عزة (ت ١٠٥ هـ)
وجميل ابن معمر (ت ٨٢ هـ) .

ارتاح عبد الملك ، وكان متكئا ، فاستوى جالسا ، ثم قال : " من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت . . . " (١) .

وكان يضع الجوائز للشعراء تشجيعا لهم على التجويد ، فعندما اجتمع جرير والفرزدق والأخطل في مجلس عبد الملك أحضر بين يديه كيسا فيه خمسمائة دينار ، وقال لهم : " ليقل كل منكم بيتا في مدح نفسه ، فأبكم غلب فله الكيس " ، فبدر الفرزدق فقال :

" أنا القَطْرانُ والشعراءُ جَرَّيسُ وفي القَطْرانِ للجَرَّيسِ شفاءٌ "

فقال الأخطل :

" فَإِنْ تَكُ زَمَلَةٌ فَإِنَّي أنا الطاعونُ ليس له دواءٌ "

فقال جرير :

" أنا الموتُ الذي آتِي عليكمُ فليس لها ربٌّ مِنِّي نَجاءٌ "

فقال : " خذ الكيس ، فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء " (٢) .

١- العقد الفرید ٢ : ٨٣ - ٨٤ .

٢- بدائع البدائة ١ : ١٦ - ١٧ .

ولتعمقه في فهم الشعر كان يغيّر بعض كلام الشعراء ليستقيم ويصبح معبرا عن المعنى الأفضل، وكان لا يستأثر بذلك دون جلسائه، وإنما كان يعرضه عليهم للتداول والمناظرة (١).

وتبع الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) خطة أبيه في تقريب الشعراء، وكانت مجالسه شبيهة بمجالس والده حيث كانت المناظرات الشعرية تدور بين الشعراء كالمناظرة التي جرت بين عدي بن الرقاع العاملي (ت نحو ٩٥ هـ) وجريه، والتي انتصر فيها الوليد لعدي بن الرقاع ومنع جريه من هجائه بعدما ردّ على إفحاش جريه بأقسى منه (٢).

وارتاد بعض الوعاظ مجلسه وكانت بعض أحاديثهم تتناول نصائح وتحذيرا للخليفة، فقد دخل أحدهم عليه فقال له: "ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟" قال: "ما هو يا أمير المؤمنين؟" قال: "يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات، ولم يكتب له السيئات"، قال: "باطل يا أمير المؤمنين، أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟" قال: "بل نبي خليفة"، قال: "فإن

١- أنظر الفخري في الآداب السلطانية ص ٨٩ .

٢- بدائع البدائة ١: ١٤ - ١٥ .

الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام : " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " (١) .
فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة هـها ظنك بخليفة غير نبي ؟ " قال :
" إن الناس ليغووننا عن ديننا " (٢) .

ويروى عن سليمان بن عبد الملك (٩٦ هـ - ٩٩ هـ) قوله : " ما أنا اليم
إلى شيء أحوج مني إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ فيما بيني وبينه " (٣)
ولكننا لم نعثر على جليس اختص به على الرغم من أن ابن خلكان يروي عن
عتيق بن عامر ابن عبد الله بن الزبير (٤) أنه كان نديمه (٥) .

١- سورة ص : ٢٦ .

٢- العقد الفريد ١ : ٧٠ - ٧١ .

٣- عيون الأخبار ١ : ٣٠٨ .

٤- عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير ، ذكر في "جمهرة نسب قريش وأخبارها" ١ :
٢٢٩ " حيث جاء أنه قتل وابنه عمر ، كما ذكره صاحب كتاب "نسب قريش" ص ٢٤٣ .
ويتحدث صاحب "جمهرة نسب قريش وأخبارها" ص ٢٢٠ عن والده عامر بن عبد الله
ابن الزبير فيقول : " كان من العباد المنقطعين . . . وكان يواصل الصيام ثلاث ليال " .

٥- وفيات الأعيان ، ٢ : ٤٢٤ - ٤٢٥ .

وقد اتصل به من الشعراء الفرزدق وجريز والأخطل وكانوا ينشدونه
ويسمرون عنده (١)

وقد رعى سليمان المغنين وشجعهم وأجاز بعضهم ، ويروى أنه جمعهم
عندما قدم المدينة ، وسبق بينهم ببدرة ، فاز بها ابن سريج (٢) (ت ٩٨ هـ) .

ولم يختص عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ) جلساء معينين ، وبلاطه يذكرنا
ببساطة مجالس الرسول (ص) والخلفاء الراشدين ، ونظرته للجلسيس تذكرنا بنظرتهم ،
فقد قال عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (٣) (ت ٩٨ هـ) : " لأن
يكون لي مجلس من عبيد الله أحب إلي من الدنيا " ، وأضاف : " والله لأشتري

١- العقد الفريد ٥ : ٣٨٤ .

٢- الأغاني ٧ : ٦٣ .

٣- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي مفتي المدينة وأحد الفقهاء
السبعة فيها ، من أعلام التابعين . وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز . ذهب بصره
ومات بالمدينة . كان ثقة عالما ، وله شعر جيد . راجع ترجمته في الأعلام ٤ :
٣٥ . حيث يذكر مصادره .

ليلة من ليالي عبید الله بألف دينار من بیت الله ، فقال جلساؤه : " يا أمير المؤمنين ، تقول هذا مع تحريك وشدة تحفظك ؟ " قال : " أين يذهب بكم ؟ والله إني لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف ، إن في المحادثة تلقيا للعقل وترويحاً للقلب ، وتسريحاً للهم وتنقيحاً للأدب " (١) .

ويمكن أن يكون اتصال حماد الراوية (٢) (ت ١٥٥ هـ) بيزيد بن عبد الملك العلاقة البارزة في مجالسات البلاط الأموي ، فهو أول جلس - أوندیم - من أصل غير عربي اتصل بالبلاط الأموي . ويمكن اعتباره أحد من أسهموا في انجراف البلاط الأموي في تيار العبث والاستهتار ، ويجوز أن يكون جفاً هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) له (٣) ، لما يعرفه عن حماد من ارتباطه بالمتهميين بالزندقة ، كحماد عجرد (ت ١٦١ هـ) ، ومطيع بن إياس (١٦٦ هـ) وحماد بن الزبرقان وغيرهم (٤) . وهكذا فإنه يظن أنه دفع الخليفة إلى الشرب (٥) .

-
- ١- وفيات الأعيان ٣ : ١١٥ ، وانظر العقد الفريد ٢ : ٢٣١ .
 - ٢- راجع ترجمته في الملحق الأول .
 - ٣- راجع معجم الأدباء ١٠ : ٢٥٨ .
 - ٤- أنظر الأغاني ١٤ : ٣٢٢ ، و ١٨ : ١٠١ .
 - ٥- يتحدث صاحب التاج ص ٣٠ عن يزيد بن عبد الملك فيقول : " وقد غلب عليه اللهو . . . وأذن للندما " في الكلام والضحك والهزل في مجلسه والرد عليه وهو أول من شتم في وجهه من الخلفاء على جهة الهزل والسخف " .

وكان يزيد بن عبد الملك متعلقا بالمغنين ، ويروى أنه قال لمعبد المغني (١)
(ت ١٢٦ هـ) : "إني أوتر الطرب على كل شي" (٢) .

ولم يرض هشام بن عبد الملك عن أعمال سلفه وتصرفاته في مجالسه ، فأعاد
الوقار إلى مجلسه ، ولم يظهر ندما الشراب عنده . ولذا فإننا أمام نوعين من
الجلساء في بلاطه هما الشعراء والمحدثون ، وقد أرق ليلة فقال لحاجبه :
" ابغني رجلا فصيحاً يحدثني وينشدني " . فجيء بأبي النجم الراجز (٣) (١٣٠ هـ)
الذي أنشده وحديثه بما أضحكه ، ونال جائزته (٤) .

١- معبد بن وهب ، أبو عباد المدني : نابغة الغناء العربي في العصر الأموي ،
كان مولى لبني مخزوم ، وتشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه ، وربما اشتغل بالتجارة
ولما ظهر ببغية في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة ، ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها
وارتفع شأنه . كان أديباً فصيحاً ، وعاش طويلاً إلى أن انقطع صوته . ومات في
عسكر الوليد بن يزيد . وأصواته وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ٨ : ١٧٨
حيث يذكر ترجمته .

٢- الأغاني : ١ : ٦٨ .

٣- أبو النجم ، الفضل بن قدامة العجلي ، من بني بكر بن وائل ، من أكابر الرجاج ، ومن
أحسن الناس إنشادا للشعر . نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس معبد
الملك بن مروان وابنه هشام . راجع ترجمته في الأعلام ٥ : ٣٥٧ حيث يذكر مصادره

٤- العقد الفريد ١ : ٣٦٧ - ٣٦٩ .

وقد اضطر هشام إلى استدعاء حماد الراوية ليسأله عن بيت شعر خطر له
لا يعرف قائله^(١)، ولكن مع هذا لم يحظ عنده، ولم يصبح جليسا ملازما له .
وقد اختص به خالد بن صفوان^(٢) (١٣٣ هـ) وجالسه .

ولكن الحلقة البارزة في مجالس العصر الأموي يمثلها بلاط الوليد بن يزيد
ابن عبد الملك صاحب نظرية : " لا تؤخر لذة اليم إلى غد "^(٣) الذي جمع حوله
كل ما يساعده على تحقيق هذه النظرية .

فالوليد نادى أميرا وأمير المؤمنين - وقد افتتح عهده عندما تولى الخلافة بمجلس
ندام عقده عندما علم بموت سلفه هشام بن عبد الملك ، وقد صور ذلك المجلس
بقوله :

١- معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٠ - ٢٦١ .

٢- خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهمتم التميمي المنقري . من
فصحاء العرب الخطباء ، كان حافظا للأخبار وكل ما تصرف فيه أهل الأدب .
جالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك . ولد ونشأ في البصرة ، وله
كلمات سائرة ، ولفصاحته كان أقدر الناس على مدح شيء وذمه . كان يرمى
بالبخل ، وكف بصره . راجع ترجمته في الأعلام ٢ : ٣٣٨ حيث يذكر مصادره .

٣- المخلاة ص ١٥٦ .

طَابَ يَوْمِي وَلَدْتُ شَرِبَ السُّلَافَةَ إِذْ أَتَانِي نَعِيٌّ مِّنَ الرُّصَافَةِ
وَأَتَانَا الْبَرِيدُ يَنْعِي هِشَامًا وَأَتَانَا بِخَاتَمٍ لِلْخِلافَةِ
فَأَصْطَبَحْنَا مِنْ خَمْرِ عَانَةٍ صِرْفًا وَلَهْوَنَا بِقَيْنَةٍ عَزَافَةِ (١)

ولا نغفل تأثره بحياة والده يزيد بن عبد الملك ، ودور مؤدبه عبد الصمد ابن عبد الأعلى (٢) في انغماسه في مجالس الشراب والمنادمة (٣) .

وقد تجاوزت علاقة حماد الراوية بالوليد بن يزيد علاقته بملابقيه من الأمويين ، فكان الوليد يستدعيه فيحمل إليه على دواب البريد ، لينشده أشعار الجاهليين ويناديه في مجالس الطرب والشرب (٤) .

-
- ١- الأغاني ٧ : ١٦-١٧ . وولع الوليد بن يزيد بالشراب جعله يستدعي شراعة بن الزند بود - وهو الخبير بأوصاف الخمر - ليتخذها نديما ومستشارا في اختيار الندماء . راجع ذلك في "العقد الفريد ٦ : ٣٣٦ ، ومرج الذهب ٣ : ٢٢٦ - ٢٢٧ .
 - ٢- عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني : أديب شاعر ، كان معروفا بالشراب وبتهم بالمجون ويرمى بالزندقة . كان مؤدب الوليد بن يزيد ونديمه ، واضطر أن يخرج من ندمائه لعدم رضى هشام بن عبد الملك عن ذلك . راجع ذلك في الأغاني ٧ : ٨-٩ ، ٢٧١ : ٨ .
 - ٣- وراجع المصدر السابق ٨ : ٢٧١ حيث يتهم عبد الصمد بالمجون والزندقة وراجع ٧ : ٨-٩ حيث تجد موقف هشام بن عبد الملك من اتصاله بالوليد بن يزيد عندما كتب إليه منكرا علاقته به : "بلغني أنك اتخذت عبد الصمد خدنا ومحدثا ونديما" ثم أمره بإخراجه من ندمائه .
 - ٤- المصدر السابق ٢ : ٢٠٩ - ٢١١ ، ٦ : ٩١ - ٩٢ ، ٩٤ ، ٧ : ٦٧ .

ومع هذا كانت لحمام الراوية مناداته الخاصة التي يقيمها بعيدا عن البلاط مع المتهمين بالزندقة - ومنهم مطيع بن إياس - الذين انضم إليهم والبة بن الحباب الذي قام بمنادته الغلمان المخنثين (١) .

وتعلق الوليد بالجلساء المغنين فكانوا يحملون إليه ويشاركونه شرابه (٢) كما حمل إليه أيضا الطفيلي أشعب (٣) (ت ١٥٤ هـ) الذي يمكن اعتباره أبرز مضحك ظهر في البلاط الأموي ، وقد استمر ينادمه حتى مقتله (٤) .

١- السابق ١٣ : ٢٧٩ ، ١٤٦ : ٣٢٢ ، ١٨٦ : ١٠١ .

٢- السابق ٤ : ٤٠٠ - ٤٠١ ، ٦٥ : ٢٥ - ٢٦ ، ١٩٦ : ١٣٣ ، وراجع أيضا ٧ : ٨٨

حيث ترى تعلقه بالغناء والمغنين ، وقد كان يخاطب عمرا الوادي المغني به " يا جامع لذتي " . وراجع ٧ : ٦٠ حيث يروى عن الوليد غناء أحد الأصوات ، وبذلك يكون الخليفة الأموي الوحيد الذي روي عنه ذلك .

٣- أشعب بن جبيرة المعروف بالطامع هو يقال له ابن حميدة هو يكنى أبا العلاء وأبا القاسم ، ظريف من أهل المدينة . كان مولى لعبد الله بن الزبير . تأدب وروى الحديث وكان يجيد الغناء . يضرب المثل بطمعه ، وأخباره كثيرة متفرقة في كتب الأدب . عاش طويلا وقيل إنه أدرك زمن عثمان بن عفان ، وسكن المدينة في أيامه . اتصل بالوليد ابن يزيد ، وقدم بغداد أيام المنصور العباسي ، وتوفي بالمدينة . راجع ترجمته في الأعلام ١ : ٣٣٣ حيث يذكر مصادره .

٤- نهاية الأرب ٤ : ٤٢ .

وتبرز عند الوليد ظاهرة جديدة وهي الخروج مع نديمه ابن عمه محمد بن سليمان بن عبد الملك إلى الأديرة ليتنادما بعيدا عن رواد مجلسه (١) .

ولعنايته بندمائه وحرصه على ألا يخرجوا سكارى من قصره ، كان يقدم للذين يتغلب عليهم الشراب دار الضيوف في قصره ليطرحوا فيها ، فيبقون هناك إلى أن يفتيقوا من خمارهم (٢) .

وقد ظهر الأثر الفارسي في مجالس مناداته إذ أمر جلساءه وندمائه بشرب "الهفتجنة" (٣) وهو شراب كانت الفرس تشربه سبعة أسابيع فشرب تسعة وأربعين يوما (٤) . كما يروي أبو الفرج الأصبهاني عنه احتجاجه عن ندمائه خلف ستارة حمراء (٥) ، ويروي أيضا اتخاذه ملابس خاصة بمجالس مناداته (٦) .

١- الأغاني ٧ : ٢٣-٢٤ .

٢- المصدر السابق ٦ : ٦٤ ، ٧ : ٦٧ .

٣- الهفتجنة : كلمة فارسية مركبة من "هفت" ومعناها سبعة و "جنة" ومعناها مرح . راجع

الأغاني ٧ : ٦١ الحاشية رقم (٢) .

٤- المصدر السابق ٧ : ٦١ .

٥- المصدر السابق ٧ : ٤٥ ، ٤٦ .

٦- المصدر السابق ٧ : ٨٣ .

ولما جاء مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢ هـ) حاول أن يعيد إلى مجالس البلاط هيبتها بعد الوليد بن يزيد ومن تلاه من ضعاف الأمويين ، فبرز العلماء المحدثون في مجلسه ، وقد اختص منهم الجعد بن درهم^(١) (ت ١١٨ هـ) - وكان أحد المتكلمين - ولشدة ارتباطه بمجالسه ولتأثيره عليه لقب مروان بالجعدي^(٢) . كما اتخذ مروان عبد الحميد الكاتب (ت ١٣٢ هـ) جليسا ، ومؤدبا لابنه عبد الله ابن مروان يثقفه ويوجهه توجيهها سليما . ورسالة عبد الحميد إلى عبد الله تكشف لنا الدور الذي وكل إليه ، حيث جاء فيها : " ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلاؤك في سرّك أهل العفة والورع من خاصة أهل بيتك وعامة قوادك ، ممن قد حنكته السن بتصاريف الأمور"^(٣) .

وهكذا فإن البلاط في العصر الأموي كان حافلا بجلساء وندماء من الشعراء والعلماء والوقاظ والمغنين والمضحكين الذين شملهم الخلفاء برعايتهم ، وبهذا ساعد

١- الجعد بن درهم من الموالي مبتدع ، له أخبار في الزندقة . أخذ عنه مروان بن محمد فنسب إليه ، أو كان الجعد مؤدبه في صغره ، ومن أراد ذم مروان لقبه بالجعدي وقال ابن الأثير : " كان مروان يلقب بالجعدي لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر " وقيل : " كان الجعد زنديقا " . راجع ترجمته في الأعلام ٢ : ١١٤ حيث يذكر مصادره .

٢- صبح الأعشى ١٣ : ٢٥٢ .

٣- رسائل البلغاء ص ١٧٨ .

البلاط الأموي على نمو الحركة الأدبية والفنية والعلمية ، لأن الجلساء كانوا يتنافسون بين يدي الخلفاء كما رأينا في مجالس عبد الملك بن مروان الأدبية وفي بلاط سليمان ابن عبد الملك الذي كان يشجع المغنين ويقدم لمن يتفوق بحضرته الجوائز .

وإذا نظرنا إلى العصر الأموي وجدنا أن مجالس المحادثة والسمر كانت هي الغالبة عليه ، وأما مجالس الشرب والمنادمة فلم تبرز بشكل واضح إلا في مجلسي يزيد ابن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد .

وقد تبين لنا أن مجالس الغناء والطرب قد ساعدت على اتجاه هذين الخليفين إلى العبث والاستهتار .

وإذا كان العصر الأموي قد ختم بمروان بن محمد الذي حاول أن يعيد إلى البلاط وقاره ، فإنه لم يفلح في ذلك ، لأن الدعوة العباسية استشرت وتعاظمت ووضعت نهاية للدولة الأموية ذات الوجه العربي لتقوم على أنقاضها دولة بني العباس التي قامت على كاهل العناصر غير العربية وفي مقدمتهم الفرس .

في العصر العباسي

احتضنت فارس الدعوة العباسية التي وجدت فيها بيئة صالحة ساعدتها على النمو والتطور. فشارك الفرس في موازرتها بإخلاص طامعين في قيام دولة يكونون فيها العنصر المقدم، لأنهم لم يستطيعوا التغلغل في الدولة الأموية التي كان من سياستها الاعتماد على العناصر العربية والحفاظ على سيادة الجنس العربي، وهذا ما جعل الموالي يحقدون عليها ويعملون على مساندة كل من يسعى لمناوتها والإدالة منها .

وبرز من قادة الدعوة العباسية أبو مسلم الخراساني (ت ١٣٧ هـ) الذي أسهم في قتال الأمويين وهزيمتهم وتقويض دولتهم . وعندما قامت الدولة العباسية اعتبرها الفرس دولتهم .

ومنذ تأسيس الدولة العباسية نقل الخلفاء العباسيون مقر حكمهم إلى العراق ليكونوا قريبين من حلفائهم الفرس وبعيدين عن أعدائهم أهل الشام أنصار الأمويين . وقد أسهم ذلك في انخراط الفرس في خدمة الدولة الجديدة، فوصل كثير منهم إلى مناصب كثيرة هامة فيها ، فأبو العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦ هـ) اتخذ أبا سلمة الخلال

(ت ١٣٢ هـ) الفارسي الأصل أول وزير له^(١)، كما استوزر بعده فارسيا آخر هو خالد بن برمك (ت ١٦٣ هـ) الذي حاول أن يكون مجلسه مقصدا للوافدين عليه من شعراء ورجال علم وغيرهم^(٢). وسار الخلفاء الذين تلوا السفاح على هذه السنة، فقدّموا الفرس واستوزروهم حتى أننا نرى عائلات فارسية قد أعطت البلاط العباسي عددا من الوزراء، فالبرامكة مثلا كانوا وزراء الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) وبنو سهل وزراء المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) واستطاع هؤلاء الوزراء - والبرامكة خاصة - أن يسيطروا على مقاليد الحكم بحيث شاركوا الخليفة في تصريف شؤون الدولة، وكادوا يستأثرون بما له من سلطان وهيبة، وهذا ما دفعهم إلى التشبه بالخلفاء في مجالسهم.

وحرص الوزراء الفرس على تقريب العناصر غير العربية من بلاط الخلفاء ليكونوا محاطين بحاشية يستطيعون أن ينفذوا من خلالها إلى تحقيق مآربهم، وذلك مثلما

١- الفخري في الآداب السلطانية ص ١٠٩ - ١١٠.

٢- المصدر السابق ص ١١١.

يروى عن يحيى بن خالد البرمكي (ت ١٩٠ هـ) الذي عزم على استخدام الفضل ابن سهل^(١) (ت ٢٠٢ هـ) للمأمون - قبل ولايته الخلافة وهو أمير - فقرّضه بحضرة الرشيد ، فقال : "أوصله إليّ" ، فلما وصل إليه أدركته حيرة ، فسكت ، فنظر الرشيد إلى يحيى نظرة منكر لاختياره ، فقال له الفضل : "يا أمير المؤمنين ، إن أعدل الشواهد على فراهة^(٢) المملوك أن تملك قلبه هيبة سيّده ، فقال له الرشيد : "لئن كت سكتّ لتصوغ هذا الكلام ، لقد أحسنت ، ولئن كانت بديهة لهو أحسن وأحسن" . ولم يسأله بعد ذلك عن شيء إلا أجابه بما يصدّق تعريض يحيى له"^(٣).

ولم يقتصر تغلغل العناصر الأجنبية في قصور الخلفاء على الوزراء ، بل إن قصورهم امتلأت بعشرات آلااف من الخدم والغلّمان والجواري والحراس وكلّهم من غير العرب^(٤) .

١- الفضل بن سهل السرخسي ، أبو العباس ، وزير المأمون وصاحب تدبيره . اتصل به في صباه وأسلم على يده ، وقد جعل له الوزارة لما ولي الخلافة ، كما جعل له قيادة الجيش ، فلقب بذي الرياستين : الحرب والسياسة . مولده ووفاته في سرخس بخراسان ، وقد قتله جماعة بينما كان في الحمام ، وقيل إن المأمون دسّهم له وقد ثقل عليه أمره ، وكان حازما عاقلا فصيحاً ، وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ٥ : ٣٥٤ حيث يذكر مصادره .

٢- الفراهة : من فره بمعنى ملح . راجع اللسان مادة فره .

٣- الوزراء والكتاب ص ٢٣١ .

٤- رسوم دار الخلافة ص ٧-٩ .

وإذا علمنا أن معظم الخلفاء العباسيين تزوّجوا بغير العربيات ، فإننا ندرك تأشيرهن على أولادهن الذين تولوا الخلافة •

وهكذا أحيط الخلفاء بحاشية كبيرة ضمت في معظمها عناصر غير عربية ، وكان الفرس يشكلون معظمها ، وقد عمل هؤلاء على نقل ما يحملون من آثار حضارية إلى البلاط العباسي • فالداووين أصبحت تنظم على الطريقة الفارسية^(١) ، كما انتقلت تقاليد البلاط الفارسي ورسومه وأنظمته إلى البلاط العباسي ، وحوّلت هذه التقاليد الخلفاء العباسيين إلى أكاسرة مسلمين اقتبسوا كل ما نقل إليهم عن أكاسرة الفرس ، كقوانين الحجابة ورسومها ، وآداب الخدمة والمجالسة وغير ذلك مما كان معروفا في البلاط الساساني^(٢) •

ومن مظاهر تقليد الأكاسرة في البلاط العباسي أن عامل الخلفاء أبناءهم معاملة ملوك الفرس لأبنائهم ، فملوك الفرس كانوا لا يسمحون لهم بالدخول عليهم إلا بعد الإذن لهم وأمر الحجاب أن يكونوا عليهم أغلظ منهم على من دونهم من أفراد الحاشية والخدم ،

-
- ١- كان ما يكتب في الداووين قبل وزارة خالد بن برمك يثبت في صحف ملكن خالد كان أول من جعلها في دفاتر على الطريقة الفارسية • أنظر : الوزراء والكتاب ص ٨٩ •
 - ٢- راجع رسوم دار الخلافة ص ٣١ ، ٧١ ، وهذا الكتاب مخصص للحديث عن حالة البلاط العباسي وما كان يخضع له من تقاليد كلها دخيلة •

ويروى أن يزدجرد رأى ابنه بهرام جور بموضع لم يكن له ، فقال له : "مررت بالحاجب؟" قال : "نعم" قال : "وعلم بدخولك؟" قال : "نعم" ، قال : "فاخرج إليه واضربه ثلاثين سوطاً ونحّه عن الستر ، ووكل بالحجّابة آزاد مرد . ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن ثلاث عشرة . ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه . فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل ، دفع آزاد مرد في صدره دفعة وقذه ^(١) منها ، وقال : "إن رأيتك بهذا الموضع ثانية ضربتكَ ستين سوطاً ، ثلاثين منها لجنايتك على الحاجب بالأمس ، وثلاثين لثلاثي تطمع في الجناية عليّ" . فبلغ ذلك يزدجرد فدعا آزاد مرد ، فخلع عليه ، وأحسن إليه ^(٢) . ويروى عن حاجب المعتصم أنه بصّر بالوائق واقفاً في موضع لم يكن له أن يقرب منه ، ولا أن يقف به فغزبه ^(٣) ، وقال : "تتجّ ، فوالله لولا أنني لم أتقدم إليك في ذلك ، لضربتك مائة سوطاً" ^(٤) .

١- وقذه : أوجعه وآلمه . اللسان مادة وقذ .

٢- التاج ص ١٢٥ - ١٢٦ .

٣- زبره : انتهره ونهاه . انظر اللسان مادة زبر .

٤- الشايخ ص ١٢٧ والمحاسن والمساوي ص ١٧١ . وراجع التاج ص ١٢٦ حيث

يروى أن موسى الهادي دخل على أمير المؤمنين المهدي فزبره وقال : "إياك أن

تعود إلى مثلها إلا أن يفتح بابك" .

وشاعت مظاهر الحضارة الفارسية في البلاط، فأخذ الخلفاء يقلدون الأكاسرة في الاحتفال بالأعياد الفارسية، فالمتوكل مثلاً يحتفل بالنوروز ويقبل فيه الهدايا^(١).

وقد أسهمت الأموال الطائلة التي وردت على الخزينة في بغداد من بقاع الدولة المختلفة في إشاعة الترف في القصور، ويصف الجهشيارى مجلس المهدي وما فيه من مظاهر الزينة والترف فيقول: "في مجلس فرشه موردة، وعليه ثياب موردة وعلى رأسه جارية عليها ثياب موردة...".^(٢) ويظهر الترف الذي لا يصدق في زواج المأمون ببوران ابنة وزيره الحسن بن سهل (ت ٢٣٦هـ)، إن صح ما روي لنا عن ذلك^(٣).

وتبع ذلك الترف بذخ وتأنق في الملابس والثياب، فعمت الأزياء الفارسية التي لبسها الخلفاء كالقلانس وغيرها^(٤). كما تنوعت الأطعمة، وتأنقوا فيها، ويروى أن مائدة المأمون ضمت ذات يوم ثلاثمائة لون^(٥).

١- الديارات ص ٣٧ .

٢- الوزراء والكتاب ص ١٦٠ .

٣- الفخري في الآداب السلطانية ص ١٦٣ - ١٦٤ .

٤- رسوم دار الخلافة ص ٨١ .

٥- تاريخ الأدب العربي (شوقي ضيف) ٣: ٥٣ .

ومن مظاهر الترف أيضا الألعاب التي اتخذها الخلفاء للتسلية ، وكان الرشيد أول من أشاع الرمي بالنشاب على البرجاس^(١) ، كما كان أول من لعب بالصولجان والكرة ، وأول من لعب الشطرنج والنرد وقرب اللاعبين^(٢) . ونرى اهتمام الخلفاء بسباق الخيل مثلما يروي الجهشيارى عن هارون الرشيد ، ومثلما يروي عن ولع الخلفاء بالصيد^(٣) .

وشاع الغناء في هذا العصر ، وشغف به الخلفاء بحيث ضمت قصورهم مشاهير المغنين أمثال إبراهيم الموصلي^(٤) (ت ١٨٨ هـ) وابنه اسحق^(٥) (ت ٢٣٥ هـ) وغيرهما ٠٠٠ وبحيث نرى أن بعض الخلفاء وابناءهم يقبلون على تعلم هذا الفن وإجادةه ، وذلك مثلما يروي عن عليّة بنت المهدي (ت ٢١٠ هـ) وأخيها إبراهيم ابن المهدي^(٦) (ت ٢٢٤ هـ) والخليفيتين

١- البرجاس غرض بالهوا يرمى إليه بالنشاب . راجع الترجمة والنقل عن الفارسية

٢٤٧ : ١ الحاشية رقم ٣ .

٢- المصدر السابق : ١ : ٢٤٧ .

٣- الوزراء والكتاب ص ١٤٦ ، ١٧٣ ، ٢٠٧ .

٤- أنظر ترجمته في الملحق الأول .

٥- أنظر ترجمته في الملحق الأول .

٦- إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، الهاشمي العباسي ، أبو اسحق ، ويقال له ابن شكلة ، وهو أخو هارون الرشيد . ولد ونشأ ببغداد ، وكان أسود عظيم الجثة ، وكان فصيحاً حازقاً في الغناء . ولأه الرشيد إمرة دمشق ، ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم اتخذ فرصة للدعوة إلى نفسه وتغلب على الكوفة والسواد . ودامت خلافته ببغداد نحو السنتين (٢٠٢-٢٠٤ هـ) ولما تم الأمر للمأمون ظفر به سنة ٢١٠ هـ . ومات بسامرا . راجع ترجمته في الاعلام : ١ : ٥٥ - ٥٦ حيث يذكر مصادره .

الوائق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) والمنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) وغيرهم •

وأصيب المجتمع العباسي بآفة الإسراف في شرب الخمر، وأدى ذلك إلى
تفنن الشعراء في وصفها ووصف كووسها ومجالسها، ودفع ذلك كله إلى انتشار
موجة المجون والعبث والاستهتار •

ولا نغفل دور النقل عن الفارسية في إغراق البلاط في بحر التقاليد
والرسم المتعلقة بآداب الخدمة التي لم يعهد لها ذوو السلطان العرب، وبرز
عبد الله ابن المقفع رائدا في النقل عن التراث الساساني (١) •

وعندما تولى أبو العباس السفاح قلد الأكَاسرة في مجالسهم فبدأ عهده
بالظهور لجلسائه ثم احتجب عنهم بعد سنة خلت من ملكه (٢) •

١- أنظر الملحق الثاني •

٢- أنظر مرجع الذهب ٣: ٢٧٩، حيث يذكر أنه كان يجلس وراء سترة ويشير
أيضا إلى أن جلساءه كانوا يقعدون بحضرتهم على حسب ترتيب أردشير بن
بابك •

ولم يظهر نديم الشراب في بلاطه ، ويمكن أن يعود ذلك إلى قيام الدعوة العباسية على أسس ومبادئ دينية ، وكان العباسيين كانوا يريدون ألا يتشبهوا ببعض الأمويين الذين سيطر الاستهتار على مجالسهم . وعلاقة السفاح بأبي دلامة^(١) (ت ١٦١ هـ) تظهر لنا موقفه من شرب الخمر عنده ، وتوضح لنا سبب هرب أبي دلامة من مجالسه إلى الحانات لأنه لا يشرب عند الخليفة ، فعندما قال له السفاح : "مالك تحيد عن مجالستنا وتهرب من مؤانستنا؟" والله ، يا أمير المؤمنين ، إن الفضل والشرف والعز والخير كله في الوقوف ببابك ولزوم خدمتك ، ولكن نكره أن تملونا ، فتنعص أنفسنا من أجل ذلك" ، فقال أبو العباس : "لا والله ما ذلك كما ذكرت ، ولا مللتك قطه وإنك لتعلم ذلك ، ولكنك قد اعتدت حانات الخمارين ومجالسة أهل المجون" ، ثم أمره بلزوم قصره ، ووكل به من يمنعه الخروج ، وأمره بملازمة المسجد الذي يصلي فيه السفاح^(٢) .

١- زند بن الجون الأسدي بالولاء ، أبو دلامة ، شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعامة أسود اللون ، كان أبوه عبدا لرجل من بني أسد وأعتقه ، نشأ في الكوفة واتصل بالخلفاء من بني العباس فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلواتهم ، وله في بعضهم مدائح . وكان يتهم بالزندقة لتهمته . وأخباره كثيرة متفرقة في الكتب . راجع ترجمته في الأعلام ٣ : ٨٤ حيث يذكر مصادره .

٢- ذيل زهر الآداب ص ٩١ .

وكان السفاح مشغولاً بمحادثة الرجال ومسامرتهم ، ولذلك نراه يقرب خالدا بن صفوان الذي عرف كيف يتقرب منه ، ويتمكن عنده باستغلال عصبية السفاح المضربة عندما كان ينازع الرجال بحضرتة (١) .

والسفاح أول الخلفاء العباسيين الذين يروى عنهم تنظيم نوبات معينة لحضور الجلوس ، فقد جاء في المحاسن والمساوي : " أنه كان يعقب بين أصحابه ومسامريه ، وكانت هناك ليلة مخصصة يحضر فيها سعيد بن عمرو ابن جعدة بن هبيرة المخزومي . (٢) .

ومجى أبي جعفر المنصور (١٣٦ هـ - ١٥٨ هـ) استمر اختفاء نديم الشراب ، ولكن مجلسه شهد تقرب عناصر فارسية كان لها الأثر في منادات استمرت حتى القرن الرابع الهجري ، فاتصاه بأبي منصور المنجم مهّد الطريق أمام أبنائه وأحفاده من آل المنجم للاتصال بمجالس الخلفاء ومنادمتهم (٣) .

١ - المستطرف ١ : ١٥٩ - ١٦٠ .

٢ - أنظر المحاسن والمساوي ٥٠٤ - ٥٠٥ حيث يذكر سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي ويقول إن جدته أم هاني بنت أبي طالبه وإنه كان قد كبره بعد أن شهد عامة سلطان بني أمية ، فأرعثته السن ، وقد اتصل بالسفاح وحدثه بأخبار بني أمية .

٣ - راجع اتصاله بأبي المنصور المنجم في وفيات الأعيان ٦ : ٢٨ - ٢٩ .

ومن المحدثين الذين حظوا عنده عبد الملك بن حميد (ت ٢٢٦ هـ) ، وكان يتعلل عليه ، فأمره المنصور أن يتخذ من ينوب عنه بحضرته إذا غاب ، فاتخذ أبا أيوب المورياني (ت ١٥٤ هـ) الذي استطاع أن يتقلد دواوين الوزارة بالإضافة إلى مجالسته ، وكان المنصور لا يصبر على غيابه عن مجالسه ، ولا يحتمل ذلك ، حتى قيل إنه سحره ، وبلغ من خصيصة أبي أيوب به أن أم سليمان الطلحية - زوج المنصور - اتخذت لأبي جعفر مجلسا في الصيف وجعلت فيه الرياحين والثلج وسائر الطيب ، فلما صار إليها ، أعجب ببرده وحسنه ، ثم قال لها : " ما انتفع بما أنا فيه ! " قالت : " ولم يا أمير المؤمنين ؟ " قال : " إنه ليس معي أبو أيوب فيحدثني ويؤنسني " ، قالت : " يا أمير المؤمنين ، إنما هيأته لسرورك فتبعث إليه " ، فبعث إليه فحضر ، فقال له : " يا أبا أيوب ، كما رأيت طيب هذا الموضع ولذته ، لم أنتفع به حتى تكون معي فيه " ، فدعا له وأقام معه^(١) .

والشرقي بن القطامي^(٢) (ت نحو ١٥٥ هـ) اتصل به مؤدبا لابنه المهدي وسميرا محدثا في مجالسه^(٣) .

-
- ١- الوزراة والكتاب ص ٩٧ - ٩٨ .
 - ٢- الشرقي بن القطامي هو الوليد بن الحصين الكلبي ، أبو المثنى ، والشرقي لقبه والقطامي لقب أبيه ، وهو كوفي ، عالم بالأدب والنسب ، وكان صاحب سمر ، استفد منه المنصور من الكوفة ليعلم ولده المهدي . وقد رويت له عشرة أحاديث ضعيفة . راجع ترجمته في الأعلام ١٢٩ : ٩ حيث يذكر مصادره .
 - ٣- راجع مرجع الذهب ٣ : ٣٢٩ - ٣٣١ .

وتقرَّب أبو دلامة من المنصور فقام بإضحائه وإدخال السرور إلى قلبه ، فقد دخل على المنصور وعنده المهدي وعيسى بن موسى (ت ١٦٢ هـ) ، فقال له المنصور : " أهج بعض من في المجلس " فقال في نفسه : " من أهجو؟ الخليفة أم ابن أخيه؟ ما أحد أحق بالهجاء مني فقال :

فَلَسْتُ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا كِرَامَةٌ "أَلَا أَبْلِغُ لَدَيْكَ أَبَا دُلَامَةَ
غَذَاكَ اللَّئِيمُ تَتَّبَعَهُ الدَّمَامَةُ جَمَعَتْ دَمَامَةً وَجَمَعَتْ لَوْمًا
وَخَنْزِيرٌ إِذَا وَضَعَ الْعِمَامَةَ إِذَا لَبَسَ الْعِمَامَةَ قُلْتُ قَرْدًا

فضحك المنصور وأمر له بجائزة" (١) .

وجالسه جماعة من الوعاظ منهم شبيب بن شيبه (٢) (ت نحو ١٧٠ هـ) ، وعمرو

١- المحاسن والمساوي ص ٢٨٧ ، وراجع العقد الفريد ٦ : ٤٣٩ .

٢- شبيب بن شيبه بن عبد الله التميمي المنقري ، أبو معمر : أديب الملوك ، وجليس الفقراء ، وأخو المساكين . من أهل البصرة ، كان يقال له الخطيب لفصاحته ، وكان شريفاً من الدهاة ، ولمنادته الخلفاء كان يفرح إليه أهل بلده في خوائجهم . راجع ترجمته في الاعلام ٣ : ٢٢٩ حيث يذكر مصادره .

ابن عبيد^(١) (ت ١٤٤ هـ) ، والأوزاعي^(٢) (ت ١٥٧ هـ) الذي كان يستدعيه لسماع مواعظه وإرشاده ، ويظن أن هؤلاء الوعاظ كانوا يعتبرون أنفسهم مكلفين بمراقبة حياة الخلفاء في قصورهم وتوجيه نقدهم لما يظنوا على حياتهم من مخالفة للمبادئ الإسلامية .

ولم ينجح الوعاظ عند المهدي في مقاومة المظاهر الدنيوية في بلاطه^(٣) ، وهو أول من أثار عنه الظهور لندمائه بعدما احتجب عنهم في بداية حكمه متشبهاً بمن سبقه من الخلفاء العباسيين ، وعندما عزم على الظهور لهم أشير عليه بخلاف ذلك فقال :

١- عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء ، أبو عثمان البصري ، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها وأحد الزهاد المشهورين ، كان جده من سبي فارس ، وأبوه نسا جاً ثم شرطياً للحجاج في البصرة . اشتهر عمرو بعلمه وزهده ، واتصل بالمنصور وغيره من الخلفاء . له رسائل وخطب وكتب ، توفي بحران قرب مكة وورثه المنصور ، ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . وفي العلماء من يراه مبتدعاً . راجع ترجمته في الأعلام ٥ : ٢٥٢ حيث يذكر مصادره .

٢- عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ، من قبيلة الأوزاع ، أبو عمرو ، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد ، وأحد الكتاب المترسلين ، ولد في بعلبك ، ونشأ في البقاع ، ثم سكن بيروت وتوفي فيها . عرض عليه القضاء فامتنع وله تصانيف . وكانت الفتيا تنور في الأندلس على رأيه إلى زمن الحكم بن هشام (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ٩٤ حيث يذكر مصادره .

٣- الوزراء والكتاب ص ١٤٩ .

"إنما اللذة في مشاهدة السرور، وفي الدنو ممن سرني فأما من وراء وراء، فما فائدتها ولذتها؟ ولو لم يكن في الظهور للندما، والإخوان إلا أني أعطيهم من السرور بمشاهدتي مثل الذي يعطونني من فوائدهم، ولجعلت لهم في ذلك حظا موفرا"^(١).

وهو أول من روي عنه الشرب من العباسيين، وكان بعض أصحابه يشربون عنده بحيث يراهم^(٢)، وهذا يعتبر بداية لظهور نديم الشراب في بلاط العباسيين. وقد انضم إلى مجلسه، ومغنيا ونديفا، إبراهيم الموصلي فلزمه، لكنه عندما اتصل بإبنييه الهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ) والرشيد، وناديهما عاقبه لحرصه على عدم إفسادهما^(٣).

وأسمه المهدي في فتح الباب أمام اتصال البرامكة بالبلاط العباسي، فقد أمر باستدعاء خالد بن برمك ليحدثه ويجالسه، ولعلمه ببعض الأخبار^(٤).

وقد برز في مجلسه أبو دلامة الشاعر مضحكا يقوم بدور مماثل لما قام به في بلاطي السفاح والمنصور^(٥). ولشدة تعلق المهدي به أمر بالآل يحجب عنه^(٦).

١- التاج ص ٣٤ - ٣٥.

٢- انظر الوزراء والكتاب ص ١٥٩ - ١٦٠.

٣- انظر الأغاني ٥: ١٦٠، والمحاسن والمساوي ص ١٨٩ - ١٩٠.

٤- انظر الوزراء والكتاب ص ١٥١.

٥- راجع أخبار أبي دلامة في البلاط العباسي في العقد الفريد ١: ٢٦٠ - ٢٦٦.

٦- انظر المصدر السابق ١: ٢٦٠.

والظاهرة الجديدة في علاقة المهدي بجلسائه ومعاشره أنه سمح لبعضهم بالجرأة عليه ، فعندما خرج للصيد واصطحب أبا العتاهية (ت ٢١١ هـ) ألح عليه أن يهجو^(١) ، وبذلك يكون قد أخذ يزيل حواجز الرهبة التي تفصل بينه وبين جلسائه وخطائه .

وعندما ولي الهادي لم يتردد كأسلافه في الظهور لندمائه لكنه كان أجراً منهم ، فلم يمد الستر مطلقاً في مجلسه (٢) .

وقد ظهر في مجلسه رجالان لعبا دورين مختلفين ، فابراهيم الموصلي الذي لم يزل يطلبه حتى أتى به ، كان مغنيه ونديمه ، وقد حظي عنده بمكانة عظيمة عبر عنها عندما خاطبه قائلاً : "إن من كان محله من أمير المؤمنين محلي في الانبساط وتقدم الندام ، جرأه الانبساط على الطلب ويعتته المنادمة على الرجاء"^(٣) . وقد نال منه أسنى الجوائز والصلوات .

١- المحاسن والمساوى ص ٢٨٦ .

٢- انظر الأغاني ٥ : ١٨٤ حيث جاء أنه كان : " لا يحتجب عن ندمائه ولا المغنين " .

٣- زهر الآداب ٢ : ٥٨٥ - ٥٨٦ .

وحظي عنده أيضا جليسه ومحدثه عيسى بن دأب^(١) (ت ١٧١ هـ) الذي كان
يؤاكله ويفاكهه ويسامره^(٢) . وقد كان الهادي مولعا بالشراب ، فكان يطلب منه -
وخاصة عندما يكون ثملا - أن يحدثه بأحاديث الشراب^(٣) . وكان يدعو له بمتكا
ويقول له : " يا عيسى ، ما استطلت بك يوما ولا ليلة ، ولا غبت عني إلا ظننت أنني
لا أرى غيرك " .^(٤)

ولم يظهر الجلساء الوعّاظ في مجلسه لعدم اقتناعه - على ما يبدو - بمجالستهم .

ونجح أخوه هارون الرشيد في تنظيم علاقة النديم بالبلاط ، وبدأ النديم أيامه
يظهر كأهم شخصية بين حاشية المقرّبين من الخليفة . وكان الرشيد يعطي لندمائه

١- عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثي البكري الكفاني ، أبو الوليد : خطيب ، شاعر ،
عالم بالأنساب ، راوية . من أهل المدينة . اتصل بالمهدي العباسي وحظي عند
الهادي حظوة لم تكن لأحد . اتهم بوضع الشعر وأحاديث السمر ونسبتها إلى
العرب . راجع ترجمته في الأعلام ٥ : ٢٩٨ حيث يذكر مصادره .

٢- انظر المحاسن والمساوي ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

٣- انظر معجم الأدباء ١٦ : ١٥٧ .

٤- مروج الذهب ٣ : ٢٣٥ .

وخلطائه إذنا لفترة محدودة يخيبون فيها عن مجلسه^(١) ، وذلك لأن النديم تحوّل لأول مرة الى موظف في البلاط له جار من الرزق عدا ما ينال من الصلات والجوائز . وهكذا نال ندماءؤه لاعبو النرد والشطرنج أرزاقهم^(٢) ، كما خصّ أبا العتاهية بخمسين ألف درهم كل سنة^(٣) .

ولكي يصبح مجلسه شبيها بمجالس ملوك الفرس قسم ندماءه وجلساءه طبقات^(٤) .
ويروى عن الرشيد أنه خصص دارا للندماء في قصره^(٥) .

١- راجع نهاية الأرب ٤ : ٣٥٢ ، والأغاني ٥ : ٣٧٣ - ٣٧٤ ، حيث يروى عن مخارق المغني قوله : " أذن لنا أمير المؤمنين الرشيد أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام ، وأعلمنا أنه يشتغل فيها مع الحرم ، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم " ، كما ورد في ذيل زهر الآداب (ص ٣١٩) عن ابراهيم الموصلي قوله : " استأذنت الرشيد أن يهب لي في الأسبوع يوما أخلوفيه مع جواربي " . وجاء في مطالع البدور ١ : ٢٤١ أنه حدد له يوم السبت لذلك .

٢- أنظر مروج الذهب ٤ : ٣١٦ .

٣- أنظر الأغاني ٤ : ٦٣ ، حيث جاء أن أبا العتاهية كان لا يفارقه في سفر ولا حضر إلا في طريق الحج .

٤- أنظر التاج ٣٧ - ٣٨ ، حيث يذكر أن ابراهيم الموصلي كان في الطبقة الأولى . ومن الأدلة على طبقات جلسائه ما جاء في معجم الأدباء ١٣ : ١٦٨ من إخراج الكسائي مؤدب ولده من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين ، وهذا يذكرنا بطبقات أردشير بن بابك .

٥- أنظر الوزراء والكتاب ص ٢٥٠ .

وتوثقت الروابط بينه وبين إبراهيم الموصلي ، فنراه مثلا يقصده في منزله بعد أن هب من نومه ذات ليلة ويناديه هناك بعد أن يستمع لغناء الجوّاري .^(١)

وكان الرشيد معجبا بغنائه وقد غناه صوتا فكاد يطير طربا ، فاستعاده عامّة ليله وقال : " ما رأيت صوتا يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة . . . غير هذا الصوت " .^(٢)

وكان الرشيد يصطحب إبراهيم الموصلي عند خروجه من بغداد ليقى قريبا منه . ولما خرج إلى الشام اصطحبه معه ، فدعاه يوما فدخل إليه في مجلس مفروش بالرخام فأمره بالأكل معه ، وجعل إبراهيم يتولّى خدمته إلى العصر ثم دعا بالنبيذ فشرب الرشيد وسقاه ، ثم خلع عليه خلعة وشي من ثيابه وأمر له بألف دينار ، ثم قال : " انظر يا ابراهيم ، كم من يد أوليتك إيّاها اليوم ، نادمتي مفردا ، وأكلتني ، وخلعت عليك ثيابي من بدني ، ووصلتك ، وأجلستك في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي " .^(٣)

١- أنظر الأغاني ٥ : ٢١٨ - ٢١٩ ، ومطالع البدور ١ : ٢٣٨ ، وراجع أيضا قطب السرور ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، حيث يذكر أنه ذهب متكرا إلى دار ابراهيم الموصلي وهو يركب حمارا ، فناديه " .

٢- التاج ص ٤٢ .

٣- الأغاني ٥ : ٢٠٣ .

وبدا إسحق الموصلي يبرز في مجلسه ويشاطر والده ابراهيم تقره منه فتمكن
عنده ، حتى إن الرشيد تعصب له عندما نازع أخاه المغني ابراهيم ابن المهدي (١)
وكثيرا ما كان يستدعيه ليغنيه ويناديه (٢) ، ولم يكن إسحق مغنيا عنده وحسب بل
كان محدثا ، ويروي أبو الفرج الأصبهاني أنه بعد أن غناه عدة أصوات أخذ يحدثه
بأحاديث القيان والمغنين والعرب وأيامها وأخبارها ، وينشده أشعار القدماء والمحدثين (٣)

ويعدّ الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) أشهر جلسائه المحدثين والعلماء ، وله معه أخبار
كثيرة (٤) ، ولشدة تعلقه به كان لا يحجب عنه (٥) ، واتصل به من العلماء أيضا

-
- ١- أنظر نهاية الأرب ٥ : ٤-٦ .
 - ٢- أنظر الأغاني ٥ : ٢٩٩ .
 - ٣- انظر المصدر السابق ٥ : ٣٠٠ .
 - ٤- انظر العقد الفريد ١ : ١٩٤ - ٢٠٠ ، وكان الأصمعي يعتمد الأحاديث المضحكة
وسيلة للحظوة ، وقد صرح بذلك عندما قال : " توصلت بالملح " . راجع ذلك في
المصدر السابق ١ : ١٤ ، وراجع أيضا عيون الأخبار ٣ : ٣٠٠ ، والمحاسن والأضداد
ص ١٥٣ .
 - ٥- أنظر المحاسن والمساوي ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

الكسائي (ت ١٨٩ هـ) ، وكان طرفاً في المناظرات النحوية في مجلسه (١) . وقد استدعاه الرشيد ذات ليلة ليسأله عن معاني أبيات أرقته ففسرها له (٢) . وكان هو والأصمعي لا يفارقانه ، يقيمان ببقامه ويظعنان بظعنه (٣) .

وقد اختص الرشيد من البرامكة جعفر بن يحيى (ت ١٨٧ هـ) وكان يستعين ببعض جلسائه ، فيطلب منه أن يرسلهم إليه ليحدثوه (٤) .

وأحب الرشيد الشعر والشعراء ، واختص أبا العتاهية وقربه ، ويروى أن الرشيد صنع طعاماً موزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية ، وقال : " صفا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا " ، فقال أبو العتاهية :

عَشُّ مَا بَدَأَ لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

١- انظر معجم الأدباء ١٣ : ١٧٦ ، وقد قرّبه الرشيد لتعلقه بالنحو ، وكان يقول :
" النحو يستفرغني لأنني أستدلّ به على القرآن والشعر " . انظر المصدر السابق
١٣ : ١٧٥ .

٢- انظر المحاسن والمساوي ص ٤٤٠ .

٣- انظر معجم الأدباء ١٣ : ١٨٣ .

٤- انظر المحاسن والمساوي ص ٤٠٠ .

فقال الرشيد : " أحسنت ، ثم ماذا ؟ " فقال :

" يَسْعَى عَلَيْكَ بِمَا أَشْتَهَيْتَ لَدَى الرِّوَاغِ وَالْبُكُورِ "

فقال : " حسن ، ثم ماذا ؟ " فقال :

فإِذَا النُّفُوسُ تَقَعَّقَعَتْ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَوْقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

فبكى الرشيد ، فقال أحد الجلوساء : " بعث إليك أمير المؤمنين لتسره ، فحزنته ، فقال
الرشيد : " دعه ، فإنه قد رآنا في عسى ، فكره أن يزيدنا منه " (١) .

وظهر عدد من الوعاظ في بلاطه منهم أبو يوسف القاضي (٢) (ت ١٨٢ هـ) وابن

السَّمَاك (٣) (ت ١٨٣ هـ) ، والأوزاعي . ولم يتقدم عنده منهم إلا أبو يوسف القاضي .

١- الفخري في الآداب السلطانية ص ١٤١ .

٢- يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري ، أبو يوسف القاضي . كوفي ، وهو صاحب أبي
حنيفة وتلميذه ، سكن بغداد وتولى بها القضاء للمهدي والهادي وهارون الرشيد ،
وهو أول من دعي بقاضي القضاة . اتصل بالرشيد وجالسه وكان يكرمه ويجلّه ، وكان عنده
حظياً مكيئاً . كان كثير الأحاديث . وأخباره كثيرة وله تصانيف . راجع ترجمته في وفيات
الأعيان ٦ : ٣٧٨ - ٣٨٨ حيث تجد بعض أخباره .

٣- أبو العباس محمد بن صبيح المذكر هولى بني عجل ، المعروف بابن السَّمَاك ، القاص الكوفي
المشهوره كان زاهدا عابدا حسن الكلام ، صاحب مواعظ . روى عنه أحمد بن حنبل . قدم
بغداد زمن هارون الرشيد واتصل به وجالسه ، ومكث في بغداد مدة ثم رجع الى الكوفة فمات
هناك . وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في وفيات الأعيان ٤ : ٣٠١ .

ولما سأل الرشيد الأوزاعي عن لبس السواد قال : " لا أحرمه ، ولكني أكرهه " ،
قال : " ولم ؟ " قال : " لأنه لا تجلى فيه عروس ، ولا يلبي فيه محرم ، ولا يكفن فيه
ميت " . فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف القاضي وقال : " ما تقول أنت في السواد ؟ " .
قال : " يا أمير المؤمنين ، النور في السواد " ، فاستحسن الرشيد ذلك ، ثم قال :
" فضيلة أخرى يا أمير المؤمنين " ، قال : " وما هي ؟ " قال : " لم يكتب كتاب الله
إلا به " . فاهتز الرشيد طرباً^(١)

وقد شعر بعض الوعاظ أن الرشيد يقرب من يفتي بما يروقه ، فاجتهدوا في
إرضائه بفتاويهم وقد روى ابن خلكان أنه : " حلف أنه من أهل الجنة ، فاستفتى
العلماء ، فلم يفته أحد . . . فقيل له عن ابن السماك ، فاستحضره وسأله ، فقال له :
" هل قدر أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفاً من الله تعالى ؟ " فقال : " نعم ،
كان لبعض الزامي جارية فهويتها ، وأنا إذ ذاك شاب ، ثم إنني ظفرت بها مرة ،
وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها ، ثم إنني فكّرت في النار وهولها ، وأن الزنا من
الكبائر ، فأشفقت من ذلك ، وكففت عن الجارية ، مخافة من الله تعالى " ، فقال له ابن

١- نهاية الأرب ٤ : ١١ . والمعروف أن السواد كان شعار الدولة العباسية ،
ولذا لاقى كلامه استحسان الخليفة .

السَّمَاكُ: "ابشر يا أمير المؤمنين، فإنك من أهل الجنة"، فقال هارون: "ومن أين لك هذا؟" فقال: "من قوله تعالى: "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَلِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ" (١) .

وكان الرشيد لا يسمع للوعاظ بالجرأة عليه، فعندما قال له أحدهم: "يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أعظك بعضة فيها بعض الغلظة فاحتملها"، قال: "كلا، إن الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر مني، قال لنبيه موسى عليه السلام، إذ أرسله إلى فرعون: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (٢).

وكان الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ) متعلقا بمجالس الشرب والمنادمة التي طغت على حياته حتى إن الجهشيارى يروي أنه كان يعبث بشؤون حكمه أثناء مناداته، ويتحدث عن ذلك فيقول: "عزم الأمين يوما على الاصطباح، وأحضر ندماءه والمغنين، وصفت الموائد، فلما ابتداء الأكل دخل عليه صاحب الديوان فقال: يا أمير المؤمنين،

-
- ١- وفيات الأعيان ٤: ٣٠٢، وسورة النازعات: آية ٤٠-٤١. وراجع نشوار المحاضرة ١: ٢٥٢ - ٢٥٣ حيث جاء أن أبا يوسف القاضي حظي عنده وازداد به الرشيد أنسا واختصاصا لأنه كان يتأول الفتاوى ليرضيه بها .
 - ٢- العقد الفريد ٣: ١٦٥، وسورة طه: آية ٤٤ .

هذا هو اليوم الذي وعدتني فيه أن تنظر في أعمال الخراج والضياع وجماعات العمال وقد اجتمعت عليّ أعمال ، منذ سنة لم تنظر في شيء منها ، ولم تأمر فيها ، وفي هذا دخول خلل في الأعمال ، فقال له محمد : " إن اصطباحي لا يحول بيني وبين النظر ، وفي مجلسي من لا أنقبض عنه ، من عتي ويني عتي وإخوتي ، وهم أهل هذه النعمة التي يجب أن تحاط ، فاحضر ما تريد أن تعرضه علي ، فأعرضه عليّ وأنا آكل ، لأتقدم إليك فيه بما تحتاج إليه ، إلى أن يرفع الطعام ، ثم أتمّ النظر فيما يبقى ، ولا أسمع سماعاً أو أهرم الباقي وأفرغ منه ، فحضر كتاب الدواوين بأكثر ما في دواوينهم ، وأقبل صاحب الديوان يقرأ ٥٠٠٠ ، ومحمد يأمر وينهي بأحسن أمر ونهي وأشدّه ، وربما شاور من حوله في الشيء بعد الشيء ، وكلّما وقع في شيء وضع بالقرب من صاحب الديوان ، ورفعت الموائد ، ودعا بالنبيذ ، وكان لا يشرب في القدح أقل من رطل واحد في تتميم العمل ، ثم دعا بخادم له ، ففاجاه بشيء أسره إليه ، فمضى ثم عاد ، فلما رآه نهض ندماً ، فما مشوا عشرة أذرع حتى أقبل جماعة من النقاطين ، فضربوا تلك الكتب والأعمال بالنار" (١) .

وقد عرف عنه تبدّله في مجالسه ، ومن لطفه لندمائه : - يقول صاحب التاج : " ما كان أعجب أمره كله ! فأما تبدّله ، فما كان يبالي أين قعد ومع من قعد ، وكان لو كان

بينه وبين ندمائه مائة حجاب، خرّقتها كلها وألقاها عن وجهه حتى يقعد حيث
قعدوا^(١).

وأتصل الأمين بأشهر ندمائه، إسحق الموصلي، والحسين بن الضحّاك وأبي
نواس وإبراهيم بن المهدي^(٢). وكان إبراهيم بن المهدي يحرص على صحبة الأمين
ويروى أنه: "دار كلام بين الأمين وبين إبراهيم بن المهدي، فوجد عليه الأمين
فهجره، فوجه إليه إبراهيم بوصيفة مع عبد هندي، فأبى الأمين أن يقبلها، فكتب
إليه:

هتكت الضمير بردّ اللطف
فإن كنت تحقد شيئاً مضى
وجدت لي بعفوك عن زلتني
وكشفت هجرك لي فأنكشفت
فهب للخلافة ما قد سلف
فبالفضل تأخذ أهل الشرف

فرضي عنه ودعاه للمنادمة^(٣).

١- التاج ص ٤٢ .

٢- كان لإبراهيم بن المهدي نوبة يحضر فيها عند الأمين فيغنيه وينادمه . راجع
الأغاني ١٠: ١٠٩ - ١١٠ .

٣- المحاسن والأضداد ص ١٨٣ .

ولحظوة إسحق الموصلبي عنده كان يتجاوز عن بعض هفواته ، ويجيزه على الرغم من ذلك ، ولما غناه إسحق :

"إِذَا مَا زِيَادٌ ^(١) عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي
ثَلَاثَ زُجَاجَاتٍ لَهَنَّ هَدِيرٌ
خَرَجْتُ أَجْرُ الدَّيْلِ زَهْوًا كَأَنَّي
عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرٌ"

فقال الأمين : " بل على أبيك ، قبح الله فعلك ، فما يزال إحسانك في غنائك يمحو إساءتك في فعلك " . وأمر له بألف دينار .^(٢)

وارتبط الحسين بن الضحّاك بمجالسه وقاربت مكانته مكانة إسحق الموصلبي^(٣) ، وكانت علاقته بأبي نواس من الأسباب التي اتخذها أنصار أخيه المأمون لتأليب الناس عليه ، فقد قال الفضل بن سهل ، وكان من رجال المأمون : " وكيف لا يستحل قتال محمد ، وشاعره في مجلسه يقول ما لا ينكره عليه ، وهو :

"أَلَا سَقْنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ
وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أُمَكَّنَ الْجَهْرُ"^(٤)

١- زياد هو غلام لإسحق الموصلبي . راجع أخباره مع إسحق في الأغاني ٢٠ : ٣٢١-٣٢٥ .

٢- المصدر السابق ٢٠ : ٣٢٣-٣٢٤ .

٣- المصدر السابق ٧ : ٢٠٨ ، حيث يذكر أن الأمين كان يركب ظهر الحسين بن الضحّاك في مجالس شربه وعبثه .

٤- الوزراء والكتاب ص ٢٩٥ .

وهكذا كان الأمين يعيش للخمر يشربها ، وينادم عليها ، ويصل ليله بنهاره ،
ويروى أنه اصطحب يوما مع أبي نواس وغيره من الندماء : " فأتي بالشراب كأنه
الزعفران ، أصفى من وصال المعشوق ، وأطيب ريحا من نسيم المحبوب ، وقام سقاة
كالبدور بكؤوس كالنجوم ، فظافوا عليهم ، وضربت المغنّيات خلف الستائر ، فشرّبوا معه
من صدر نهارهم إلى آخره في مذاكرة كقطع الرياض ، ونشيد كالدرّ المفصل بالعقيان ،
وسماع يحيي النفوس ، ويزيد في الأعمار . فلما كان آخر النهار دعا بعشرة آلاف في
صواني ، فأمر فنثرت عليهم فانتهبوها والشراب يدور عليهم بالصغير والكبير من الصرف
والممزوج ، حتى إذا نام واستيقظ في السحر طلب إلى أبي نواس أن ينشطه إلى
متابعة السكر ببعض الأبيات فأنشده :

نَبَّهُ نَدِيمَكَ قَدْ نَعِسَ	يَسْقِيكَ كَأْسًا فِي الْغَلَسِ
صُرْفًا كَانَ شُعَاعَهَا	فِي كَفِّ شَارِبِهَا قُبُسِ
تَذُرُ الْفَتَى وَكَأَنَّمَا	بِلِسَانِهِ مِنْهَا خُورَسِ
يُدْعَى فَيَرْفَعُ رَأْسَهُ	فَإِذَا اسْتَقَلَّ بِهِ نَكَسِ
أَضْحَى الْإِمَامَ مُحَمَّدٌ	لِلدِّينِ نَوْرًا يُقْتَبَسُ

فهش الأمين ونشط ، ودعا بالشراب يصطحب به لليتم التالي وينعم بنشوته . (١)

ولما تولّى المأمون الخلافة أبعده المغنّين عن مجلسه لفترة قصيرة إذ أقام
عشرين شهرا لا يسمع حرفا من الغناء ، ثم سمعه من وراء حجاب متشبّها بالرشيد
فكان كذلك سبع حجج ، ثم ظهر للندماء والمغنّين (١) .

وقد حظي عنده إسحق الموصلي فسأله : " أن يكون دخوله مع أهل العلم والأدب
والرواة لا مع المغنّين ، فإذا أراد الغناء غنّاه ، فأجابه إلى ذلك " . (٢) وكان المأمون
يقول : " لولا ما سبق لإسحق على أسنة الناس ، واشتهر بالغناء لولّيته القضاء ،
فإنه أولى به ، وأعف وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة " . (٣) .

وكان عمّه إبراهيم بن المهدي من ندمائه ومغنيه ، لكنه توقّف عن الغناء والشرب
عندما بلغ الستين ، وقد أعفاه المأمون بناءً على طلبه (٤) .

وقد بحث المأمون عمّن يصلح لندامته ومحدثه ، وكان حريصاً على جليس شبيهه

١- التاج ص ٤٣ .

٢- نهاية الأرب ٥ : ٣ .

٣- وفيات الأعيان ١ : ٢٠٣ . وكان المأمون يستدعيه ليناديه ويغنيه . راجع الأغاني :
٥ : ٤٢٥ .

٤- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ص ٢٢ .

بالأصمعي ، فقد قال لمحدثه وجليسه يحيى بن أكرم^(١) (ت ٢٤٢هـ) : "وددت لو وجدت رجلا مثل الأصمعي ممن يعرف أخبار العرب وأيامها وأخبارها فيصحبني كما صحب الأصمعي الرشيد"^(٢) . ولم يتصل به لضعفه وكبره ، فكان المأمون يجمع المشكل من المسائل ويسيرها إليه ليجيب عنها^(٣) .

ولكون المأمون من أفاضل الخلفاء وعلمائهم فقد حرص على تقريب العلماء من مجلسه ، وقد خصص يوما في الأسبوع للجلساء العلماء الذين اختارهم يحيى بن أكرم لمجالسته ، فكانوا يحضرون يوم الثلاثاء لمذاكرة الفقه^(٤) .

١- يحيى بن أكرم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي ، أبو محمد ، يتصل نسبه بأكرم بن صيفي حكيم العرب ، قاض من نبلاء الفقهاء ، ولد بمر وارتحل بالمأمون أيام مقامه بها ، فولاه قضاء البصرة ثم قضاء القضاة في بغداد ، وأضاف إليه تدبير مملكته ، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه ، وغلب على المأمون ، ولما مات المأمون عزله المعتصم عن القضاء ، ولكن المتوكل رده إلى عمله ثم عزله ، فرحل إلى مكة ، ولما بلغه أن المتوكل صفا عليه عاد راجعا لكتفه مات في الطريق . له تصانيفه وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ٩ : ١٦٧ حيث مصادره .

٢- بدائع البدائة ٢ : ٧٦ - ٧٧ ، معجم الأدباء ١٢ : ٨٠ .

٣- أنظر وفيات الأعيان ٣ : ١٧٢ .

٤- انظر المحاسن والمساوي ص ١٦١ .

ولمحبته للمناظرات جالس المتكلمين من رجال المعتزلة ، فقرب إليه كثيرا من الجدليين المبرزين والمناظرين ، كأبي الهذيل العلاف^(١) (ت ٢٣٥ هـ) ، وأبي إسحق إبراهيم بن سيار النظام^(٢) (ت ٢٣١ هـ) ، وغيرهم ، وألزم مجلسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء ، وأقدمهم من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق^(٣) . ومن علماء المعتزلة الذين قريهم ثمامة بن أشرس (ت ٢١٣ هـ) الذي تحدث المأمون عن حسن معاشرته بقوله : "إنه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب"^(٤) .

١- محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، مولى عبد القيس ، أبو الهذيل العلاف ، من أئمة المعتزلة . ولد في البصرة ، واشتهر بعلم الكلام ، وكان حسن الجدل ، قوي الحجّة ، سريع الخاطر ، وله مقالات في الاعتزال . اتصل بالمأمون الذي قال فيه : "أطلّ أبو الهذيل على الكلام كإطلال الغمام على الأنام" . كُف بصره في آخر عمره ، وتوفي بسامراء ، وله كتب كثيرة . راجع ترجمته في الاعلام : (٧ : ٣٥٥) حيث يذكر مصادره .

٢- إبراهيم بن سيار بن هاني البصري ، أبو إسحق النظام ، من أئمة المعتزلة . تبخر في علوم الفلسفة ، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت "النظامية" نسبة إليه . وقال الجاحظ : "الأوائل يقولون : في كل ألف سنة رجل لا نظير له ، فإن صحّ ذلك فأبو إسحق من أولئك" . وكان شاعرا أدبيا بليغا ، وله كتب كثيرة في الفلسفة والاعتزال . والبعض يتهمة بالزندقة . راجع ترجمته في الاعلام : ١ : ٣٦ حيث يذكر مصادره .

٣- أنظر مروج الذهب : ٤ : ٣١٨ - ٣١٩ والكشكول ٢ : ٢٦٦ . ولتأثير المعتزلة على المأمون ولاعتناقه آراءهم الفلسفية ألزم الناس القول بخلق القرآن ، وأوصى أخاه المعتصم بذلك . انظر ذلك في "الفخري في الآداب السلطانية ص ١٥٩ .

٤- المستطرف ١ : ١٤٦ .

وكان المأمون لسعة علمه يناقش العلماء في أحاديثهم ، فعندما دخل عليه النضر ابن شميل^(١) (ت ٢٠٤ هـ) استفسره عن " لفظه سداد " في حديث مرفوع إلى الرسول (ص) وعن سبب فتحه للسين " سداد " ، لكن ابن شميل بين أن " سداد " بكسر السين خطأ ، وأن فتحها هو الصحيح ، واستشهد بشعر دعم به أقواله^(٢) .

وكان المأمون يتداول القضايا الأدبية مع جلسائه ، وقد قال لهم يوماً : " ما أحسن ما قيل في المراثي ، فقال بعضهم :

" فتنى لم تكذب موته نادياتَه
بما قلن فيه لا ولا المادح المطيري
فتى لم يزل منذ شدَّ عقد إزاره
مُشيد المعالي أو ققيماً على ثغر^(٣) "

ولمعرفته بالشعر كان يبدي آراءه النقدية فيما يطرحه عليه جلساؤه ، وعندما سأل عن شعر يدل على أن قائله ملك ، وأنشده أحدهم قول امرئ القيس :

١- النضر بن شميل بن خرشة يزيد بن كلثوم التميمي المازني النحوي اللغوي الأديب . ولد بعمرو ، ونشأ بالبصرة ، وأخذ عن الخليل بن أحمد ، وأقام في البادية زمناً طويلاً فأخذ عن فصحاء العرب ، اتصل بالمأمون وجالسه . وله تصانيف . راجع ترجمته في معجم الأدباء ١٩ : ٢٣٩ .

٢- أنظر المحاسن والمساوى ص ٤٢٢ - وما بعدها .

٣- المصدر السابق ص ٣٧٣ .

"أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا جَنُوبَ الْمَلَا^(١) عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ"

قال : " ليس في هذا ما يدل أن هذا القائل ملك ، فإنه يجوز أن يقول هذا سوقي حضري ، فكانه يؤنب نفسه على التعلق بأعرابية " ، ثم قال : " الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد بن يزيد :

"إِسْقِنِي مِنْ سُلَافِ رَيْقِ سُلَيْمَى وَأَسْقِ هَذَا النَّدِيمَ كَأْسًا عَقَارًا"

أما ترون إلى إشارته في قوله : " هذا النديم " وأنها إشارة ملك^(٢) .

وقد ضمّ المأمون إلى مجلسه أحد الكذابين عندما ادعى النبوة بحضرة لأنه عندما سأله عن دلائل نبوته استصعب الإجابة ، وبرر عجزه بظرف أعجب المأمون الذي قال عنه : " هذا من الأنبياء التي تصلح للمنادمة "^(٣) .

وأدخل المأمون إلى مجلسه نوعا جديدا من التنافس بين الندماء ، فقد أمر بأن تحضر اللحوم وما يحتاج إليه من آلة الطبخ ، وقال للندماء : " ليطنخ كل واحد منكم

١- الملا : موضع . راجع معجم البلدان مادة ملا .

٢- الأغاني ٧ : ٣٧ ، وراجع الكشكول ١ : ٥٤ - ٥٥ .

٣- مروج الذهب ٤ : ٢٥ - ٢٦ .

قدرا" ، وطبخ هو قدرا ، وطبخ أخوه أبو إسحق المعتصم قدرا ، وذلك ليرى
أجودهم وأبرعهم في ذلك (١) .

وأبرز ما حدث في مجلس المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) هو إعادة الإتصال بالحسين
ابن الضحّاك الخليع الذي حظي عنده ، وكان في مجلسه مع الجلساء ، وكان يترفع عن
الإنشاد مع الشعراء (٢) . وكان يخرج معه للتتادم في الأديرة (٣) .

ومّا يلفت النظر في مجالسه هو بداية تقرب الغلمان المخنثين ، فقد كان مشغوفا
بغلامه سيما التركي (٤) .

١- انظر الديارات ص ١١٨ - ١١٩ .

٢- انظر الأغاني ٧ : ١٩٤ . ولم يتصل الحسين بن الضحّاك بالمأمون لعلاقته السابقة
بأخيه الأمين لأنه أمر أن يكتب من يصلح لعنادته من أهل الأدب ، وأثبتت قوم فيهم
الحسين ابن الضحّاك ، قال المأمون : " أليس القائل : وكان لغيرك التلف والله لا أرى
وجهه على الطريق . راجع ذلك في وفيات الأعيان ٢ : ١٦٣ ، ومعجم الأدباء ١٠ : ١٠٦ - ٧ .

٣- أنظر الديارات ص ٣٦ - ٣٧ ، والأغاني ٧ : ١٩٢ - ١٩٤ . وقد أصبحت الأديرة مقصد
طالبی اللذة والشرب من رجال الدولة وغيرهم من أهل العصر .

٤- أنظر بدائع البدائة ١ : ٨٧ .

واختص المعتصم إسحق الموصلي فكان ينادمه ويغنيه وينشده الأشعار، وينال عطاياه^(١) . وقد غضب عليه يوماً في أحد مجالسه فحجبه أياماً ، ثم كتب إليه شعراً يترضاه فيه ، فعفا عنه ، وأعادته إلى مجالسه^(٢) .

وكان المعتصم يسمح لندمائهم المغنيين بالتنافس في حضرته^(٣) ، ويروى عنه أنه خصص كوالده حجرة لهم^(٤) .

والوائق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) أول الخلفاء العباسيين الذين يؤثر عنهم الغناء^(٥) ، ولذلك نراه يحرص على اختلاطه بندمائهم ومغنيه ليكون مساوياً لهم ، فعندما وجه إليهم - وكان فيهم إسحق الموصلي - قال لهم : "إني عزمت على الصبح ولست أجلس على سرير حتى أختلط بكم ونكون كالشيء الواحد ، فاجلسوا معي حلقة ، وليكن إلى جانب كل جليس مغنٍ"^(٦) .

١- أنظر الأغاني ٥ : ٣٠٢ .

٢- أنظر المصدر السابق ٧ : ١٦٧ .

٣- أنظر المصدر السابق ١٠ : ١١٤ .

٤- أنظر المحاسن والمساوي ص ١٦٦ .

٥- لم نعتبر إبراهيم بن المهدي من الخلفاء ، مع أنه أول من شهر بالغناء من آل عباس . وراجع الأغاني ٩ : ٢٩٠ - ٢٩١ حيث جاء أن الواثق كان يصنع ألحانه ويعرضها على إبراهيم بن المهدي . وراجع أيضاً المصدر السابق (٩ : ٢٧٦) حيث جاء أنه غنى بحضرة إسحق .

٦- نهاية الأرب ٤ : ٢٢٣ . ولاحظ استعمال كلمة جليس مرادفة لكلمة نديم .

وكان إسحق في مجلسه مع الندماء لا المغنّين ، وكان إذا قدم عليه يحضر مع
الندماء بغير عود ، فيدنيه الواصل ، ولا يغني حتى يقول له : "غنّ" ، فإذا قال له
غنّ جاءوا بعود فيغني به ، وإذا فرغ رفع العود من بين يديه إكراما من الواصل له^(١) .
وقد عبّر الواصل عن علاقته بإسحق وإعجابه به عندما قال : " ما غنّاني إسحق قطّ إلا
ظننت أنه قد زيد ملكي ، ولا سمعته قطّ يغني غناء ابن سريج إلا ظننت أن ابن
سريج قد نشر ، وإني ليحضرني غيره إذا لم يكن حاضرا ، فيتقدّمه عندي بطيب الصوت
حتى إذا اجتمعنا عندي رأيت إسحق يعلو ، ورأيت من ظننت أنه يتقدّمه ينقص ، وإن
إسحق لنعمة من نعم الملوك التي لم يحظ أحد بمثلها ، ولو أن العمر والشباب والنشاط
مما يشتري لا شترتهنّ له بشرط ملكي"^(٢) . وكان الواصل لا يصبر على غياب إسحق وكان
يضطجعه معه عند خروجه إلى الصيد^(٣) .

واستطاع الحسين بن الضحّاك الخليفة مجارة إسحق في مناداة الواصل ، فكان يخرج
معه في متزّهاته ، ويضطجعه إلى الأديرة للتنادم^(٤) ، كما كان يلعبه بالنرد^(٥) ويلقي

١- الأغاني ٥ : ٢٩٥ - ٢٩٦ : ٩٦ ، ٢٨٦ ، وهذا يشير إلى أنّ الندماء أصبحوا في طبقة أرفع
من طبقة المغنّين .

٢- نهاية الأرب ٥ : ٣ . وهذه أول إشارة إلى كبر إسحق .

٣- أنظر الأغاني ٥ : ٣٩٤ - ٣٩٥ .

٤- أنظر المصدر السابق ٥ : ٤٢٧ - ٤٢٨ .

٥- أنظر المصدر السابق ٧ : ٢٠١ - ٢٠٢ .

عليه الأشعار .

وكان الواصل مولعا بالشرب والغناء ، ويروي إسحق الموصلي : " إن الواصل اصطحب في يوم مطير ، فاتصل شربه وشربنا معه حتى سقطنا لجنونا صرعى ، وهو معنا على حالنا ، فما حرك أحد منا عن مضجعه ، وخدم الخاصة يطوفون علينا ويتفقدونا ، وبذلك أمرهم ، وقال : " لا تحركوا أحدا عن موضعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، فقام وأمر بإنباهنا ، فأنبهنا فقمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئت إليه وهو جالس وفي يده كأس ، وهو يروم شربها ، والخمار يمنعه ، فقال لي : " يا إسحق ، إنشدني في هذا المعنى شيئا ، فأشدته قول أشجع السلمي ^(١) (ت نحو ١٩٥ هـ) :

ولقد طعنْتُ اللَّيْلَ في أعجازه
يتمايلون عن التَّعِيمِ كَأَنَّهُمْ
وسعى بها الظُّبْيُ الغريرُ يزيدها
بِالْكَأْسِ بَيْنَ غَطَارِفِ كَالْأَنْجَمِ
قُضِبَ مِنَ الْهِنْدِيِّ لَمْ تَتَّكِلْ
طِيًّا وَيَغْشِمَهَا إِذَا لَمْ تَغْشِمِ

١- أشجع بن عمرو السلمي ، أبو الوليد ، نشأ باليمامة ، وعاش في البصرة ، وهو شاعر معدود في الفحول ، وكان الشعر في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود ، فلما نجم أشجع ، وقال الشعر ، افتخرت به قيس ، وأثبتت نسبة بعدما كان بعضهم يدفع ذلك . مدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر بن يحيى الذي أدخله على الرشيد ، فمدحه وحظي عنده . راجع ترجمته في الأغاني ١٨ : ٢١٢ .

فطرب وقال : " أحسن والله أشجع ، وأحسنتم يا أبا محمد ، أعد بحياتي " فأعدتها ،
وشرب كأسه ، وأمر لي بألف دينار^(١) .

ولم يخل مجلس الواثق من العلماء الذين كانوا حكما في المنازعات في مجالسه ،
فعندما لحن بعض الجلساء مخارقا المغني^(٢) (ت ٢٣١ هـ) استدعي المازني^(٣) (ت ٢٤٩ هـ)
فشهد بصحة ما قاله مخارق فسر منه الواثق ، وأجرى عليه كل شهر مائة دينار^(٤) .

وقد عرف المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) بعنايته بئدمائه ومجالس شربه ، فخصص موظفا
موكلا بالشراب^(٥) ، كما أنه خصص لهم حجرا ملحقة بقصره^(٦) .

١- المصدر السابق ١٨ : ٢٢١ - ٢٢٢ .

٢- أبو المهنأ ، مخارق بن يحيى الجزار ؛ إمام عصره في فن الغناء ، ومن أطيب الناس صوتا ، كان
مملوكا لعاتكة بنت شهدة بالكوفة فعلمته الغناء والضرب على العود ، وباعته فذكره إبراهيم
الموصلي للرشيد ، فسمعوا عتقه وأغناه وكناه بأبي المهنأ ، وكان الرشيد معجبا به حتى أقعد
مرة على سريره . واتصل بالأمين والمأمون وزار معه دمشق ، وتوفي بسر من رأى . راجع ترجمته
في الأعلام ٨ : ٦٨ .

٣- بكر بن محمد بن حبيب بن بقية ، أبو عثمان المازني ، أحد بني مازن بن شيان . وهو من أهل
البصرة ، وأستاذ المبرد ، روى عن الأصمعي ، وكان لا يناظره أحد إلا قطعه لقدرة على الكلام ،
وكان المبرد يقول : " لم يكن بعد سيويه أعلم من أبي عثمان بالنحو " . وله تصانيف . راجع ترجمته

في معجم الأدباء ٧ : ١٠٧ - ١٢٨ .

٤- أنظر المصدر السابق ٧ : ١١٦ .

٥- أنظر تنبيه الملوك والمكاييد ص ٢٩٤ .

٦- أنظر المصدر السابق ص ٢٩٤ .

ويتحدث المسعودي عن أيام المتوكل ومجالسه فيقول : " وكانت أيام المتوكل أحسن أيام وأنضرها ، من استقامة الملك ، وشمول الناس بالأمن والعدل ، ولم يكن المتوكل ممن يوصف بعطائه وبذله بالجود ، ولا بتركه وإمساكه بالبخل ، ولم يكن أحد ممن سلف من خلفاء بني العباس ظهر في مجلسه اللعب والمضاحك والهزل مما قد استفاض في الناس تركه إلا المتوكل ، فإنه السابق إلى ذلك والمحدث له ، وأحدث أشياء أتبعه فيها الأغلب من خواصه وأكثر رعيته ، فلم يكن في وزرائه والمتقدمين من كتابه وقواده من يوصف بجود ولا إفضال أو يتعالى عن مجون وطرب" (١) .

وكان المتوكل حريصا على إقامة مجالس الشرب ، التي يظهر فيها الترف والتبذير ، فقد شرب يوما فقال لندمائه : " رأيتم إن لم يكن أيام الورد نعمل نحن " شاذ كلاه" (٢) . قالوا : " يا أمير المؤمنين ، لا يكون " الشاذ كلاه" إلا بالورد " ، فقال : بلى ، ادعوا لي عبید الله بن يحيى (٣) (ت ٢٦٣ هـ) . فحضر ، فقال : " تقدم بأن تضرب لي دراهم في

١- مروج الذهب ٤ : ٨٦ .

٢- الشاذ كلاه : لفظة فارسية تتألف من : شاذ بمعنى فرح موكل بمعنى ورد ، وآه بمعنى العظيم ،

فيكون معناها : يوم الفرح العظيم بالورد ، وعربيتها النشار . راجع هامش الديارات ص ١٠٢ .

٣- عبید الله بن يحيى بن خاقان ، أبو الحسن : وزير من المقدمين في العصر العباسي ،

استوزره المتوكل والمعتمد ، وكان عاقلا حازما . استمر في الوزارة إلى أن توفي . راجع

ترجمته في الأعلام ٤ : ٣٥٥ حيث يذكر مصادره .

كل درهم حبتان، قال: "كم المقدار يا أمير المؤمنين؟" قال: "خمسة آلاف درهم". فتقدم عبید الله في ضربها، فضربت وعرفه الخبر. فقال: "اصبغ منها الحمرة والصفرة، والسواد، واترك بعضها على حاله". ففعل. ثم تقدم إلى الخدم والحواشي، وكانوا سبعمائة، أن يعد كل واحد منهم قباً جديداً، وقلنسوة على خلاف لون قبا الآخروقلنسوته، ففعلوا. ثم عمد إلى يوم تحركت فيه الرياح، فنصبت له قبة لها أربعون باباً، فاصطبج فيها والندماء حوله، ولبس الخدم الكسوة التي أعدها، وأمر بنثر الدراهم، كما تنثر الورود، فنشرت أولاً أولاً، فكانت الريح تحمل الدراهم، فتقف بين السماء والأرض، كما يقف الورد، فكان من أحسن أيام المتوكل وأضرها^(١).

وقرب المتوكل إسحق الموصلي، وقد استدعاه يوماً وأجلسه على مخدة أمام السرير، فغناه إسحق ونال جائزته^(٢). وكان المتوكل متعلقاً به ولما توفي حزن عليه^(٣).

-
- ١- الديارات ص ١٠٢-١٠٣. وراجع ص ٩٦-٩٩ حيث يلاحظ أن المتوكل كان في منادياته ينفق الأموال الطائلة التي تنثر على ندمائه. وهذا هو الذي دفع المسعودي إلى القول: "إنه لم تكن النفقات في عصر من الأعصار، ولا وقت من الأوقات مثلها في أيام المتوكل".
راجع مروج الذهب ٤: ١٢٢.
 - ٢- أنظر نهاية الأرب ٥: ٨٤٧، والأغاني ٥: ٤١٤.
 - ٣- انظر معجم الأدباء ٦: ٥٣.

وحرص على منادمة الحسين بن الضحّاك ، فأمر أن يلزمه ليناديه ، فلم يطق ذلك
لكبر سنّه ، فسعى به الوشاة ، ولكنّه استطاع استرضاءه^(١) وقد حضر مجلسه في جملة
الندماء ، وقد كبر سنّه وضعف ، وبين يديه " شفيح " خادمه ، ينضد وردا عليه في ثياب
مورّدة ، ولم يكن في عصره خادم أحسن منه ، فأمر المتوكّل أن يحييه بوردة ، ويغمز
يده ليحرّك خاطره ، ففعل وارتجل :

وكالوردة البيضاء حيا بوردة
سقاني بعينيه وكفيه شربة
له عبثات عند كل تحية
سقى الله دهرًا لم أبت ليلة
من الخمر يمشي في قراطق^(٢) من ورد
فأذكرني ما قد نسيت من العهد
بكفيه تستدعي الخلي إلى الوجد
من الدهر إلا من حبيب على وعد^(٣)

وهكذا ، فبعد أن كان المخنث شخصية ثانوية في بلاط المعتصم أصبح جزءاً من
مجالس المتوكّل ، وقد ظهر عبادة المخنث^(٤) كقطب لكثير من مجالس عبته ، فقد أمر في
أحد مجالسه بإلقائه في بعض البرك في أيام الشتاء ، فابتل وكاد يموت برداً ، ثم أخرج

١- أنظر الأغاني ٧ : ٢٢٥ .

٢- القرطق : قباء . وهو تعريب كرتة . أنظر اللسان مادة قرطق .

٣- بدائع البدائة ٢ : ٨٦-٨٧ ، وراجع الديارات ص ٣٧-٣٨ .

٤- كان أبوه من طبّاحي المأمون . راجع الديارات ص ١١٨ .

من البركة وكسي ، وجعل في ناحية من المجلس ، فقيل له : يا عبادة ، كيف أنت ؟ وما حالك ؟ قال : " يا أمير المؤمنين جئت من الآخرة " ، فقال له : " كيف تركت أخي الواصل ؟ " قال : " لم أجز بجهنم " . فضحك المتوكل وأمر له بصلة^(١) .

والمخشون كانوا ممثلين هزليين يقومون بحكاياتهم أمام المتوكل ، وبرز منهم عبادة مضحك الخليفة^(٢) ، وظهر من الممثلين الهزليين في مجلسه أصحاب السّماجة^(٣) ،

١- العقد الفريد ٦ : ٤٣٠ - ٤٣١ .

٢- انظر ما ورد في بحث الدكتور محمد نجم " صور من التمثيل في الحضارة العربية من الكنج حتى المقامات " عن الحكاية والمحاكين في المصادر العربية ، ويرى أن المتوكل هو الذي رعى الممثلين وشجعهم ويستشهد على ذلك بالميزانية الضخمة التي خصصها لهم .

٣- انظر المصدر السابق حيث يتتبع لفظ " السّماجة " في التراث ويبين أن أصحاب السّماجة كانوا فرقا للتمثيل الهزلي انتشرت في بغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية منذ القرن الأول الهجري ، وكانت شبيهة بفرق الميم التي انتشرت في الدولة البيزنطية . ويربط بين هذه الصور التمثيلية التي قام بها أصحاب السّماجة وبين صور أخرى عرفها العرب مستشهدا بما وجدته في التراث ، ثم يربط ذلك بالديانة الوثنية التي عرفها العرب في الجاهلية وما كان يتصل بها من شعائر تمثيلية ، ثم يجد صلة بين كل ذلك وبين الفن المسرحي اليوناني والنشاط التمثيلي في الدولة البيزنطية .

فقد جاء في الديارات: " دخل إسحق^(١) (ت ٢٣٥هـ) في يوم نوروز إلى المتوكل والسماجة بين يديه، وعلى المتوكل ثوب وشي مثقل، وقد كثر أصحاب السماجة حتى قربوا منه للقط الدراهم التي تثر عليهم، وجذبوا ذيله! فلما رأى إسحق ذلك ولى مغضبا، وهو يقول: " آف وتفا فما تغني حراستنا المملكة من هذا التضييع! " وراه المتوكل وقد ولى، فقال: ويلكم! ردوا أبا الحسين، فقد خرج مغضبا! " فخرج الحجاب والخدم خلفه، فدخل وهو يسمع وصيفا وزرافة كل مكروه، حتى وصل إلى المتوكل. فقال: " ما أغضبك، ولم خرجت؟ " فقال: " يا أمير المؤمنين، عساك تتوهم أن هذا الملك ليس له من الأعداء مثل ما له من الأولياء! تجلس في مجلسك يتبدل فيك فيه مثل هؤلاء الكلاب تجذبوا ذيلك، وكل واحد منهم متكر بصورة منكرة^(٢)، فما يؤمن أن يكون فيهم عدو وقد احتسب نفسه ديانة وله نية فاسدة وطوية

١- إسحق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبي، الخزاعي، أبو الحسن، صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. كان مقربا من الخلافة، ذاه رأي وشجاعة، استخلفه المأمون على بغداد حين برحها لغزو الروم سنة ٢١٥ هـ، وأضاف إليه ولاية السواد وغيرها، وقد سيره المعتصم لقتال أصحاب بابك الخرمي، فظفر بهم. ورحق سنة ٢٣٠ هـ فولي أحداث الموسم. ولما مرض أرسل إليه المتوكل ابنه المعتز يعوده. وقد جزع المتوكل لموته، وقد مات ببغداد. انظر ترجمته في الأعلام ١: ٢٨٣ - ٢٨٤ حيث يذكر مصادره.

٢- انظر " صور من التمثيل في الحضارة العربية من الكج حتى المقامات " حيث يرى الدكتور محمد نجم أن أصحاب السماجة كانوا متتكرين إما بالأقنعة أو كانوا كالممثلين الهزليين الذين يطلون وجوههم بالأصابع أو الذين يلبسون ملابس تتكرأ أشكالهم.

ردية ، فيثب بك ! فمتى كان يستقال هذا ، ولو أخليت الأرض منهم ؟ " فقال : " يا أبا الحسين ، لا تغضب ! فوالله لا تراني على مثلها أبدا " . وبنى للمتوكل بعد ذلك مجلس مشرف ، ينظر منه إلى السماجة^(١) ويلاحظ أنه على الرغم من احتجاج إسحق على ظهور هؤلاء الممثلين - أصحاب السماجة - فإنه قد بني للخليفة مجلس مشرف ينظر منه إليهم ، وكأنه قد حوّل المكان الذي يقومون فيه بحكاياتهم إلى خشبة مسرح يؤدون عليها أدوارهم .

وكان المتوكل يشارك جلساءه في أحاديث الشعر ، فقد سأل أحد جلسائه : " من أشعر الناس في زماننا ؟ " فقال : " البحري " (ت ٢٨٤ هـ) ثم قال : " وبعده ؟ " قال : " مروان بن أبي حفصة " (ت ١٨٢ هـ) ، فالتفت إلى جلسائه وسأله : " من أشعر زماننا ؟ " قال : " علي بن محمد العلوي " ، قال : " وما تحفظ من شعره ؟ " قال : " قوله :

لَقَدْ فَاخَرْتَنَا مِنْ قُرَيْشٍ عِصَابَةَ بِمِطِّ خُدُودٍ وَأَمْتِدَادِ الْأَصَابِعِ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْقَضَاءَ قَضَى لَنَا عَلَيْهِمْ بِمَا نَهَوَى نِدَاءُ الصَّوَامِعِ

قال المتوكل : " وما معنى نداء الصوامع ؟ " قال : " أشهد أنّ لا آله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله " ، قال : " وأبيك إنه لأشعر الناس " (٢) .

١- الديارات ص ٢٦ .

٢- المحاسن والمساوى ص ١٠٣ .

وكان البحري شاعره ونديمه ، فقد كان قاعدا في أحد المجالس عنده فمرت
سحابة فقال له : " قل " ، فقال البحري :

مُسْفُوحَةُ الدَّمْعِ بَغِيرِ وَجْدٍ لَهَا نَسِيمٌ كَسِيمِ الْوَرْدِ

ثم أنشده لمروان بن أبي حفصة :

" رَجَحْتُ زُبَيْدَةً وَالنِّسَاءُ شَوَائِلٌ (١) وَاللَّهُ أَرْجَحَ بِالتَّقَى مِيزَانَهَا "

فصاح به المتوكل صيحة ، فقال : " كذبت ، قل رجحت قبيحة (٢) " ثم طلب منه المتوكل
أن ينشد لآخر فقال :

" أَلْحَقَنِي بِالْمَلُوكِ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ فِي عِصْمَةٍ "

فلما سمعها ارتاح ، ثم قال له : " سل " فقال : " تعطيني فترا من فتر قلبك " ، فقال
له : " أنت بهذا أشعر " ، ثم طلب منه أن ينشده ، فأنشد للخليع . . . " (٣) .

١- يقال شال الميزان : ارتفعت إحدى كفتيه ، ويقال شال ميزان فلان ، وهو مثل
في المفاخرة ، يقال فاخرته فшал ميزانه ، أي فخرته بأبائي وغلبته . راجع
اللسان مادة شول .

٢- جارية المتوكل .

٣- المحاسن والمساوي ، ص ٤٥٠ - ٤٥٢ .

وكان البحثري يعرف كيف يقتصص بشعره جوائز المتوكل ، ويروي : " دخلت على المتوكل يوما فرأيت في يديه درتين ما رأيت أشرق من نورهما ، ولا أنقى بياضا ولا أكبر ، فأدمت النظر إليهما ، ولم أصرف طرفي عنهما ، ورآني المتوكل فرمى إلي التي كانت في يده اليمنى ، فقبلت الأرض وجعلت أفكر فيما يضحكك طمعا في الأخرى ، فعن لي أن قلت :

تَغْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْبِحَارُ	"بَسْرٌ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ
كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ	خَلِيفَةٌ يَرْجَى وَيَخْشَى
مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ	الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ
هَذَا عَلَى هَذِهِ تَغَارُ	يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ
إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَارُ" .	وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينُ شَيْئًا

فرمى بالدرّة التي كانت في يده اليسار" (١) .

وقد جرت للبحثري مع أبي العنيس الصيهرى (٢) (ت ٢٧٥ هـ) نوادر مضحكة في

١- بدائع البدائة ٢ : ٨٩ - ٩٠ .

٢- محمد بن إسحق بن إبراهيم بن أبي العنيس الصيهرى ، أبو العنيس ، كان أدبيا ، ظريفا ، عارفا بالنجوم ، شاعرا ، هجاء ، وهو من أهل الكوفة ، ولي قضاء الصيهرية فنسب إليها . قدم بغداد ونادم المتوكل والمعتمد ، دفن في الكوفة . وله تصانيف كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ٦ : ٢٥٢ .

حضرة المتوكل وبيروي أبو العنبر الصيغري قوله : "كت عند المتوكل والبحثري ينشده :

عَنْ أَبِي ثَغْرِ تَبَسُّمٍ وَأَبِي طَرْفٍ تَحْتَكِيمٍ

حتى بلغ إلى قوله :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ الْوَالِدِ مَتَوَكَّلِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ
وَالْمُجْتَدِي بْنِ الْمُجْتَدِي وَالْمُنْعِمِ بْنِ الْمُنْتَقِمِ
إِسْلَمَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ وَإِذَا سَلِمْتَ فَقَدْ سَلِمَ

وكان البحثري من أبغض الناس إنشادا ، يتشدد ويتزاور في مشيه ، مرة جاثيا ومرة القهقري ، ويهز رأسه مرة ومنكبه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقول : " أحسنت والله " ثم يقبل فيقول : " ما لكم لا تقولون : أحسنت ؟ هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله ، فضجر المتوكل من ذلك ، وأقبل علي ، فقال : " أما تسمع يا صيغري ما يقول ؟ " فقلت : " بلى يا سيدي ، فمر فيه بما أحببت " ، فقال : " بحياتي ، اهجه على هذا الروي الذي أنشدنيه " . فقلت :

" فِي أَبِي سَلَحٍ تَلْتَطِيمٍ وَأَبِي كَفِّ تَلْتَقِيمٍ
أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الْحُرْمِ وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَهْزِيمٌ
يَا بَحْثَرِي حَذَارِ وَيْ لَكَ مِنْ قِضَاقِضَةٍ ضَغْمِ (١)

١- القضاقة: من أوصاف الأسد . انظر اللسان مادة قضض . الضغم : العض الشديد ومنه سمي الأسد ضيغما . انظر اللسان مادة ضغم .

وَاللَّهِ جِلْفَةً صَادِقٍ
وَبِحَقِّ جَعْفَرِ الْإِمَامِ
لَأَصَيِّرَنَّ شُهُورَةَ
يَا أَبْنَ الثَّقِيلَةِ وَالثَّقِيءِ
وَعَلَى الصَّغِيرِ مَعَ الْكَبِيرِ
وَيَقْبِرُ أَحْمَدَ وَالْحَرَمَ
مُأَبِّنَ الْإِمَامِ الْمُعْتَصِمِ
بَيْنَ الْمَسِيلِ إِلَى الْعِلْمِ
لَعَلَّ قُلُوبَ ذَوِي التَّعَمُّ
يُرْمَعُ مَعَ الْمَوَالِي وَالْحَشَمِ

فخرج البحتري مغضبا يعدو، وجعلت أصيح خلفه :

"أَدْخَلْتَ رَأْسَكَ فِي الْحَرَمِ" وَعَلِمْتَ أَنَّكَ تَهْتَمُّنَّ

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه ، وأمر لأبي العنيس بعشرة آلاف درهم^(١) .

وكان الصيغري يقوم بإضحاك المتوكل بسرد النوادر والأشعار التي تبعث السرور في نفسه ، فقد قال المتوكل له : " اخبرني عن حمارك ووفاته ، وما كان من شعره في الرؤيا التي أريتها ، قال : " نعم يا أمير المؤمنين ، كان أعقل من القضاة ، ولم يكن له جريرة ولا زلة ، فاعتلَّ على غفلة ، فمات منها ، فرأيتُه فيما يرى النائم ، فقلت له : " يا حماري ، ألم أبرد لك الماء ؟ وأتق لك الشعير ، وأحسن إليك جهدي ؟ فلم متَّ على غفلة ؟ وما خبرك ؟ " قال : نعم ، لما كان في اليوم الذي وقفت على فلان الصيدلاني تكلمه في كذا وكذا ، مرت بي أتان حسناء ، فرأيتها ، فأخذت بمجامع قلبي ،

فَعَشَقْتُهَا ، وَاشْتَدَّ وَجْدِي بِهَا ، فَمَتَّ كَمَا مَتَّسَفَا ، فَقُلْتُ لَهُ : " يَا حِمَارِي فَهَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا ؟ " قَالَ : " نَعَمْ " ، وَأَنْشَدَنِي :

عِنْدَ بَابِ الصَّيْدِ لَانِي	هَامَ قَلْبِي بِأَتَانِ
بِثَنَائِيهَا الْحَسَانَ	تَيَمَّمْتَنِي يَوْمَ زَحْنًا
كَلُونَ الشَّنْقَرَانِي	وَيَخَدَّيْنِ أُسَيْلَيْنِ
إِذَا طَالَ هَوَانِي	فَبِهَا مَتَّ وَلَوْ عَشْتُ

قلت : " يا حماري ، فما الشنقراني ؟ " فقال : " هذا من غريب الحمير " ، فطرب المتوكل ، وأمر الملهمين والمغنين أن يغنوا ذلك اليوم بشعر الحمار ، وفرح في ذلك اليوم فرحا شديدا ، وسر سرورا عظيما لم ير مثله ، وزاد في تكريمه أبي العباس وجائزته (١) .

وتقرب علي بن الجهم (ت ٢٤٩ هـ) من المتوكل فناده ، ويروى أنه كان بين يديه عندما أتى برأس أحد الخارجين عليه ، فقام علي بن الجهم يخطر بين يدي الرسول وهو يرتجز :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولِ
جِئْتُ بِمَا يُشْقِي مِنَ الْغَلِيلِ

فقال المتوكل : " التقطوا هذا الجوهر لا يضيع " . (٢)

١- مروج الذهب ٤ : ٩٢-٩٣ . وكان للمتوكل مضحك آخر هو الحسين بن شعرة . راجع ذلك في المكافأة ص ١٣٢ .
٢- بدائع البدائة ٢ : ٨٤ .

وكان ندماً المتوكل الشعراء يتنافسون بالإشاد في مجلسه وكان هو يشجع ذلك ، فعندما اجتمع علي بن الجهم ومروان بن أبي الجنوب^(١) (ت نحو ٢٤٠ هـ) عنده ، وكان علي يحسده على مكانته عند المتوكل ، فقال المتوكل : "أيكما أشعر؟" فادعى الإثنان التفوق ، ثم اختير أحد الجلساء قاضياً بينهما ، ولكن علياً بن الجهم لم يستطع القول لغلبة السكر عليه ، أما مروان فقد هجاه وقال فيه شعراً مضحكاً ، وتغلب عليه^(٢) .

واتصل بالمتوكل علي بن يحيى المنجم^(٣) (ت ٢٧٥ هـ) الذي ورث شهرة الخليل وإسحق الموصلي^(٤) ، والذي يعتبر أشهر ندماً القرن الثالث الهجري ، وقد وصفه الفتح بن خاقان (ت ٢٤٧ هـ) للمتوكل ليجالسه إذا قعدمع الحرم ، ولكنه خشي على نفسه من ذلك فاعتذره^(٥) وكان المتوكل يستدعيه ليروي له

١- مروان بن يحيى (أبي الجنوب) بن مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، وال من الشعراء ، كنيته أبو السفطه ويلقب بعبار العسكر لبيت قاله . ويعرف بمروان الأصغر تمييزاً له عن جده ، حسنت حاله عند المتوكل ، وخص به وناداه ، وقلبه المتوكل الأيمامة والبحرين وطريق مكة . راجع ترجمته في الأعلام ٨ : ٩٨ حيث يذكر مضاده .

٢- بدائع البداة ٢ : ١٩ - ٢١ ، وانظر الأغاني ١٢ : ٨١ .

٣- انظر ترجمته في الملحق الأول .

٤- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٦٤ - ١٦٦ .

٥- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٦٤ - ١٦٦ .

الأشعار^(١) . وكان معجبا به وقد طلب ذات يوم منه أن يحضر طعاما من منزله ، وطلب أن يحضر جليس آخر طعاما من منزله ، وبعد أن رأى المتوكل ما أحضر من منزليهما ، ووجد أن أثر النعمة لم يظهر على الجليس الآخر ، أخرجه من جلسائه وأمر بنفيه إلى البصرة وقال عنه : " ما في هذا خير ولا يصلح مثله لمجالستي " ولكنه أعجب بطعام علي بن يحيى المنجم فقال له : " وكذا فليكن من خدم الملوك " ^(٢) .

وأصبح علي بن يحيى المنجم مقدما عند المتوكل ، فلزمه في مجالسه ، وقد حضر عنده في أحد مجالس الشرب والعبث ، فأظهر براعة في الحديث ، وفي طلب الطعام ، وفي صفة الشراب والغناء ، مما نفع أحد الجلساء إلى مخاطبته قائلا : " لأمر ما قدمت فيك ألف خصلة : طيب ، ومضحك ، وأديب ، وجليس ، وحذق طبّاح ، وتصرف مغنّ ، وفكر منجم ، وفطنة شاعر ، ما تركت شيئا يحتاج إليه الملوك إلا ملكته " ^(٣) . ولحظوته عند المتوكل طلب منه أن يعطيه مائة ألف دينار ، فكره الخليفة أن يقال إنه أعطها لجليس دفعة واحدة ، فوعد أن يعطيها متفرقة ^(٤) .

١- انظر المحاسن والمساوي ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

٢- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٤٨ - ١٥٣ .

٣- المصدر السابق ١٥ : ١٦٠ - ١٦٣ .

٤- المصدر السابق ١٥ : ١٥٣ .

وجالس المتوكل جماعة من العلماء كابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) وأبي عبيد الله بن حمدون^(١) (ت نحو ٢٥٥ هـ) ومحمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦ هـ) الذي كان طرفاً في المحاورات والمناظرات اللغوية في مجلسه^(٢).

وكان ابن حمدون أخف الناس روحاً وأحلام دعابة، وكان المتوكل يستملحه، فقال يوماً "الزئبق من أين يجاء به؟" فقال ابن حمدون: "من الشيز، وأنا أعرف الناس بها"، قال: "قد وليتك إياها، فاخرج إليها، فضاقت به الدنيا، وأنشده:

"وَلَايَةُ الشِّيزِ عَزَلٌ
فَوَلِّتِي الْعَزْلَ عَنْهَا
وَالْعَزْلُ عَنْهَا وَلَايَةٌ
إِنْ كُنْتُ بِي ذَا عِنَايَةٍ"

فضحك المتوكل وأعفاه"^(٣).

وأكرم المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) الحسين بن الضحاک الذي أصبح عاجزاً كبير السن، وقد هنأه بالخلافة بقوله:

١- انظر ترجمته في الملحق الأول.

٢- معجم الأدباء ٧: ١٣٠ - ١٣٢.

٣- ذيل زهر الآداب ص ٢٩٩. والشيز موضع بأذربيجان. انظر معجم البلدان مادة: شيز.

تَجَدَّدَتِ الدُّنْيَا بِمَلِكِ مُحَمَّدٍ
هِنَّتَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خِلَافَةً
فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالزَّمَانِ الْمَجْدِدِ
جَمَعَتْ بِهَا أَهْوَاءَ أُمَّةِ أَحْمَدِ

قال له : "إِنَّ فِي بَقَائِكَ بِهَا" لِلْمَلِكِ ، وَقَدْ ضَعَفْتَ عَنِ الْحَرَكَةِ ، فَكَاتَبَنِي بِحَاجَاتِكَ
وَلَا تَحْمَلْ نَفْسَكَ بِكَثْرَةِ الْحَرَكَةِ " . وَوَصَلَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِيَقْضِيَ بِهَا دَيْنَنَا بَلْغَهُ
أَنَّهُ عَلَيْهِ (١) .

وَالْمُنْتَصِرُ مِنَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ يَرَوْنَ لَهُمْ صِنْعَةَ فِي الْغِنَاءِ (٢) . وَلِذَا قَرَّبَ الْمَغْنِيِّينَ
وغيرهم من الجلوس والندماء ، وكان إذا أراد الخلوة بهم أنشد :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنَا
فَمَنْ يَكُ مِنْنَا يَيْتُ آمِنًا
بِأَكْثَافِ دِجَلَةَ لِلْمَلْعَبِ
وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنَا يَهْرَبُ (٣) .

١- الأغاني ٩ : ٣٠١ ، ٢٧٦ .

٢- انظر المصدر السابق ٩ : ٣٠١ ، ٢٧٦ .

٣- انظر المصدر السابق ٩ : ٣٠١ .

وقد اختص من المغنين عبد الله بن العباس الربيعي^(١) الذي استدعاه يوما وهو مصطبج فقال له : " يا عبد الله ، اصنع لحنا ، وغني به ، فغناه :

" يا طيب يومي في قراح^(٢) الترجس في مجلس ما قبله من مجلس
تسقى مشعشعة كان شعاعها نار تشب لبائس مستقبس^(٣) .

ولكن المنتصر قدم عليا بن يحيى المنجم على جميع جلسائه وندمائه ، وقلده الأعمال^(٤) .

وعندما تولى المستعين الخلافة (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ) تابع تقريبه لعلي بن يحيى

المنجم ، فقدمه على جميع جلسائه وندمائه ، وأقره على ما تقلده من أعمال ، ولم يكن يأكل إلا ما يحمل إليه من منزله^(٥) .

١- عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، شاعر مطبوع ، ومغني محسن ، حسن الرواية

غنى للرشيد ومن بعده من الخلفاء ، وكان مشغوبا بشرب الخمر . راجع ترجمته

وأخباره في الأغاني ١٩ : ٢١٩ وما بعدها .

٢- القراح من كل شيء : الخالص . انظر اللسان مادة قرح .

٣- الأغاني ١٩ : ٢٣٧ .

٤- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٧١ .

٥- انظر المصدر السابق ١٥ : ١٧٢ .

وقرب المستعين أبا جعفر البلاذري^(١) (ت ٢٧٩ هـ) الذي يروي قوله : "كنت من جلساء المستعين ، فقصده الشعراء ، فقال : "لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحري في المتوكل :

"ولو أن مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا
فِي وَسْعِهِ لَمْ يَسْئَلِ إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ"

فرجعت إلى داري ، وأتيتة وقلت : "قد قلت فيك أحسن مما قاله البحري" ، فقال :
"هاته" ، فأشدته :

"وَلَوْ أَنَّ بَرْدَ الْمُصْطَفَى إِذْ لَبِثْتَهُ
يَظُنُّ ، لَظَنَّ الْبَرْدُ أَنَّكَ صَاحِبُهُ
وَقَالَ وَقَدْ أُعْطِيَتْهُ وَلَبِثْتَهُ
نَعَمْ ، هَذِهِ أَعْطَاةٌ وَمَنَاقِبُهُ"

فقال : "ارجع إلى منزلك ، وافعل ما أمرك به ، فرجعت ، فبعث إلي سبعة آلاف دينار ،
وقال : "أدخر هذه للحوادث من بعدي ، ولك علي الجراية ما دمت حيا" .^(٢)

ولما تولى المعتز بالله (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ) الخلافة حرص على تقريب علي بن يحيى
المنجم ، فكان أول من طلب للمنادمة ، ولما شخص إليه لقيه أجمل لقاء ، وخلع عليه

١- احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري مؤرخ ، جغرافي ، نسبة له شعر . من أهل بغداد ، جالس المتوكل ومن بعده ، ومات أيام المعتمد ، كان يجيد الفارسية وترجم عنها كتاب "عهد أردشير" ، أصيب في آخر عمره بالذبول ، وقيل إنه أكل من حب البلاذري فكان سبب علته . وله تصانيف . راجع ترجمته في الأعلام ١ : ٢٥٢ حيث يذكر مصادره .

٢- وفيات الأعيان ٦ : ٢٤ ، الكشكول ٢ : ٤١ . ويلاحظ أنه تحول إلى موظف عنده .

ووصله وأقره على ما كان يتقلده من الأعمال (١) . كما انه نادى حمدون بن اسماعيل (٢)
(ت ٢٥٤ هـ) .

والمعتز من الخلفاء الذين ينسب إليهم غناء بعض الأصوات ، كما ينسب إليه
بعض الأشعار ، وهذا ما مكّنه من إجازة بعض أشعار جلسائه ، وعندما تنازع بعضهم
في حضرته ، حاول أحدهم الاعتذار عما بدر منهم فقال :

"عَادَتُكَ الصَّفْحُ وَالذُّنُوبُ لَنَا "

فقال المعتز :

"كَذَاكَ فَعَلُ الْعَبِيدِ وَالْمَلِكِ " (٣) .

كما أنه كان يصنع بعض الأشعار ويعرضها على جلسائه طالبا منهم إجازتها ، فقد
دخل عليه أحدهم فسلم عليه فقال له المعتز : "إني قلت في ليلتي هذه أبياتا وقد أعيا
علي إجازتها" ، فقال : "انشدني" ، فأنشده :

"مَنْ كَانَ يَشْغَلُهُ عَنْ حُبِّهِ وَجَعٌ
فَلَيْسَ يَشْغَلُنِي عَنْ حُبِّكُمْ وَجَعِي "

١- انظر معجم الأدباء ١٥ ، ١٧٣ - ١٧٤ .

٢- انظر ترجمته في الملحق الأول .

٣- بدائع البدائة ١ : ٦٢ .

فقال :

"وما أَمَلُ حبيبي ليلةً أبداً
مع الحبيبِ ويا لَيْتَ الحبيبِ معي"
فأمر له بألف دينار^(١) .

وفي مجالس اصطباحه كان يقترح الأصوات على المغنين ويواصل الشرب بقية
يومه ، ويوزع الجوائز على الجلساء^(٢) .

ومجى* المهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) اختفت المناديات لانه حرم الشرب^(٣) ،
ولذا قرب العلماء ورفع من منازل الفقهاء^(٤) . ولذا قرب من يحدثه عن الخلفاء
الراشدين^(٥) .

١- العقد الفريد ٥ : ٣٧٦ .

٢- انظر الأغاني ١٠ : ٢٢٦ .

٣- ذهب المهتدي إلى القصد والدين ، وكان يقول : " يا بني هاشم ، دعوني حتى أسلك
مسلك عمر بن عبد العزيز ، فأكون فيكم مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية " ، وقُلل من
اللباس والفرش والمطعم والمشرب ، وأمر بإخراج آنية الذهب والفضة من الخزائن فكسرت
وضربت دنائير ودراهم ، وعمد إلى الصور التي كانت في المجالس فمحييت . . . وكانت قبله
الخلفاء تنفق على موائدها في كل يوم عشرة آلاف درهم ، فأزال ذلك ، وكان يواصل الصيام .
وكل ذلك أسهم في اختفاء ندما* الشراب من مجلسه . راجع مروج الذهب ٤ : ١٨٩ .

٤- انظر المصدر السابق ٤ : ١٨٩ .

٥- انظر المصدر السابق ٤ : ١٩٣ .

ونادم المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) علياً بن يحيى المنجم الذي نال منه ما نال من المتوكل^(١)، وشغف بالطرب وغلب عليه المعاقرة ومحبة الغناء الذي كانت له ضعة فيه^(٢). ونادم من المغنين عبد الله بن محمد الأمين العباسي^(٣)، كما اتصل به النديمان المغنيان جحظة البرمكي^(٤) (ت ٣٢٤ هـ) وهبة الله بن ابراهيم بن المهدي^(٥) (ت ٢٧٥ هـ).

ولما تولى المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) الخلافة وكّـل بندمائه أحد الموظفين^(٦)،

١- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٧٤ .

٢- انظر مرجع الذهب ٤ : ٢٢٠ ، والأغاني ٩ : ٣٢٣ .

٣- عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد ، شاعر غزل ظريفه وكان مغنياً ، نادم الوثائق والخلفاء بعده إلى المعتمد . راجع الأغاني : ١٩٨ - ٢٠٠ .

٤- أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الحسن ، أديب ، معن ، من بقايا البرامكة ، من أهل بغداد ، كان في عينيه نتوء فلُقبه عبد الله بن المعتز بجحظة ، فلزمه اللقب . كان كثير الرواية والأخبار ، متصرفاً في فنون العلم كاللغز والنجوم ، مليح الشعر ، حاضر النادرة ، عارفاً بالموسيقى ، ولم يكن أحد يتقدمه في صناعة الغناء . نادم ابن المعتز والمعتمد ، وله تصانيف يهود يوان شعر . انظر ترجمته في الأعلام ١ : ١٠٢ - ١٠٣ حيث يذكر مصادره .

٥- هبة الله بن ابراهيم بن المهدي ، أبو القاسم ، شاعر ، عالم بالغناء ، من أمراء آل عباس . من أهل بغداد ، أسود اللون . جالس الخلفاء وآخر من جالسه المعتمد توفي كتاب الصولي والمرزباني نماذج من شعره . انظر ترجمته في الأعلام ٩ : ٥٦ حيث يذكر مصادره .

٦- ذيل زهر الآداب ص ١٨١ .

وقرب يحيى بن علي بن يحيى المنجم^(۱) (ت ۳۰۰هـ) الذي كان ينادمه وينشده الشعر ويتحدث عن مجالسته فيقول: "كث يوماً بين يدي المعتضد وهو مقطب، فأقبل أحد غلماناه، فلما رآه من بعيد ضحك، وقال لي: "يا يحيى من الذي يقول من الشعراء":

"فِي وَجْهِهِ شَائِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ
مِنَ الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثَمَا شَفَعَا"

وبعد أن أخبره عن قائله، قال: "لله دره، انشدني هذا الشعر" فأنشده:

"وَيَلِي عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمُ فَاْمْتَنَعَا
وَزَادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِهِ وَجَعَا"^(۲)

وبرز أيامه لاعبوا الشطرنج من آل حمدون، فكان يجالسه منهم عبد الله بن حمدون^(۳) (ت ۳۰۹هـ)^(۴). وقد فكر المعتضد بحبسه لدين لحقه لكنه اضطر أن يلزم المال ويسدد الدين حتى لا يبطل أنسه. ويتحدث الناس أنه بخل بقضاء دين نديم له^(۵). واختص المعتضد من المغنيين أحمد بن أبي العلاء الذي غناه في أحد مجالسه بشعر الوليد بن يزيد بن عبد الملك^(۶).

-
- ۱- انظر ترجمته في الملحق الأول.
 - ۲- مروج الذهب ۴: ۲۷۹.
 - ۳- انظر ترجمته في الملحق الأول.
 - ۴- انظر نشوار المحاضرة ۱: ۲۶۸. وكان يأنس بعبد الله بن حمدون في خلواته. راجع مروج الذهب ۴: ۲۳۲.
 - ۵- انظر نشوار المحاضرة ۱: ۲۶۸.
 - ۶- انظر الأغاني ۹: ۱۳۲.

ولما تولى المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) الخلافة اختص يحيى بن علي بن يحيى المنجم^(١) كما اختص أبا محمد عبد الله بن حمدون وقد ذكر مجلسا له معه دارت الأحاديث فيه حول الأشرة فقال : " تذاكرنا يوما بحضرة المكتفي أصناف الأشرة ، فقال : " فيكم من يحفظ في النبيذ شيئا ، فأشده قول ابن الرومي :

إذا أجدت حبه ودبسه ثم أجدت ضربه ومرسه
ثم أطلت في الإناء حبسه شربت منه البابلني نفسه

فقال المكتفي : " قبحه الله ما أشرعه ، لقد شوقني هذا اليوم إلى شره^(٢) . واختص المكتفي من العلماء المحدثين نفظويه^(٣) النحوي (ت ٣٢٣ هـ) الذي كان يؤاكلة ويروي له الأحاديث المضحكة^(٤) .

وقرب المكتفي أبا بكر محمد بن يحيى الصولي الذي كان ينشده لبعض الشعراء والذي بدأ اتصاله به لاعبا للشطرنج بين يديه حيث استطاع أن ينال إعجابه بعد أن تغلب

١- انظر المصدر السابق ٦ : ١٩٨ .

٢- مروج الذهب ٤ : ٢٨٩ .

٣- إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي الملعكي ، أبو عبد الله ، من أحفاد المهلب بن أبي صفرة ، إمام في النحو ، كان يؤيد مذهب سيويه فلقب بنفظويه ، كان فقيها وثقة في الحديث . كان دميم الخلقة ويغلب عليه سداجة الملبس . مات ببغداد ، وله تصانيف . راجع ترجمته في الأعلام ١ : ٥٧ - ٥٨ حيث يذكر مصادره .

٤- مروج الذهب ٤ : ٢٩٠ .

• على الماوردي (١)

ولما تولّى المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ) الخلافة قرّب مشاهير المغنّين في عصره كجحظة البرمكي وإبراهيم بن أبي العبيس (٢) ، وكان يستدعيهما غالبا لتأخذ جواره ما يستحسنه من أصوات (٣) .

وخلفه القاهر بالله (٣٢٠ - ٣٢٢ هـ) الذي اختصّ محمّدا بن علي العبدي الخراساني محدّثا ، فأنس به ، وكان يحدثه عن خلفاء بني العباس السابقين (٤) .

وظهر في القرن الرابع الهجري الرازي بالله (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) كأشهر الخلفاء الذين قرّبوا الجلساء والندماء (٥) ، مع أنّه بقي سنتين من عهده لا يشرب ، ولكن جلساءه وندماءه كانوا يشربون بحضرتة ، وعندما حصل على رخصة من الفقهاء شرب وانغمس في المناديات (٦) .

-
- ١- انظر وفيات الأعيان ٤: ٣٥٩ - ٣٦٠ .
 - ٢- انظر ترجمته في الملحق الأول .
 - ٣- الأغاني ٥: ٢٢١ - ٢٢٢ .
 - ٤- انظر مروج الذهب ٤: ٣١٣ - ٣١٩ .
 - ٥- وهذا ما جعل المصادر تصفه بأنّه: "آخر خليفة جالس الجلساء" ، ووصل إليه الندماء ، وآخر خليفة كانت مراتبه وجوائزه وخدمته وحجابه تجري على قواعد الخلفاء المتقدّمين .
 - انظر نشوار المحاضرة ١: ٣٠٠ هو الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٠٤ .
 - ٦- انظر أخبار الرازي بالله والتمّقي لله ص ٤٧ .

ويصف الصولي أول جلسة للراضي بالله بعدما استدعى الندما* والجلسا*
والمرسومين بالمجالسة فيقول : "أمر الراضي بأن يكون ترتيب جلوسنا على ما أنا
أذكره ، رسم أن يكون علي يمينه أقرنا إليه ، إسحق بن المعتمد ، ثم أكون أنا
تاليا له ثم يكون العروزي^(١) (ت ٣٣٦ هـ) تاليا لي ، ثم يكون ابن حمدون^(٢)
تاليا له ، ثم يجلس الباقيون عن يسره ، على ترتيب ربما اختلف . فكنا في المجلس
في أول جلسة جلسها ، أربعة عن يمينه ، كما ذكرت ، وخمسة عن يساره ، وهم يوسف
وأحمد أبنا يحيى المنجم^(٣) (ت ٣٢٧ هـ) ، وعلي بن هارون بن علي بن يحيى^(٤)
المنجم (ت ٣٥٢ هـ) ، واليزيدان : إسحاق وعلي ابنا ابراهيم^(٥) . وعند ما حضر
ندماؤه جلسوا حوله ، وأخذوا يتبارون في الشرب بين يديه ، وكان يقول لهم :
"أمر النبيذ إليكم ، فاشربوا ما شئتم"^(٦) .

-
- ١- أحمد بن محمد بن أحمد العروزي ، عالم بالعروض ، أدب الراضي بالله ، وناداه ، وآدب
أولاده ، وحظي عنده ، فأنس به وقربه . راجع معجم المؤلفين ٢ : ٧٣ حيث يذكر مصادره .
 - ٢- هو محمد بن عبد الله بن حمدون . راجع ترجمته في الملحق الأول .
 - ٣- انظر ترجمة أحمد بن يحيى المنجم في الملحق الأول .
 - ٤- انظر ترجمته في الملحق الأول .
 - ٥- أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ٨-٩ .
 - ٦- انظر مجالس شربه في المصدر السابق ص ٥٥-٥٦ .

ويعتبر أبو بكر محمد بن يحيى الصولي الشطرنجي أشهر ندمائه بل يمكن اعتباره أشهر ندماء القرن الرابع الهجري . ويروى عن شغف الراضي بلعبه وإعجابه به أنه : " أتى في بعض متنزحاته بستانا موقفا وزهرا رائقا ، فقال لمن حضره ممن كان في ندمائه : " هل رأيتم منظرا أحسن من هذا ؟ " فكل أثنوه وذهب فيه إلى مدحه ووصف محاسنه ، وأنه لا يقي بها شيء من زهرات الدنيا ، فقال الراضي : " لعب الصولي بالشطرنج أحسن من هذا ومن كل ما تصفون " (١) .

وقد نظم الراضي حضور الجلساء والندماء فجعل لهم نوبات يحضرون فيها مجالسه (٢) ، وكان كريما يحب أن يوكل طعامه ، وكثيرا ما كان يقول لخلطائه : " أمر الأكل إلي ، لا بد من مطالبتم به حتى تأكلوا معي " . (٣)

وقد خلفه أخوه المتقي لله (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) فلم يشرب النبيذ قط ، ولم يقرب الندماء معاقري الشراب ، وكان يقول : " لا أريد جليسا ، أنا أجالس المصحف " (٤) .

-
- ١- وفيات الأعيان ٤ : ٣٥٩ .
 - ٢- أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ١٣٧ .
 - ٣- المصدر السابق ص ٥٦ .
 - ٤- المصدر السابق ص ١٩٣ . ويروى أيضا أن الصولي كان واقفا بين يديه فقال له أحد الخدم : " إنه ليس مثل الراضي ، وإنه لا يريد الجلساء " . انظر الصفحة السابقة من المصدر نفسه .

ولذا فإن المسعودي يتحدث عن مجالسته للعلماء ، ويروي : " أنه استدعى أحد الإخباريين ليحدثه عندما أرق في إحدى الليالي ، فأنس به ، واصطحبه إلى الرقة وإلى الأماكن التي تنقل إليها " . (١)

ولكن الذي ناب عن المتقي في تقريب ندماء الشراب كان يجكم التركي ، فقد انتقل أبو بكر الصولي إلى منادته ، وقد أمر أن يؤخذ له منزل قربه (٢) . ويتحدث عن حظوته عنده فيقول : " وكان ربما شغلت عن خدمته والأوقات التي يريدني فيها لمؤاكلته ومجالسته ، وكنا نخدمه في كل يوم بلا نوبة ، فجعل لنا من أجل مجلس الجمعة يومين في الأسبوع ، الثلاثاء والجمعة نجلس فيهما في بيوتنا ، فكنت مباركا في ذلك على الجماعة المجالسين له " . (٣)

ثم اضطرت الأمور بعد المتقي وحتى نهاية القرن الرابع الهجري ، فأصبحت مجالس رجال الدولة تستقطب أهم المجالس ، والندماء ، ولكن مجالس الدويلات التي استقلت عن الدولة العباسية هي التي أصبحت مقصد الندماء والمجالس من رجال العلم والظرف .

١- مرجع الذهب ٤ : ٣٤٣ .

٢- انظر أخبار الرازي بالله والمتقي لله ص ١٩٣ - ١٩٤ .

٣- المصدر السابق ص ١٩٤ .

وتوقفنا عند المتقي لله لأن الأمور اضطربت عليه وعلى من تلاه ، فاستولى الديلم على الحكم ، فالمتقي هرب مع ابنه إلى الموصل خوفاً على نفسه ، ولما استدعاه الديلم إلى بغداد سملوا عينيه وخلعوه ، وبايعوا المستكفي (٣٣٣ - ٣٣٤ هـ) الذي لاقى مصير سلفه ، وملك بعده خلفاء ضعاف لأن شوكة بني بويه قويت فسيطروا على الخلفاء الذين كانوا كالمولى عليهم ، لا أمر ينفذ لهم ، فالذين استقلوا بدويلاتهم عن بغداد اقتصروا على مكاتبه الخلفاء بإمرة المؤمنين ، والدعاء لهم ، وأما بالحضرة فتقرّد بالأمر غيرهم ، فصاروا مقهورين خائفين ، قد قنعوا باسم الخلافة ، ورضوا بالسلامة^(١) .

وأبرز ما يلاحظ في منادات العصر العباسي الذي استمرّ في بهائه ما يقارب القرنين من الزمان أنّ هناك عائلات تخرّج منها عدد من الندماء المشهورين الذين احترفوا منادمة الخلفاء كعائلة الموصلي والمنجم وحمدون^(٢) .

ويلاحظ أيضاً أنّ المنادات أسهمت في نهضة الحركة الأدبية والفنية والنقدية لأن مجالسها كانت ملتقى رجال العلم والفن .

١- راجع الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٠٧ وما بعدها . وانظر التنبيه والأشرف ص ٤٠٠ .

٢- انظر الملحق الأول .

- الفصل الثاني -

صفات الندماء والجلساء وأخلاقهم وتصرفاتهم .

الفصل الثاني

صفات الندماء والجلساء وأخلاقهم وتصرفاتهم

إن مفهوم من يصاحب السلطان لا يصبح بيننا واضحا إلا اذا رسمنا صورة محددة لصفاته وأخلاقه وتصرفاته ، وهذه الصورة دخيلة في معظمها على البلاط العربي لأن رسوم البلاط الفارسي هي التي طغت ، وخاصة في العصر العباسي ، ولذا نرى أن بعض أخبار ملوك العرب في العصرين الأموي والعباسي تشبه أخبار ملوك آل ساسان ، وهذا يعني أنهم قلّدوهم وساروا سيرتهم .^(١)

معرفة النديم أو الجليس بأدب مجالسة الملوك

من أول شروط صحبة السلطان ملازمته ومخالطته بالهية وإن طال الأنس به ، لأن انقباض الهية يؤدي إلى الإخلال بأداب معاشرته ، وعلى النديم أن يعامله دوما ، وفي كل مجلس يحضره معاملة من جالسه لأول مرة ، حتى ولو كان قد هازله وضاحكه في المجلس السابق ، وكأنه لم يجر بينهما أنس قط ، لأن الملوك يتلونون

١- انظر الأخبار الخاصة بمسايرة الملوك ومحادثتهم والإصغاء إليهم وغيرها . من الأخبار التي تظهر ذلك في التاج ص ٧٨٦ و ٧٩٦ و ٨٣ وما بعدها .

من حال إلى حال ، ولا يعرفون الثبات في تصرفاتهم ولا الإستقرار^(١) . ويؤكد ابن المقفع ذلك عندما يخاطب صاحب السلطان بقوله : " وكن في مداراته كالمؤتف ما قبله ، ولا تقدر الأمر بينك وبينه ، على ما كنت تعرف من أخلاقه ، فإن الأخلاق مستحيلة مع الملك ، وربما رأينا الرجل المدل على ذي السلطان يقدمه قد أضر به قدمه " (٢) .

وقد جرى ملوك الفرس منذ القدم على معاملة ندمائهم وجلسائهم على هذا الشرط ، فكان " الندماء " من العظام والأشراف وأبناء الملوك وأخوة الملك وعمومته وبني عمه ، وأوضاع الطبقات في مجلس الملك في نقاب واحد وإطراقا وإخباراتا وسكون طائر وقلة حركة^(٣) . وقد جرى الملوك من بعدهم على هذا ، ويمكن أن يندرج تحت هذا الشرط جميع الآداب والتصرفات المتعلقة بصحبة الندماء والجلساء للملوك .

١- انظر التاج ص ٦١ . وكذلك المستطرف ١ : ١٠٩ - ١١٠ حيث ورد : "أصبح الملوك بالهيبة والوقار . . . ولا تترك الهيبة وإن طال أنسك بهم" . وانظر ذلك في رسائل البلغاء ص ٥٤ . وانظر كلية ودمنة ص ١٩ ، ٢٣ .

٢- رسائل البلغاء ص ٥٤ - ٥٥ .

٣- التاج ص ٢٩ .

أخلاق النديم أو الجليس

يشترط في النديم أو الجليس الذي يصحب السلطان ويظيل ملازمته أن يتّصف بخلال محمودة تمكّنه من الحظوة لديه ، ولذا عليه أن يظهر الوُدّ لسلطانه حتى يكسب عطفه ، ولا يتمّ هذا الوُدّ إلا بإظهار النصيحة له لأنّها من علامات الوفاء له ^(١) ، لأنه يدفع النديم إلى الإخلاص فيحفظ سرّه ويكتمه ^(٢) ، وكان الندماء دوماً يتقربون إلى الملوك ويحظون بثقتهم ، ويوثقون علاقاتهم بهم بحفظ أسرارهم وكتمانها ، وإظهار عدم رغبتهم في الاطلاع عليها لأن ذلك من علامات أمانتهم . وذكر أحد جلساء الرشيد أنّه دعاه يوماً ليأكل معه ، فلمّا توسّط الأكل ، رفع رأسه إلى رجل يكلمه بالفارسية ، فقال له الجليس : " يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد أن تسرّ إليه ، فإني أفهم الفارسية " ، فأمره بأن يتّحنّى ليتقدّم إليه بما يريد ، وأعجب الرشيد كرم أخلاقه ، وأمر له بصلة ^(٣) . وأمّا إذا كان النديم غير قادر على حفظ أسرار سلطانه فليحذر معاملته في أسرارهِ ،

١- انظر العقد الفريد ١ : ٢٠ حيث جاء : " ينبغي لمن صحب السلطان أن لا يكتم عنه نصيحة " . وانظر رسائل البلغاء ص ٢٣ حيث يرى ابن المقفع أنّ " ذا اللبّ من يخلص لهم النصيحة " .

٢- انظر نهاية الأرب ٦ : ١٤١ - ١٤٣ .

٣- المستجاد من فعلات الأجواد ص ١٨٠ - ١٨١ . وراجع رسوم دار الخلافة ص ٨٨ -

٨٩ حيث يروى خبر مشابه لهذا جرى في مجلس الخليفة المعتضد بالله .

وبواطن أموره حتى لا يعرض نفسه لعقابه . والمأمون يعتبر إفضاء السر من الأمور التي لا تحملها الملوك ، وتعاقب عليها أشد عقاب^(١) .

وعلى النديم أن لا يكون حسودا ، لأن الحسد يفسد علاقته بالناس في مجلس الملك ، كما أنه يفسد علاقته بالملك ، وعليه أن يخلو من اللجاج ، وألا يكون بدّاخوا ، لأن البذخ من دلائل سقوط النفس ، وألا يكون حريصا لأن الحرص من ضيق النفس ، وألا يكون فدما^(٢) ولا وخما^(٣) ، لأنها صفات لا تليق بمن يلاقي الملوك^(٤) .

والخلفاء تحبّ النديم الكريم وتقربه ، وتكره أن ترى من أحد ملازميها بخلا ، ولقد طرد المتوكّل أحد ندمائه من مجلسه لأنه يبخل على نفسه^(٥) . ويكره ذوو السلطان عدم ظهور النعمة على جلسائهم لأن ذلك لا يدلّ على مروءتهم وإنما

١- انظر العقد الفريد ١ : ٧٧ .

٢- القدم : العبي عن الحجّة والكلام . انظر اللسان مادة قدم .

٣- الوخم : الثقيل . انظر اللسان مادة وخم .

٤- انظر نهاية الأرب ٦ : ١٤١ - ١٤٣ ، ومطالع البدور ١ : ١٨٢ .

٥- انظر معجم الأدباء ١٥ : ١٤٨ .

يدل على بخلهم وتقتيرهم ، وجحدهم لنعمة سلطانهم ، لأن الرؤساء تعتبر ظهورها دلالة على شكرهم لهم . ويروى أن جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٢ هـ) ركب ذات يوم وأمر خادما له أن يحمل معه ألف دينار ، وقال له : " سأجعل طريقى على الأصمعي ، فإذا حدثني فرأيتني ضحكت ، فأجعلها بين يديه " ، ونزل جعفر عند الأصمعي ، فجعل الأصمعي يحدثه بكل أعجوبة ونادرة تطرب وتضحك ، فلم يضحك ، وخرج من عنده . فقال الخادم لجعفر : " رأيت منك عجبا ، أمرت بألف دينار للأصمعي ، وقد حركك بكل مضحكة ، وليس من عادتك أن ترد إلى بيت مالك ما قد خرج عنه ، فقال له : " إنه قد وصل إليه من أموالنا مائة ألف درهم قبل هذه المرة ، فرأيت في داره حبا مكسورا ^(١) ، وعليه دراعة خلق ^(٢) ، ومقعدا وسخا ، وكل شيء رأيت عند رثا ، وأنا أرى أن لسان النعمة أنطق من لسانه ، وأن ظهور الضيعة أمدح وأهجى من مدحه وهجائه ، فعلى أي وجه أعطيه إذا كانت الضيعة لم تظهر عنده ، ولم تنطق النعمة بالشكر عنه؟ " ^(٣) .

١- الحَبّ : الجرة الضخمة ، والخابية . انظر اللسان مادة حيب .

٢- الدراعة : ضرب من الثياب ، وقيل جبة مشقوقة المقدم . انظر اللسان مادة درع .

٣- مرج الذهب ٣ : ٣٧٩ .

ولكي يضمن النديم استمرار علاقته الحسنة بذوي السلطان عليه أن "يزين" سيرتهم ويذّب بلسانه عنهم ، ويتوخى مرضاتهم ، ويقدر الأمور على موافقتهم ، ولا يواصل إلا من لا تباعد مواصلته إياه عنهم ، وعليه أن لا يستخفّ بأمرهم ، وألا يتناقل عن طاعتهم ، وألا يبظر إذا أكرموه ، وألا يجترى عليهم إذا قرّبوه^(١)

وعلى النديم ألا يقوم بما يعتبر تيبها وكبرا في حضرة من ينادم من ذوي السلطان لأن ذلك يغيظهم ويستثير حقدهم عليه ، لأنهم يشعرون أن جميع من يخالطونهم يجب أن يكونوا في مرتبة أدنى منهم ، ولذا فهم يتوقعون من خلطائهم القيام بمحاولة الظهور بمظهر العظمة ، لأنهم لا يرضون أن يصدر ذلك عنهم ، ويروى أنه : "بينما المأمون ينادم إبراهيم بن المهدي ، بعد رضاه عنه ، وتعمّده ما كان منه ، تبين منه دالة أذكرته ما تقدّم من ذنبه ، فنهض وأمر بإقراره ومن كان معه على حالهم ، ثم صار إلى مجلس جدّه ، وتزيّا بزّي الخلافة ، واستوى على سريره ، وأذن للجيش في السواد والأسلحة ، ومدّ السماطان^(٢) ، وشهرت السيوف ، ثم أحضر

١- رسائل البلغاء ص ٢٣ - ٢٤ .

٢- السماطان: الصقان من الرجال ، وكلّ صفّ سباط . انظر اللسان مادة سبط .

إبراهيم مغتبقا معسوفاً^(١) ؛ فلما مثل بين يديه ، أطرق عنه ملياً ، ثم رفع طرفه وإبراهيم يردد ، فقال : " يا إبراهيم ، من حملك على ما كان منك ؟ " فقال : " قد سبق من عهد أمير المؤمنين ما لا أخاف عليه التغيير " ، وأعتذر بعذر قبله منه ، وردّه إلى مكانه ، وعاد المأمون من وقته إلى مجلس الندام^(٢) .

واعتبر الظرف^(٣) صفة ملازمة للنديم ، لأن الظريف يخفّ على قلب السلطان ، أما الثقل فقد حرص الملوك على إبعاده عن مجالسهم ، لأن حضوره تكدير لصفو المجلس وعبء على الجلوس ، والندما^٥ . وقد قيل لأنو شروان : " ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فلا يعييه ، ولا يحمل مجالسة الثقيل ؟ " لأن الحمل تشترك فيه الأعضاء ، والثقل تنفرد به الروح^(٤) . وهكذا أبعد الثقيل عن ملازمة الملوك ومخالطتهم لأنه لا يصلح لذلك ، فقد قال أبو العتاهية لابنه : " يا بني ، إنك لا تصلح لمشاهدة الملوك " . قال : " لم ؟ " قال : " لأنك حار النسيم ، بارد المشاهدة ، ثقل الظل^(٥) " .

١- المعسوف : المستهان به . انظر اللسان مادة عسف .

٢- قطب السرور ص ٣٠٤ .

٣- انظر أدب النديم ص ٣ حيث جاء : " واستظرف نديك ، فإنما يزنك الداخل إليك بمنقال من يراه معك " .

٤- محاضرات الأدباء ٢ : ٧٠١ .

٥- المخلاة ص ٢٨٧ .

صفات الندماء والجلساء العقلية

ينبغي للنديم أو الجليس أن يكون ذا مؤهلات عقلية وترفيهية بارزة حتى يستطيع القيام في أداء الدور الذي ينتظره الملوك منه ، فيشترط فيه مثلا " أن يكون ذكيا خفيف الإشارة ، لطيف العبارة ، رشيقا ، لبقا ، وقد لبس لكل حالة لباسها ، وركب لكل آلة أفراسها . . . ويعرف كيف يخرج مما يدخل فيه ، إذا خاف ألا يستحسن ما يأتيه " (١) .

وهكذا فإن الذكاء أول ما يجب أن يتصف به من يخالط السلطان ويلازمه لأن صحبة الملوك لا تليق بذوي الجهل ، وذكاؤه عدته للخروج من كثير من المتاعب التي قد يتعرض لها . ولذا ينبغي أن يكون جليس السلطان وأنيسه جامعا لخصال كثيرة أهمها : " العقل ، فإنه رأس الفضائل ، والعلم ، فإنه من ثمار العقل . . . " (٢) وإذا كان العقل أهم صفاته فهذا يعني أنه يجب أن يكون قادرا على أن يفهم ما يريد الملك الذي يجالسه ويقربه ، ولذلك قيل : " ينبغي للنديم أن يكون كأنما خلق من قلب الملك ، ويتصرف بشهواته ، ويتغلب بإرادته ، لا يمل المعاشرة ، ولا يسأم المسامرة ، إذا انتشى يحفظ ، وإذا صحا ييقظ " (٣) .

١- ذيل زهر الآداب ص ٩ .

٢- نهاية الأرب ٦ : ١٤١ .

٣- المصدر السابق ٤ : ١٤٩ .

وإذا أخفق النديم في فهم نفسية الملك ، وما يحب وما يكره ، فإنه يتعرض

لما يخرجه ، ويسبب نعمة الملك عليه ، فمخارق غنى الأمين وهو مصطبح :

إِسْتَقْبَلَتْ وَرَقَ الرَّيْحَانِ نَقْطُفُهُ وَعَنْبَرَ الْهِنْدِ وَالْوَرْدِيَّةَ الْجَدِّدَا
أَلَسْتَ تَعْرِفُنِي فِي الْحَيِّ جَارِيَةً وَلَمْ أَخْنُكَ وَلَمْ تَرْفَعْ إِلَيَّ يَدَا

فطرب الأمين وشرب ووهبه جبة وشي مذهبة ، ثم أمر بطبخ وحلف عليه أن يؤاكله - وكان يكره أن يؤاكله أحد من ندمائه - فلما انضم إليه ، رفس الأمين القصعة ، فأتلف الجبة ، ثم دعاه إلى مجالسته ثانية ، وغناه مغن آخر ومخارق ، فاستحسن صوت الآخرة واستقبح صوت مخارق ، وقال له : " أردت أن أؤدبك لأن السادة لا ينبغي لعبيدها أن تؤاكلها " . ثم دعاه ثانية لمؤاكلته ، اختاراً له ، لكنه رفض ذلك ومضى إلى حجرة من حجر القصر وأكل هناك " . (١)

وذكاء النديم عون له على استرضاء الملك ، وكسب وده إذا ما رأى منه تغييراً وتقلباً ، لأنه بذلك يستطيع أن يحافظ على علاقته الجيدة معه ، ومما يروى عن حسن ملاطفة النديم لجليسه ما جاء في مطالع البدور : " أن الفضل بن مروان (٢) (ت ٢٥٠ هـ)

١- الأغاني ١٨ : ٣٦١ .

٢- الفضل بن مروان بن ما سرجس ، وزيره كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء . كان جيد الإنشاء . أخذ البيعة للمعتصم ببغداد بعد وفاة المأمون سنة ٢١٨ هـ وكان المعتصم ببلاد الروم ، فاستوزره نحو ثلاث سنوات ثم اعتقله لكنه أطلقه فخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفي .

دعا المعتصم إلى داره، واحتفل واحتشد في إحسان الدعوة، فلما حضر المعتصم، ورأى مروءته وتجمُّله، وعمل فيه الحسد عمله، فانقبض ورؤي في عينيه، ولم ينشط لطعام ولا شراب، وزعم أنه يشتكي بطنه، ففطن الفضل لما دهاه، وأراد أن يوهم أن تلك الآلات مستعارة من دار أمير المؤمنين ليطفى نار حسده، فتقدَّم إليه وقال: "يا أمير المؤمنين، إنما استعرت أكثر هذه الأشياء من دار أمير المؤمنين، وقد أرهقني الخزانون، والفرّاشون باسترجاعها، فلن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمهالي في ردها فعلت"، فضحك المعتصم، وقال: "قل لهم لا يسترجعونها"، ثم نشط للطعام والشراب". (١)

وذكاء النديم وسرعة بديهته يساعده على التخلص من كثير من المآزق التي يتعرض لها، وعندما غنى مخارق بحضرة المأمون أبياتا وذهب عنه معناها وفيمن قيلت ومنها:

إِذَا الْمُنْبَرُ الْعَرَبِيُّ خَلَى مَكَانَهُ فَلَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ

...

وله ديوان رسائل، وكتاب جمع فيه الأخبار التي علم بها والمشاهدات التي رآها راجع ترجمته في الأعلام ٥: ٣٥٨، حيث يذكر مصادره.

فلما بلغ إلى آخر البيت الأخير وهم أن يقول "يزيد" استيقظ، فقال: "مخارق"، فضحك المأمون وقال له: "لو قلت يزيد ما عشت" (١).

ومما يمكن النديم أو الجليس عند سلطانه معرفته بما يتنافس فيه الملوك لأنه يعرض عندهم كل ما يتنافسون فيه من الرقيق المثنى والجوهر النفيس، وأنواع الطيب والفرش والخيل والسلاح، ولذا فإن علمه بها مفيد لأنه ربما جرى ذكرها أو عرض شيء منها بحضورتهم، فتكون مشاركته الواعية الحاذقة فيه زيادة في رفعة محلّه وعلوّ مقداره وتقديره. وقد رغب أبان بن عبد الحميد اللاهقي (٢) (ت ٢٠٠ هـ) يحيى بن خالد

١- ذيل زهر الآداب ص ١٧٠. وراجع ما جاء في وفيات الأعيان ٦: ٩٤ - ٩٥، حيث يروى

أن الفرزدق أشد سليمان بن عبد الملك قصيدة ميمية وانتهى إلى قوله:

ثلاث واثنتان فهن خمس وسادسة تميل إلى شمام
فبتن بجانبني مضرعات وبت أفص أعلق الختام

فقال له سليمان: قد أقررت عندي بالزنا وأنا إمام، ولا بد من إقامة الحد عليك. فقال له الفرزدق: "ومن أين أوجبت علي يا أمير المؤمنين؟" فقال: "بقول الله تعالى: الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة" (النور: ٢)، فقال الفرزدق: "إن كتاب الله يدرؤه عني بقوله تعالى: والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون" (الشعراء: ٢٢٤) وأنا قلت ما لم أفعل. فتبسّم سليمان وقال: "أولى لك".

٢- أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي، شاعر مكث من أهل البصرة، نسب إلى جده وكان أبو جده عفير من الموالي. انتقل أبان إلى بغداد، واتصل بالبرامكة، فأكثر من مدحهم، وخص بالفضل بن يحيى، ونظم له كليلة ودمنة شعراء، واتصل عن طريق البرامكة بالرشيد، فكان من شعرائه. وقد هجاه أبو نواس وغيره. راجع ترجمته في الأعلام ١: ٢٠ - ٢١ حيث يذكر مصادره.

البرمكي في اختصاه في شعر منه :

أَبْصَرَ النَّاسَ بِالْجَوَاهِرِ وَالْخَيْلِ وَبِالْخُرْدِ الْحَسَانَ الْمَلِاحِ (١)

والملوك يستجهلون النديم إذا سئل في شيء من هذه الأعلام ، ولم يحر جواباً ، ولم يجدوا عنده علماً به ، خاصة إذا أشار على السلطان أن يختار منها أقل الأوصاف نفاسة ، وكان في المجلس غيره من الندماء الحاذقين في معرفته ، فيستغلون ذلك ليظهروا به ، حتى إذا ما اكتشف السلطان ذلك أزاله عن المكانة التي بلغها . ويرى القلقشندي أن مخالط السلطان بالإضافة إلى معرفته بما يتنافس فيه الملوك يحتاج إلى قدرة بلاغية تمكنه باستعاراتها وبلاغتها من وصف تلك النفائس بما يرغبها للسلطان (٢) .

١- نهاية الأرب ٦ : ١٤٦ ، وراجع أدب النديم ص ١١ ، حيث يعد علم النديم بكل ما يتنافس فيه الملوك ويغالون شرطاً لازماً له .

٢- انظر صبح الأعشى ٢ : ٩٧ - ٩٨ .

صفات في الجسم والهيئة

يفترض في النديم الذي يجالس الملوك ويدم مشاهدتهم أن تتوفر فيه صفات جسمية تجعله مقبولا لديهم لأنهم لا شك يفضلون معاشرته من يرتاحون لرؤيته .

وجمال الوجه من أول الصفات الواجب توفرها في النديم ، ولقد كانت ملوك الفرس تتبرك بالوجه الجميل^(١) . والحرص على الجمال جعل بعض الندماء يكرهون الشرب من يد ساق قبيح في مجالس الندام ، ويروى أن إسحق الموصلي كان ذات يوم عند إسحق بن إبراهيم بن مصعب، فلما جعل الغلمان يسقون من حضره وجاء غلام قبيح الوجه إلى إسحق الموصلي بقدر نبذ فلم يأخذه ، وراه إسحق فقال له : "لم لا تشرب؟" فكتب إليه الموصلي :

أَصْبَحَ نَدِيمَكَ أَقْداحًا يُسَلِّسِلْهَا
مَنْ كَفَّ رِيْمَ مَلِيحِ الدَّلِّ رِيْقَتَهُ
لا أَشْرَبُ الرِّاحَ إِلَّا مِنْ يَدَيْ رِشَاءِ
مِنَ السَّمُولِ وَأَتْبَعُهَا بِأَقْداحِ
بَعْدَ الْهَجْوِ كَمَسْكِ أَوْ كَنْفَاحِ
تَقْبِيلُ راحَتِهِ أَشْهَى مِنْ الرِّاحِ

فضحك وقال : "صدقت والله" ، ثم دعا بوصيفة كأنها صورة ، تأمة الحسن ، لطيفة الخصره في زي غلام ، عليها أقبية ومنطقة^(٢) ، فقال لها : "تولي سقي أبي محمد ،

١- انظر الأغاني ٢: ١٠١ ، وقد أعجب كسرى بعدي بن زيد لأنه كان جميل الوجه فائق الحسن فقربه واختصه .

٢- المنطقة: كل ما شد به الوسط . انظر اللسان مادة نطق .

فما زالت تسقيه حتى سكره ثم أمر بتوجيهها ، وكل مالها في داره إليه فحملت معه (١) .

ولذا اشترط في النديم أن يكون سليم الجوارح ، خاليا من كل العاهات والعيوب التي تشوه خلقته ، وتجعل شكله قبيحا يشير النفور (٢) . ولكن الملوك وأصحاب السلطان تجاوزوا عن هذه الشروط في بعض الحالات وجالسوا ندما* لا تخلو خلقهم من العيوب لما وجدوه عندهم من مزايا تجعلهم أهلا لمنادمتهم ، لم يجدوا مثلها عند غيرهم . وقد قرّب عبد الملك بن مروان نصيبا الشاعر مع أنه كان مشوه الخلق ، قبيح المنظر ، أسود البشرة ، مقلغل الشعر ، وذلك لوفور عقله ، وجودة شعره ، ولائمه بمحادثته (٣) . كما اختص عمارة بن حمزة الكاتب (٤) (ت ١٩٩ هـ) ، مع أنه كان أعور دميما ، بالمنصور والمهدي الذي كان يسير وإياه

١- انظر الأغاني ٥ : ٣٣٠ .

٢- انظر نهاية الأرب ٦ : ١٤٦ - ١٤٧ .

٣- انظر ذيل الأمالي ص ١٢٧ ، الأغاني ١ : ٣٤١ .

٤- عمارة بن حمزة بن ميمون ، من ولد عكرمة مولى ابن عباس ، كاتب ، من الولاة الأجواد الشعراء الصدور ، وكان من الدهاة ، وله في الكرم أخبار عجيبة ، فيه تيه شديد يضرب به المثل فيقال : " أتبه من عمارة ! " وكان المنصور والمهدي العبّاسيان يرفعان قدره ، وقد جمع له بين ولاية البصرة وفارس والأهواز واليعة والبحرين . وله مصنّفات . انظر ترجمته في الأعلام ٥ : ١٩٢ حيث ينكر مصادره .

يدا بيد لفضله وبلاغته^(١) . وتقرب علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم من الواثق والمتوكل ومن تلاهما من الخلفاء حتى المعتمد^(٢) مع أنه كان يوصف بأن القرد أملح منه قباحة ، وقد استطاع أن ينال منهم ما عجز عنه غيره من ندما^(٣) عصره . كما أن المتوكل قرب المغني عمرو بن بانه^(٤) وناداه علي ما كان به من الوضع^(٥) .

ولكن العيوب الجسمية كانت تقف أحيانا عقبة أمام من يرى فيه الخليفة ما يؤهله لعنادته ، ويروى أن المتوكل قال : "لولا أن أبا العينا"^(٦) ضرير لنادماناه"^(٧) . ويروى

-
- ١- انظر معجم الأدباء ١٥ : ٢٤٢ ، ٢٤٥ .
 - ٢- لكنه لم ينادم المهدي لحقده عليه ، المصدر السابق ١٥ : ١٦٠ .
 - ٣- انظر المصدر السابق ١٥ : ١٦٠ .
 - ٤- ابن بانه ، عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد هولي ثقيفه مغن ، شاعر ، من المحدثين ، كان مرتجلا ، اختص بالمتوكل وأنس به . وكان يتعصب لإبراهيم بن المهدي على إسحق الموصلي . راجع ترجمته في الأغاني ١٥ : ٢٦٩ .
 - ٥- انظر وفيات الأعيان ٣ : ٤٧٩ .
 - ٦- محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي بالولاء ، أبو العينا ، أصله من اليمامة ، ومولده بالأهواز ، ومنشأه ووفاته في البصرة . وكف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره . وهو أديب فصيح ، من الظرفاء ، ومن أسرع الناس جوابا . اشتهر بتوادره ولطائفه ، وكان ذكيا جدا ، حسن الشعر ، مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم . وأخباره كثيرة . راجع ترجمته في الأعلام ٧ : ٢٢٦ حيث يذكر مصادره .
 - ٧- ذيل زهر الآداب ١٥٩ ، والديارات ص ٦٠ .

أيضا أن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ذكر للمتوكل لتأديب ولده ، ولكن لما رآه استبشع منظره ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه^(١) .

وحتى يكون النديم مؤهلا لملازمة صاحب السلطان يفترض أن يكون خاليا من الأعراض التي لا تساعد على الاستمرار في مؤانسة السلطان مدة طويلة في المجلس الواحد ، وهذا ما دعا أحد الذين دعاهم المتوكل لمناذمته إلى الاعتذار عن ذلك لأنه مصاب بسلس البول ، وهذا لا يمكنه من البقاء في المجلس مدة طويلة ، وهو ما يكدّر صفوه ، ويقطع على الخليفة أنسه ، وقد أعلم الخليفة بذلك لأنه يعلم أنها من الصفات التي لا تصلح معها منادمة الخلفاء^(٢) .

ومما يزيد النديم بهاءً ويعطي جماله إشراقا نظافته ، ولذا : "ينبغي للمعاشر والنديم المجالس للملوك والرؤساء أن يكون نظيف الكف ، نقي الظفر ، متعاهدا لتقليمه ، والتخليل بين أصابعه ، وغسل يده في أوقات وضوءه ومطعمه . . . نظيف الوجه ، والشارب

١- وفيات الأعيان ٣ : ٤٧١ .

٢- انظر أدب النديم ص ٢٥٠ . وانظر التاج ص ٧١ حيث يتحدث الجاحظ عن صفات خلقية في النديم فيشرطه : "أن يكون معتدل الأخلاط . . . لا الصفراء تقلقه وتكثر حركته ، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ويكثر بوله وبزقه . . . ، ويطيل نومه ، ولا السوداء تضجره وتطيل فكره ، وتكثر أمانيه وتفسد مزاجه . . .

والأنف، نقيّ الجبين، مستعملاً... تسريح اللحية وتنظيف الثياب وعمامة خاصة، لأن العين كثيراً ما تقع عليها^(١). ويعتبر الوشاء أن النظافة هي علامة الظرفاء لأنها "تجعل النفوس إليهم تائفة والأرواح عاشقة"^(٢). وقد يما كان أردشير بن بابك يرى أن جمال النديم في نظافة ثوبه، وأن النديم لا يكون نديماً إذا انتقض فيه هذا الشرط^(٣). ودفعت النظافة بعض الندماء إلى استهجان وساخة ملازميهم ومعاشريهم، ويروى أن أحد الندماء رأى أبا تمام (ت ٢٣١ هـ) الشاعر وهو يلعب الشطرنج، وكان أبو تمام وسخاً، فقال: "ما أوسخ هذا الشطرنج! فقال أبو تمام: واللعب أوسخ"^(٤).

ومما يكسب النديم مظهراً جذاباً أن يرتدي الزي المناسب لمجلس السلطان الذي يخالطه، ومنذ القدم عني الملوك بأزياء رعيتهم، وقد رأينا كيف رسم ملوك الفرس لكل طبقة من الناس زياً خاصاً بها، ليعرف كل بزّيه، وفي أي طبقة هو، وبما أن ندماء ملوك الفرس كانوا طبقات متفاوتة، لذلك فإنه كان لكل طبقة من هؤلاء الندماء زي خاص تحضر به مجالسهم.

١- مطالع البدور ١: ١٤٤ وراجع ص ١٤١، رسوم دار الخلافة ص ٣٢ - ٣٣، أدب النديم ص ١٢٠، ٣٩٦.

٢- الموشى ص ٤٦ - ٤٧.

٣- انظر مروج الذهب ١: ٢٤٥.

٤- مطالع البدور ١: ٧٧.

وحذا ملوك الإسلام حذو الفرس، فسليمان بن عبد الملك أمر ألا يدخل عليه رجل من خاصته إلا في الوشي^(١) . وهارون الرشيد رسم زياً للداخلين عليه ، فعندما دخل عليه أحد الرّجاز لينشده وعليه قلنسوة طويلة وخفّ سانج ، قال له : إِيّاك أن تشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفّان دمالقان^(٢) . وكان الندماء يعمدون إلى لبس الأزياء ذات الألوان الزاهية عندما يذهبون لعنادة ذوي السلطان ، فإسحق الموصلي كان عندما يدخل على الأمين ليناديه يلبس قباء وخفّاً أحمر، ويعتصب بعصابة صفراء ، ويشدّ وسطه بشقّة حمراء من حرير^(٣) .

وكان الملوك يستهجنون أن يحضر جلساؤهم وندماؤهم في غير الأزياء المخصّصة لمجالسهم ، ويروي النضر بن شميل أنه دخل على المأمون وهو في بهو له في يوم صائف ، وعليه قميص مرقوع ، فقال له : " يا نضر ، تدخل على أمير المؤمنين في خلقان ثيابك ١٠٠٠ " ^(٤)

-
- ١- انظر مروج الذهب ٣ : ١٨٥ .
 - ٢- البيان والتبيين ١ : ٩٥ . ويعلّل كشاجم لبس العمامة والخفّ فيقول : " حتى لا ينحسر الرأس ويبدو القدم إجلالا للسلطان " . انظر أدب النديم ص ٣٢ .
والدّماليق : المستدير الأملس . انظر البيان والتبيين ١ : ٩٥ الحاشية رقم ٦ .
 - ٣- انظر الأغاني ٥ : ٣١٦ - ٣١٧ .
 - ٤- المحاسن والمساوي ص ٤٣١ .

والمتوكل أمر أن لا يدخل عليه أحد من خلطائه إلا في ثياب وشي منسوجة
أو ديباج ظاهرة ٠٠٠ ثم حضر ندماؤه وسائر المغنين في ذلك النبي^(١) .

وهكذا أصبح هناك نبي خاص للداخلين على الخليفة، وكان الرسم أن لا
يصل أحد إلى الخليفة العباسي إلا في السواد^(٢) . وتحدث الجاحظ عما
يلبسه الداخلون على الخليفة فقال : " وقد يلبس الناس الخفاف والقلائس في الصيف
كما يلبسونها في الشتاء ، إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الأمراء وعلى السادة
العظام ، لأن ذلك أشبه بالاحتفال ، وبالتعظيم والإجلال ، وأبعد عن التبذل
والاسترسال ، وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم في منازلهم ومواضع انقباضهم^(٣) .

وعناية ذوي السلطان بنبي ندماهم ومظهرهم جعلتهم يفرضون على النديم
أن يحضر مجالسهم " في النبي الظاهر الذي يعرفه ، ويشهد فيه المجالس الحافلة
من غير أن يتشهر^(٤) ، فإن شاء الملك أن يغير حاله وزيه ويكرمه بشيء من ثيابه ،

١- الديارات ص ١٠٣ .

٢- انظر نشوار المحاضرة ٨ : ١٥٧ .

٣- البيان والتبيين ٣ : ١١٤ .

٤- يتشهر : يظهر الشيء في شئ حتى يشهره الناس . انظر اللسان مادة شهر .

حسن أن يلبس ذلك من وقته حتى ينقضي المجلس، ولم يحسن أن يجلس فيه ظاهراً في مجلس ثان، لأنه شيء اختاره الملك في ساعة بعينها لا في كل أوقاته". (١)

وهكذا أصبح لمجالس المناديات زي خاص يرتديه الندماء، وكان الخلفاء أرادوا بما يخلعونهم على ندماتهم من أزياء في مجالسهم أن يظهروا أمامهم بما يحببهم إلى نفوسهم، ويجعل مظهرهم جميلاً تتوق إليه، لأنهم بتلك الأزياء التي يغيرون بها مظهر الندماء يتخلصون من منظر ثيابهم التي ربما كانت تشير النفور وتبطل أنسهم ومرحهم، خاصة إذا كانت ثياباً غير صالحة لمجالس الندام. وقد سرّ السراة الناس الخلفاء في ذلك فجعلوا ثياباً خاصة لهم ولندماهم يرتدونها في مجالس شربهم وأنسهم، ويروى أن "جعفر بن يحيى البرمكي جلس يوماً للشرب، وأحب الخلوة، فأحضر ندماته الذين يأنس بهم، وجلس معهم وقد هيا المجلس، ولبسوا ثياب المصبغة، وكانوا إذا جلسوا في مجلس الشراب واللّهو لبسوا الثياب الحمر والصفرة والخضر، ثم إن جعفر بن يحيى تقدّم إلى الحاجب إلا يأذن لأحد من خلق الله تعالى سوى رجل من الندماء، وكان قد تأخر عنهم، اسمه عبد الملك بن صالح، ثم جلسوا يشربون ودارت الكاسات، وخفقت العيدان، وكان رجل من أقارب الخليفة هو عبد الملك

ابن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس^(١) (ت ١٩٦ هـ) ، شديد الوقار والدين والحشمة ، وكان الرشيد قد التمس منه أن ينادمه ويشرب معه ، وبذل له على ذلك أموالا جلية ، فلم يفعل ، فاتفق أن حضر إلى باب جعفر بن يحيى ليخاطبه في حوائج له ، فظن الحاجب أنه هو عبد الملك بن صالح ، الذي تقدم جعفر بن يحيى بالإذن له ، وألا يدخل عليه ، فأذن الحاجب له ، فدخل عبد الملك بن صالح على جعفر بن يحيى ، فلما رآه جعفر كاد عقله يذهب من الحياء ، ووظن أن القضية قد اشتبهت على الحاجب بطريق اشتباه الإسم ، ووظن عبد الملك بن صالح أيضا للقبضة ، وظهر له الخجل في وجه جعفر بن يحيى ، فانبسط عبد الملك وقال : " لا بأس عليكم ، احضروا لنا من هذه الثياب المصبغة شيئا " ، فأحضر له قميص مصبوغ ، فلبسه وجلس يياسط جعفر بن يحيى ويمازه ، وقال : " اسقونا من شرابكم " ، فسقوه رطلا^(٢) .

١- عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، أمير عباسي ولاء الهادي إمرة الموصل ، وعزله الرشيد ثم ولاء المدينة وغيرها ، وبلغه أنه يطلب الخلافة فحبسه هو أطلقه الأمين وولاه الشام وغيرها . وكان من أفصح الناس وأخطبهم ، وله مهابة وجلالة . وقيل ليحيى بن خالد البرمكي لما ولي عبد الملك على المدينة : كيف ولاء المدينة من بين أعماله ؟ فقال : أحب أن يياهي قرينها ، ويعلمهم أن في بني العباس مثله . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ٣٠٤ - ٣٠٥ حيث يذكر مصادره .

٢- الفخري في الآداب السلطانية ص ١٥٠ - ١٥١ . وانظر الخبر في المستطرف ٢ : ١٨٥ - ١٨٦ ، والعقد الفريد ١ : ٣٠٩ ، والوزراء والكتاب ص ٢١٢ - ٢١٣ . ويبدو أن الثياب المصبغة لم تكن تلبس في مجالس ذوي الجاه والسلطان وحسبه وإنما كان يرتديها الندماء الذين يشربون في الأديرة . انظر الديارات ص ٢٢ .

وحتى ينال النديم قبول من ينادم من ذوي السلطان ، وحتى تزداد هيئته
جمالا فرض عليه أن يتطيّب ليقطع الرائحة الكريهة من العرق وغيره ، كي لا يشم
رئيسه منه تلك الرائحة في حال دنوّه منه ، ولذا عليه أن يواصل استعمال الطيب
والبخور والتضمّخ بالمسك ، لأن الملوك ترى أنّ من أغفل تعهد نفسه كان لغيرها
أشدّ إغفالا (١) .

وهكذا يعتبر التعطر والتطيّب من الواجبات المفروضة على النديم ، بحيث يطيب
شعره وثيابه بالبخور وغيره من أنواع الطيب (٢) ، ولذا كان الندماء يتضمّخون بالخلوق (٣)
قبل ذهابهم إلى مجالس المناديات (٤) . وبما أنّ النديم يدنو من الملك - لأن
حديثه يكون السرار أحيانا - عليه أن يحافظ على نقاء فيه من الرائحة الكريهة ،
وثوبه من الدنس ، وذلك بتوفية هذه الأشياء حقّها من التطيّب (٥) .

١- صبح الأعشى ١ : ٨٠ ، وانظر أدب النديم ص ١٢ ، حيث يعتبر كشاجم تطيب النديم
من جماله .

٢- انظر مطالع البدور ١ : ١٤٤ .

٣- الخلق : ضرب من الطيب . انظر اللسان مادة خلق .

٤- انظر الديارات ص ٢٢ .

٥- انظر أدب النديم ص ٣٩ .

وإذا تطيب النديم فعليه أن يتجنب من الطيب ما يعلم أن السلطان يكرهه
ويأبى شمه لئلا يقع فيما وقع فيه إبراهيم بن المهدي في مجلس المعتصم ، ويروى :
" أنه كان يكثر استعمال الغالية ^(١) ويتغلف منها في كل يوم بمقدار أوقية في رأسه
ولحيته ويسرح شعره ، فتختبيء في ثيابه وبين طاقاته ، وكان المعتصم يجتوي ^(٢)
رائحتها ، ولا يستطيع الصبر عليها ، ويقاسي من إجلاسه إلى جانبه ما يتكلفه ولا
يبوح به ، فلما زاد ذلك عليه أجلس أحد أثباء المأمون فيما بينه وبينه ، فثقل فعله
على إبراهيم ، وضاقت صدره به ، ولم يعرف السبب فيه إلى أن جاء مخارق المغني
فأعلمه أن وصيفا ^(٣) دخل على المعتصم بالله ، وأكب على رجله يقبلها ، فدفعه وقال
له : " أردت أن تتشبه بإبراهيم عم أمير المؤمنين في الغالية ، ووالله ما احتملت ذلك
منه ، حتى باعدت مجلسه مني ، فعرف حينئذ العلة فيما عامله به ، وتعارض نحو شهره
ثم ركب ودخل على المعتصم بالله ، فسأله عن حاله ، وأقبل يجيبه بانكسار ، فقال له :
أراك معافى ، فما هذا الإنكسار ؟ " قال : " من فعل الغالية يا أمير المؤمنين ، وما
كنت أتغلف منها ، وقد نهاني الطب الآن عنها " . فقال له : " اقبل قولهم ، فلك في
غيرها من الطيب مندوحة " . وتركها ، ورجع إلى منزله في الجلوس ^(٤) .

-
- ١- الغالية : ضرب من الطيب . انظر اللسان مادة غلا .
 - ٢- يجتوي : يكره . انظر اللسان مادة جوا .
 - ٣- عرف بوصيف التركي ، كان أميرا كبيرا . أصله من معاليك المعتصم ، ومن مشاهير قواده .
استحجبه المعتصم ثم الواثق فالمتوكل فالمنتصر هو انتصب منصب الوزارة وإن كان لم يسم بها .
وقتل في سامراء سنة ٢٥٣ هـ أيام المعتز . راجع ترجمته في رسوم دار الخلافة ص ٣٣
الحاشية رقم (١) .
 - ٤- رسوم دار الخلافة ص ٣٢ - ٣٣ .

تصرفات الندماء

أ- في مجالس الشراب

إن انهماك كثير من الملوك بشرب الخمر جعلهم يختصون عددا من مقربيهم
لمنادمتهم في مجالس شربهم ، ولا يتسنى لندمائهم الحظوة لديهم إلا إذا عرفوا
كيف يتصرفون بحضرتهم ، ولذا : " ينبغي للنديم إذا جلس للشرب مع الملك أن
يجلس في المرتبة التي لا يتجاوزها إلى ما هو أعلى منها عنده ، ولا يحط نفسه
عنها ، ولا يكثر الإلتكأ بين يديه ، وليكن منتصب الجلوس ، خفيف الوطأة ، إن قام
قام لقيامه ، وليحذر التبسيط والتמיד والتمطي . . . وتفريك اليدين ، وفرقة الأصابع
واللعب بالخاتم ، والعبث باللحية والعمامة ، ولا يكون من شأنه التعزية والتهنئة . . .
ولا العبث بالفاكهة والرياحين والأزهار . . . ولا الإكثار من التثقل بعد الشرب
ولا يرمي تفل ما يمتصه بحيث يرى ، ولا يعض الفاكهة نهشا ، بل يقطع منها حاجته
بالسكين قطعا ، ولا يكثر شم الرياحان ، ولا إدارة اليد فيه ، ولا يقطع رؤوسه ، ولا
ينفضه عند أخذه ، ولا يفركه ، ولا يلتقطه بعد مضغه ، وليكن شرابه مضا ، وكرعه جرعا ،
ولا يشرب من الشراب ما لا يطيق فيزول عقله ، وليصب لنفسه ما يعلم أنه يقوم به ،
ولا يرفع القدح قبل الملك ، ولا يصب فيه نبيدا من قبل صبه أومعه ، ولا يفتح
صوتا ، ولا يظهر الطرب ، ولا يوقع على تلحين ، ولا ييدو منه هزل ، إن ناوله الساقى
قدحا أخذه بلا ازدياد ولا نقصان ، ولا ماسكة ولا معارة ، فإذا أحس بنفسه سكرا

أسرع القيام والإنصراف وهو يملك نفسه" (١) .

وهكذا فإنه من حسن أدب النديم - أو الجليس - أن يعرف كيف يقي نفسه غضب الملك خاصة إذا حضر عنده في مجلس شراب، وطلب منه المشاركة أو أمر له بشيء منه، وكان لا يشرب الخمر، وذلك أن يحسن الاعتذار أو التنصل من ذلك، وأن لا يكون جافيا في رفضه له فيتسخط ما يقدم له، ويروى عن طريق الثقيفي (٢) (ت ١٦٥ هـ) قوله: "خصصت بالوليد بن يزيد حتى صرت أخلو معه، فقلت له ذات يوم وأنا معه في مشربه: "خالك لم يشرب شرابا ممزوجا إلا من لبن أو عسل"، فقال الوليد: "قد عرفت ذاك، ولم يباعدك من قلبي". ثم دخل عليه فناوله كأسا، فأخبره أنه لا يشرب، فقال له: "أعطيتك إياه لمناولة الغلام". وغضبه ولما قام القوم، أغلظ له الوليد، وقال: "أردت أن تفضحني، ولولا أنك خالي لضربتك ألف سوط"، ثم نهى الحاجب عن إدخاله، وقطع أرزاقه" (٣) .

١- مطالع البدور ١: ١٨٠ - ١٨١ .

٢- طريق بن اسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقيفي، أبو الصلت، شاعر الوليد بن يزيد، وخليته، وهو من أخواله الثقفيين . انقطع إليه قبل أن يلي الخلافة، واستمر اتصاله به، وأكثر شعره في مدحه، وجعله الوليد أول من يدخل عليه، وآخر من يخرج من عنده، وكان يستشير في مهماته، وقد عاش إلى أيام الهادي العباسي . راجع ترجمته في الأعلام ٣: ٣٢٥ حيث يذكر مصادره .

٣- الأغاني ٤: ٣١٠ .

ويحدث أن يتغلب الشراب على بعض الندماء ، فتصدر عنهم تصرفات غير لائقة تسيء إلى الملك وندمائه ، ومع هذا فإن بعض الملوك تسامحوا أحيانا مع ندمائهم المعريدين ، واحتملوا هفواتهم ، خاصة إذا أدركوا أن ما بدر عنهم كان بتأثير الشراب وليس عن عمد . وقد مدحت العرب ، وافتخرت بعدم محاسبة النديم على زلاته ، ومن أقوالها في ذلك :

ولست بلاح لي نديماً بزلة ولا هفوة كانت ونحن على خسر (١)

ومما يروى عن عفو أصحاب السلطان ما جاء عن شرب اليزيدي (٢) (ت ٢٠٢ هـ) عند المأمون ، الذي أخذت منه الكأس فأقبل يعتز عليه بتعليمه إياه ، وأساء مخاطبته ،

١- انظر التاج ص ٢٢ ، وراجع ما جاء في الموشى ص ١٦ ، عن تجاوز الهفوات . وقد جاء في محاضرات الأدباء ٣٣ : ٦٩٥ أن تجاوز هفوات الندماء واجبة حيث يقول الشاعر :

إذا حكمت كؤوسك في الندامى فحقهم الإقالة للعشار

٢- يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، أبو محمد ، اليزيدي ، عالم بالعربية والأدب ، من أهل البصرة ، وسكن بغداد فصحب يزيد بن منصور الحميري خال المهدي يودب ولده ، فنسب إليه ، اتصل بالرشيد ، وآدب ولده المأمون ، توفي بمرور ، وله تصانيف . راجع ترجمته في الأعلام ٩ : ٢٠٥ حيث يذكر مصادره .

فلما أفاق من سكره ، عرف ما جرى ، ووقف بين يدي المأمون منشدا :

أنا المذنبُ الخطأُ والعفوُ واسعُ ولولم يكنْ ذنبٌ لما عرفَ العفوُ
شملتُ فأبدتُ مني الكأسُ بعضَ ما كرهتُ وما إنْ يستوي السكرُ والصحوُ

فقال له المأمون: " لا تشرب عليك ، فالنبيذ بساط يطوى بما عليه " (١) .

وبالرغم مما عرف عن محبة المأمون للعفو إلا أنه لم يسامح من يديم العريضة في مجلسه ، ويروى أن عبد الله بن موسى الهادي (٢) (ت نحو ٢٢٠هـ) كان معريدا ، وكان قد أحفظ المأمون لعريذته إذا شرب معه ، فأمر بأن يجلس في منزله فلا يخرج منه ، وأقعد على بابه حرسا . ثم تدمم من ذلك فأظهر له الرضا ، وصرف الحرس عن بابه ، ثم ناداه فعريذ عليه أيضا ، وكلمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مغرما بالصيد ، فأمر المأمون خادما من خواص خدمه ، يقال له : حسين ، فسمه في دراج وهو بمرسي أباد ، فدعا عبد الله بالعشاء ، فأتاه حسين بذلك الدراج فأكله . فلما أحس بالسم ركب في الليل وقال لأصحابه: " هو آخر ما تروني " . . . ومات عبد الله بعد أيام " (٣) .

١- زهر الآداب ١: ٤٤٨ ، والأغاني ٢٠: ٢٥٢ .

٢- عبد الله بن موسى الهادي بن محمد المهدي العباسي ، أبو القاسم ، شاعر من أمراء آل عباس ، كان جوادا ظريفا ممدحا ، أورد الصولي نماذج من شعره الرقيق في قسم " أشعار أولاد الخلفاء " من كتاب الأوراق . راجع ترجمته في الأعلام ٤: ٢٨٥ حيث يذكر مصادره .

٣- الأغاني ١٠: ١٩٧ .

وهكذا فإن بعض ذوي السلطان لم يتوانوا عن الثأر لعزّتهم ومعاقبة ندمائهم الذين يعرّبون في مجالسهم ، ويروى عن الحسين بن الضّحّاك الخليج - وكانت به عريدة - أنه كان يوماً عند صالح بن الرشيد ، فجرى بينهما كلام ، وقد أخذ منه الشراب مأخذاً قوياً ، فردّ عليه ردّاً أنكره صالح وتأولّه على غير ما أراد ، فهاجره ، فكتب الحسين شعراً استرضاه فيه ، فكتب إليه : " قد تلافى لسانك بشعرك ما جناه في وقت سكر ، وقد رضيت عنك رضا صحيحاً " . فعاد إلى خدمته وما سكر عنده بعدها (١) .
ومن نوادر ما يروى في ذلك أنه : " كان بالبصرة مجنون ، فدعا أصحاباً له من المجانين ، وأطعمهم وسقاهم نبيذاً ، فعربد أحدهم ، فأخذ بيده وأخرجه ، وأغلق بابه دونه ، ثم دخل وهو يقول :

وَمَعْرِبٍ أَخْرَجْتُهُ
لَمَّا تَعَرَّضَ لِلنَّدَامَى (٢)

ولأبي نواس قول في عدم مسامحة النديم :

وَإِذَا رَامَ نَدِيمِي عَرِيدَةً
فَأَقْرَعَ عَنِ الْكَأْسِ مِنْهُ كَبِيدَةً (٣)

١- الأغانى ٧ : ١٦٤ - ١٦٥ . ويروى أن الحسين بن الضّحّاك لما عربد بحضرة الأمين أمر بجرّ رجله من بين يديه ، وصرفه وأمر بأن يحجب عنه . راجع المصدر السابق ٧ : ٢٠٦ .

٢- قطب السرور ص ٤٣٦ .

٣- ديوان أبي نواس (دار صادر) ص ١٨٨ ، وانظر قطب السرور ص ٤٤٢ .

ومن المستحسن للملوك وذوي السلطان حرصا على ندمائهم وعلى استمرار
علاقتهم الحسنة بهم إذا علموا أن بعضهم قد بلغ غاية مجهوده في الشرب،
وأنّ الزيادة بعد ذلك تضرّ ببدنه وجوارحه، أن يأمرؤا بالكفّ عنه، وأن لا يكلف
فوق وسعه^(١)، لأنّهم يكونون بذلك قد جنبوا أنفسهم رؤية تصرفاتهم غير اللائقة
وسماعها. ويستحسن أيضا بالنديم الذي يعرف أنّه لا يقتدر على الشرب الكثيره
ولا يستطيع مجارة الملك في ذلك، ويفتضح عند تناوله، أن يتجنّب حفاظا على
حظوته عنده.

ب- على مائدة الملك

إنّ مؤاكلة الملك تفرض على نديمه أو جليسه أن لا يحسن الصمت على مائدته،
لأنّ الملك يتوخى أن يسمع منه الأحاديث التي تزيد في شهوته، ولذا فإنّه
يستظرف في النديم أن يصف اللون الغريب من الطعام^(٢)، وأن يتخير الأحاديث
التي تناسب الحال التي هو فيها.

١- انظر التاج ص ٤٩ .

٢- انظر أدب النديم ص ٨٠ . وانظر أيضا نهاية الأرب ٦: ١٤٦ حيث جاء: "من لم يدر
عشرة أصوات من الغناء ويحسن من غرائب الطبخ عشرة أنواع لم يكن عندهم ظريفا كاملا
ولا نديما جامعا".

ومع أن الأحاديث فاكهة المجالس إلا أنه جاء أن بعض ملوك الفرس أمروا بالسكوت عند الطعام لتأخذ الطبيعة مجراها، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء، وتسكن النفس عند ذلك، فتدبر كل عضو تدبيراً يؤولي إلى ما فيه صلاحه حين أخذ صفو الطعام^(١).

وعلى النديم أو الجليس أن يراعي نفسية الملك الذي يواكله، فإذا لمس منه سخاءً وكرماً ذاكراً بما يعجبه ويشاكل مذهبه في إخماد قوة الشهوة للأكل، والإكثار منه وما فيه من اللذة، وإذا لمس منه بخلاً حدثه بما جاء في تخفيف الطعام والأخذ بمقدار الحاجة إليه، وما يقيم الجسم دون ما يتعرض به للتخمة... ثم إن استشاره في نقل أو عشاء لم يشر عليه إلا بما لطف من النقل وحاد به عن الطعام وخوفه عاقبته^(٢).

وإذا شارك النديم أو الجليس السلطان مائدته عليه أن لا يستوفي طعامه بحضرته، وأن يراعي عدم الشره على موائده لأنها: "للشرف وليست للعلف"^(٣).

١- انظر مرجع الذهب ١: ٢٢١ • وراجع التاج ١٨-١٩ •

٢- انظر أدب النديم ص ٢٦-٢٧ •

٣- الكشكول ٢: ٢٩٦ • ويمكن أن يكون هذا الشرط خاصاً بالأشراف الذين يدعون لمشاركة الملوك موائدهم وهؤلاء ليسوا في عداد الندماء •

لأن حظه من مائدة الملك هو المرتبة التي رفع إليها . وقد كان ملوك الفرس يعاقبون الذين يشرهن بحضرتهم ، وكانوا إذا رأوا شرها في أحد المقربين أخرجوه من طبقة الجد إلى طبقة المهزل ، ومن باب التعظيم إلى باب الإحتقار^(١) . ويحكى عن سابور ذي الأكتاف أنه أراد أن يعين قاضيا ، فوصف له أحد الأشخاص ، فاستدعاه وجلس وإياه على المائدة ، وقدمت إليهما دجاجة ، شطرها سابور ، ووضع بعضها أمام الرجل . ولما شرعا في الأكل ، فرغ الرجل من حصته ، ومدّ يده إلى طعام آخر ، فلما رفعت المائدة ، قال له : " انصرف إلى بلدك ، فإن سلفنا كانوا يقولون : " من شره بين يدي الملوك إلى الطعام كان إلى أموال الرعية أشد شرها " ^(٢) . ويروى عن علي بن أبي طالب أنه كان إذا دعي إلى طعام أكل شيئا قبل أن يأتيه ، وكان يقول : " قبيح بالرجل أن تظهر لقمته في طعام غيره " ^(٣) .

ولكن إذا كان الموائد ممن ينادمون الملك ويظيلون مجالسته فقد أذن له بذلك ويتحدث صاحب التاج ممن يسمح له به فيقول : " وكذلك يجب للملوك أن لا يشره أحد إلى طعامهم ، ولا يكون غرضه أن يملأ بطنه وينصرف . . . إلا أن يكون الأكل أخا

١- انظر التاج ص ١٣ ، والمستطرف ١ : ٢١٤ .

٢- التاج ص ١٦ ، وتببيه الملوك والمكائد ص ٢٦ .

٣- المخلاة ص ٤٨ . وجاء في نهاية الأرب ٣ : ٣٤٩ أن المأمون كان يكره أن يرى نديمه يكثر من أكل البقل ، ومن الإنكباب على الطعام لأنهما يدلان على الشره .

الملك أو ابنه أو عمه أو ابن عمه ، أو من أشبه هؤلاء ، ويكون أيضا ممن يقصر بعد الأكل ويطيل المنادمة ويجعل ما يأكله غداً يومه وليلته ، إذ كان لا يمكنه الإنصراف متى شاء" (١)

وأثناء الأكل على النديم ألا يرفع طرفه إلى الملك إذا أكل ، ولا يحرك يده معه في صفحة (٢) ، حتى إن بعض الندماء والجلساء لم يرتض للملك أن يرفع طرفه إليه ويلاحظه ، ويروى أن أعرابيا حضر مائدة معاوية ، فبينما هو يأكل إذ تعلقت شعرة بلقمة الأعرابي ، فقال له معاوية : " يا أعرابي ، نج الشعرة عن لقمتك " ، قال : " وإنك تلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة في اللقمة ، والله لا أكلت عندك أبدا ، وخرج وهو يقول :

وَلَمُّوتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ يَلَاحِظُ أَطْرَافَ الْأَكِيلِ عَلَى عَمْدٍ (٣)

ويتوقع الخليفة من خلطائه أن يشاركوه فيما يدعوهم إليه من طعام ، ولما دخل عمرو ابن العاص على معاوية وهو يتغدى قال : " هلم يا عمرو " ، قال : " هنيئا يا أمير المؤمنين ،

١- التاج ص ١٣٠ وانظر هاورد في السعادة والإسعاد ص ٣٨١ : " وإن أجلسك السلطان على مائدته فلا تستوفين الطعام وإن احتجت إليه إلا أن تكون في حساب الندماء " .

٢- انظر التاج ص ١٦٠ .

٣- عيون الأخبار ٣ : ٢٢٢ . وانظر المخلاة ص ١٥٩ حيث يروى الخبر عن سليمان بن عبد الملك .

أكلت آنفا" ، فقال : " أما علمت يا عمرو أنّ من شراهة المرء أن لا يدع في بطنه مستزادا لمستريد؟ " فقال : " قد فعلت يا أمير المؤمنين " ، قال : " ويحك ، فلمن أبقيته؟ ألن هو أوجب حقا من أمير المؤمنين؟ " فقال عمرو : " وماذا لقيت منك يا معاوية؟ " ثم دنا وأكل^(١) . وهكذا اعتبر امتناع عمرو بن العاص عن مؤاكلته تضييعا لواجباته نحوه ، ولذلك اضطرّ عمرو إلى تجاوز الخطأ الذي وقع فيه وشاركه في الأكل . ويروى عن عبد الملك بن مروان أنه لما دعا رجلا إلى غدائه ، وقال له : " تغديت " ، قال له : " ما أتيح الرجل أن يأكل حتى لا يكون فيه بقية لطعام " ، فقال : " يا أمير المؤمنين ، شيء فضل ، ولكني كرهت أن أكل ، فأصير إلى ما استقبح أمير المؤمنين^(٢) . وبهذا استدرك ما وقع فيه ، وأشار إلى أن ما قام به لم يكن إلا إرضاء للخليفة .

وإذا رفض أحد الحاضرين دعوة الخليفة إلى مائدته ، يمكن أن يتولى موظفو البلاط إهانتة ، مثلما حدث عندما استدنى المنصور للغداء شابا من بني هاشم - وكان يسلم من بعيد وينصرف - وقال له : " تغديت " . فأمر حاجب المنصور أن يدفع في قفاه عند خروجه ، ولما تقدّم الرجل بشكواه إلى الخليفة ، برّر الحاجب موقفه بما أَرْضى الخليفة ووافق هواه بعد أن نبّه إلى سوء أدب الرجل وجهله بالمكانة التي رفعه إليها أمير المؤمنين^(٣) .

١- المستجاد من فعلات الأجواد ص ٢٦٠ .

٢- المخلاة ص ٤٨ .

٣- انظر عيون الأخبار ٢ : ٥٠ .

وهكذا فإنه يكره في النديم أن يحضر إلى مجلس السلطان ولا يستطيع أن يشاركه في طعامه ، وأنسه ومتعته ، ويكون حضوره تنغيصا له وتكديرا ، فعندما دعا إبراهيم ابن المهدي مخارقا المغني ، وسار إليه لا فضل فيه لطعام ولا شراب ، اغتم لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع (١) .

وأعجب الخلفاء بالندماء والخلطاء الأكولين وقدموهم على غيرهم ، ويروى أن المعتصم عزم على الاصطباح مع ندمائه ، فأمر كلاً منهم أن يطبخ قدرا ، ثم دخل الحاجب يستأذن لأحمد بن أبي دواد (٢) (ت ٢٤٠ هـ) ، فشاور ندماءه بدخوله ، فقالوا : " لا " . لكنه قال لهم : " سواء لهذا الرأي ، والله لحسن سنة أسهل علي من ذلك " ، ولما دخل بان السرور على المعتصم ، وقال له : " أحكم فيما طبخ " ، فأكل من جميعها حتى استوفى ، وأعطى حكمه فيها ، ثم جلس وشاركهم في الأكل ، وأخذ يحدثهم بأخبار مشاهير الأكلة في صدر الإسلام أمثال معاوية بن أبي سفيان ،

١- انظر الأغاني ٦ : ١٦٩ .

٢- أحمد بن أبي دواد بن جرير بن مالك الإيادي ، أبو عبد الله ، مشأ في دمشق ورحل إلى بغداد ، وهو أحد القضاة المشهورين من المعتولة وأس فتنة القول في خلق القرآن . كان عارفا بالأنساب والأخبار ، وكان شديد الدهاء ، اتصل بالمأمون ، والمعتصم الذي استقضاه وجعل يستشيريه في أمور الدولة كلها ، ثم اتصل بالوائق ، وتوفي في أول خلافة المتوكل . راجع ترجمته في الأعلام ١ : ١٢٠ حيث يذكر مصادره .

وسليمان بن عبد الملك ، والحجاج ، وعبيد الله بن زياد ، ويحدثهم عن أكلة دهره ،
ولما رفعت المائدة سأله المعتصم حوائجه ، فقضى له ثلاث عشرة حاجة . ثم قام
خطيباً ، فمدح المعتصم . فقال المعتصم : " هذا والله الذي يتزين بمثله ، ويبتهج
بقره ، أما رأيتم كيف دخل ؟ وكيف أكل ؟ وكيف وصف القدور ؟ وكيف انبسط في
الحديث ؟ وكيف طاب به أكلنا ؟ والله لا يردّ هذا عن حاجة إلا لئيم الأصل ،
ولو سألتني ما قيمته عشرة آلاف ألف درهم ما رددته عنها ، فإنني أعلم أنه
سيكسبني في الدنيا جمالا وحمدا ، وفي الآخرة ثوابا وأجرا " .^(١)

وسخط الملوك على الذين أظهروا نفورا من مشاركتهم طعامهم ، قال محمد
ابن عبد الملك الزيات^(٢) (ت ٢٣٣ هـ) : " أعين عليّ أحمد بن أبي دواد بأشياء لم
أعن عليه بمثلها ، حتى أنه أعين عليّ في تمكّن حاله عند الواثق ، بأنّه كان طيب

١- نشوار المحاضرة ٧ : ٢٤٥ - ٢٤٧ .

٢- محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ، أبو جعفر ، المعروف بابن الزيات ، وزير المعتصم
والواثق ، عالم باللّغة والأدب ، من بلغاء الكتاب والشعراء . نشأ في بيت تجارة في الدسكرة
قرب بغداد ، ونبغ ، فتقدّم حتى بلغ رتبة الوزارة ، وعول عليه المعتصم في مهام دولته ، وكذلك
ابنه الواثق . ولما فرض الواثق عمل ابن الزيات على تولية ابنه وحرمان المتوكل ، فلم يفلح .
وولي المتوكل فنكبه ، وعدّبه إلى أن مات ببغداد ، وكان من العقلاء الدهاة . وله ديوان
شعر . راجع ترجمته في الأعلام ٧ : ١٢٦ - ١٢٧ حيث يذكر مصادره .

الأكل ، طحون الضرس ، هضم المعدة ، وكنت على خلافه في ذلك ، فحضرته يؤاكل
الواثق وليس معهما ثالثه ودعاني الواثق إلى الطعام ، فأقبلت أنفر على حسب
عادتي ، وخمود شهوتي ، وهما يتباريان في تكبير اللقم ، وجودة الأكل ، فلما رأى
أحمد ذلك مني قال : " يا أمير المؤمنين ، ما جلوس هذا المحتمي معنا يحصي علينا
اللقم ، أما أكل كما نأكل فوفانا حق المأكلة ، ولم يحشمنا ، أو نهض ، فتفرد بمأكلة
أمير المؤمنين من يحسن حضورها ، ويقابلها بما يشبهها " ، فقال الواثق : " قد صدق
أحمد ، فكل أو دع " . فما تمالكت أن نهضت ^(١) .

ويتحدث الغزولي عن طريقة خاصة لأكل الظرفاء ، وذلك بأن يقبض الرجل
الخنصر والبنصر ويأكل بأصابعه الثلاثة وفي مذهب الظرفاء أن البنصر إذا أصابه
الزفر فليس بظريف في الأكل إلا في الشريد فإن أكلها بأربعة أصابع سوى الخنصر ،
وقالوا : " الأكل على أربعة أنحاء : بإصبع عن المقف ، وإصبعين من المكرو ، وثلاث من
السنة ، ويخمس من الشره " ^(٢) . ومن آداب الأكل بين يدي الملوك أن لا يخلط
النديم طعاما بآخر ، ولا يغمس اللقمة بالخل ثم يضعها في الطعام ^(٣) ، حرصا على
عدم انسداد شهية الملك لأنه يتأذى من مشاهدة هذه التصرفات .

١- أدب النديم ص ٨-٩ .

٢- مطالع البدور ٢ : ٦٠ .

٣- انظر نهاية الأرب ٦ : ١٥٠ .

ج - في مجلس الملوك

تخضع العلاقة بين النديم والسلطان لجملة من الشروط والآداب التي توجه تصرفات كل من يعاشر السلطان ، وكلما أظهر النديم تمسكا بها ازدادت حظوته لأن الملوك لا يقربون إلا من يستشعرون هيبته ويحترمونها .

وإذا كان النديم في حضرة الملك : مسبيله أن يقل الالتفات إلى جانبه وورائه ، والتحرك ليده أو شيء من أعضائه ، أو رفع رجل للاستراحة عند إعيائه ، وأن يغض طرفه عند كل مرأى إلا شخص الخليفة وحده ، وألا يسار أحدا في مجلسه ، ولا يشير إليه بيده ، ولا يقرأ رقعة ولا كتابا يوصلان بين يديه إلا ما احتاج إلى قراءته عليه ، وأذن له فيه . (١)

ويستقبح أن يصدر عن خلطاء الملك ما يدل على مللهم وعدم متعتهم بما يدور في المجلس ، أو ما يثير نفور الملك واشمئزازه . وجاء في (الموشى " أن : الظرفاء لا يتتأبون ولا يتمطون ولا يوقعون أكفهم ، ولا يشبكون أصابعهم ، ولا يمدون أرجلهم ، ولا يحگون أجسادهم ، ولا يمسون آنافهم ، وخاصة إذا كان أحدهم بين يدي خليفه

أو ربيطه أو حبيسه أو من يحتشمه ويكرمه^(١) .

وإذا عطس الملك على النديم أن لا يشمته ، ولما حمل الشعبي إلى عبد الملك ابن مروان طلب منه ألا يكلفه ذلك^(٢) ، لأن الملوك يستقلون ردّ جوابه . وقد قيل في الملوك : " هم جماعة يستكثرون من الكلام ردّ السلام ، ويستقلّون من العقاب ضرب الرقاب"^(٣) . ومما يجب أن يتجنّبه النديم المخاط والبصاق على الجملة والسعال والعطاس على قدر المستطاع^(٤) ، ولكن يحدث أن لا يتقيد النديم بهذه الآداب ، ولما فرض أحد موظفي بلاط المعتصم هذه الشروط على علي بن الجنيد الإسكافي^(٥) ، وطلب منه التهيو لملازمة المعتصم قال له ابن الجنيد : " وكيف أتهدأ؟ أهى لى

١- الموشى ص ١٤٦ .

٢- انظر وفيات الأعيان ٣ : ١٣ - ١٤ ، وكذلك أدب النديم ص ٣٧ حيث جاء : " إن مما يلزم النديم لرئيسه أن يروض نفسه أن لا يصبّحه ولا يمسيه ولا يشمته ولا يستخبره " وانظر عيون الأخبار حيث جاء " أن عبد الملك بن صالح العباسي قال لمؤدب ولده بعد أن اتّخذة جليسا : " لا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ، ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع عنك كيف أصبح الأمير وأمسى " .

٣- الكشكول ٢ : ١٧ .

٤- انظر الموشى ص ١٤٦ ، رسم دار الخلافة ص ٣٥ ، مروج الذهب ٤ : ٤٩ .

٥- علي بن الجنيد الإسكافي اتّصل بالمعتصم وكان يضحكه ويهازله ، وكان المعتصم يأنس به ، وكان عجيب الصورة ، عجيب الحديث . راجع مروج الذهب ٤ : ٤٨ .

رأساً غير رأسي، أأشتري لحية غير لحيتي؟ أأزيد في قامتي؟ أنا متهييء
وفضلة ولما أسمع شروطه، قال له: "أذهب له، فقل له: "ما يزاملك إلا من أمة
زانية، وهو كسرخان"^(١)، فرجع الموظف، فقال للمعتصم ما قال، فضحك المعتصم
وقال: "جئني به"، فجاءه، فقال: "يا علي، أبعث إليك تزاملني فلا تفعل؟" فقال له:
"إن رسولك هذا الجاهل... جاءني بشروط يهرب منها الشيطان، فقال: "لا تبصق،
ولا تفعل كذا، وافعل كذا، وجعل يمطط في كلامه، ويفرقع في صاداته، ويشير بيديه...
ولا تسعل ولا تعطس، وهذا لا يقوم لي، ولا أقدر عليه، فإن رضيت أن أزمالك،
فإن جاء الفسء فسوت عليك وضرطت، وإن جاءك أنت فأده، فافس واضرط، وإلا
فليس بيني وبينك عمل" ، فضحك المعتصم حتى فحص برجليه، وذهب به الضحك كل
مذهب، وقال: "نعم زاملني على هذه الشريطة"^(٢).

وهناك جملة من الشروط التي تفرض على الندماء، وعليهم أن يتقيدوا بها،

ومنها:

أولاً - عدم الغضب

إن الغضب عند الملوك جراءة عليهم، ولذا فهم يكرهون أن يصدر ذلك عن

١- الكسرخان: الديوث، وهو دخيل في كلام العرب. انظر اللسان مادة كسرخ.

٢- مروج الذهب ٤: ٤٨-٤٩، ومحاضرات الأدباء ٢: ٦٩٤.

ندمائهم ، وهم نادرا ما تجاوزوا عن ذلك وتسامحوا فيه . قيل عن نصيب الشاعر
أنه دخل على إبراهيم بن هشام بن عبد الملك ، فأنشده مديحاه ، فقال إبراهيم :
" ما هذا بشيء " ، أين هذا من قول أبي دهب^(١) (ت ٦٣ هـ) لصاحبنا ابن الأزرق
حيث يقول :

إِنْ تَعُدُّ مِنْ مَنَقَلِي نَخْلَانَ مَرْتَحِلًا يَرِحُّ مِنْ أَلْيَمِنِ الْمَعْرُوفِ وَالْجُودِ

فغضب نصيب ، ونزع عمامته ، وبرك عليها ، وقال : " لئن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق
نأتكم بمثل مديح أبي دهب أو أحسن ، إن المديح والله إنما يكون على قدر
الرجال " ، فأطرق ابن هشام ، وعجبوا من إقدام نصيب عليه ، ومن حلم ابن هشام
وهو غير حليم^(٢) . ولكن إذا لم توجه آية انتقادات لتصرفات نصيب في هذا
المجلس ، فهذا لا يعني أن الملوك يتجاوزون دائما عن مثل هذه التصرفات .
ويروى أن اليزيدي سأل الكسائي بحضرة الرشيد : " انظر ، في هذا الشعر عيب ؟ "
وأنشده :

١ - وهب بن زمعة بن أسد ، من أشرف بني جمح بن لؤي بن غالبه من قريش ، من
أهل مكة . وهو أحد الشعراء العشاق المشهورين ، وله مدائح في معاوية وعبد
الله بن الزبير ، وكان صالحا وقد ولّاه عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن . توفي
بتهامة . وأخباره كثيرة ، وله ديوان شعر . راجع ترجمته في الأعلام ٩ : ١٤٩ .

٢ - الأغاني ١ : ٣٦٢ - ٣٦٣ .

لا يكون العير مَهْرًا لا يكون المهر مَهْرًا

فقال الكسائي: "قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي: "انظر فيه، فقال: "أقوى، لا بدّ ينصب" المهر الثاني" على أنه خبر كان، "فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض، وقال: "أنا أبو محمد، الشعر صوابه وإنما ابتداء فقال: "المهر مهر"، فقال له يحيى ابن خالد: "أتكتني بحضرة أمير المؤمنين، وتكشف رأسك، والله لخطأ الكسائي مع أدبه، أحبّ إلينا من صوابك مع سوء فعلك"، فقال: "لذة الغلبة أنستني من هذا ما أحسن" (١).

ثانياً - عدم رفع الصوت والفخر

آدب الله تعالى أصحاب الرسول (ص) فقال: "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون" (٢). وفي مجالس الملوك فإنه يطلب من النديم أن يخفض صوته وآلا يرفعه إلا بقدر السماع الذي لا يحتاج معه إلى استفهامه واستعادته. جاء في السعادة والإسعاد: "يجب على من دخل إلى رئيس أن لا يجازبه مقبلاً إليه ولا منصرفاً عنه، وليس ينبغي أن يرفع صوته في كلامه بأكثر مما يسمعه" (٣).

١- معجم الأدباء ١٣: ١٧٨-١٧٩.

٢- سورة الحجرات: ٢.

٣- السعادة والإسعاد ص ٣٧٩. وانظر التاج ص ٦٩ حيث جاء: "ومن حقّ الملك أن لا يرفع أحد صوته بحضرة، لأن من تعظيم الملك وتبجيله خفض الأصوات بحضرة، إذ كان ذلك أكثر في بهائه وعزّه وسلطانه". وراجع رسوم دار الخلافة ص ٣٣-٣٤.

والفخر في حضرة الملك من أشد ما يؤذيه ويسيه إلى عظمته ، لأنه لا يتوقع من ندائه أن يظهروا دالتهم بحضرتهم ، ولذلك كره الملوك من لا يسيطر على لسانه ويظهر منه ما يسىء إلى عزتهم . ولما استنشد سليمان بن عبد الملك الفرزدق - وكان يرى أنه سيهدمه - أنشده مفتخرا :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ مِنْهُمْ
سَرَوًا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفَهُمْ
إِذَا اسْتَوْضَحُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا
لَهَا سَلْبًا مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَائِبِ
عَلَى شُعَبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارًا غَالِبِ

وكانت عمامته على رأسه مثل المنسف ، فغاظ سليمان ، وكلح في وجهه ، واستنشد النصيب الذي رأى تغير وجهه وعرف سبب غضبه وغيظه ، فأنشده مادحا :

وَقُلْتُ لِرَكِبٍ قَافِلِينَ لَقَيْتَهُمْ
قَفُوا خَبَرُونَا عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي
فَعَاجِبُوا فَأَتُّنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ
لِمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانِ طَالِبُ
وَلَوْ سَكَّتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فاستحسن سليمان ذلك ، وسر ، وأجازه .^(١)

ثالثاً : تجنب المزاح

إن المزاح مع الملوك يختلف عنه مع الأكفأ والخلطاء ، فعندما يمازح الرجل صديقا لا يحاسب نفسه على كل ما بيدر منه لعدم شعوره بأية قيود كتلك التي يجب أن يضعها أمامه عند محاولة التفكير به مع الملوك ، ولذا فإن المزاح معهم غير مأمون العواقب لأن خيره لا ينال وشره لا يقال ، ويستحسن تجنبه حتى مع الأصدقاء .^١ والتحفّظ في هذا الباب من أكبر الأسباب . لأن المنادر والمهاتر والمسامر قد تمرّ له النادرة المضحكة والطيبة المتحرّكة ، فيستغرب المجلس ، وتطرب الأنفس ، فيدعوه ما استحسّن منه ، واستندر عنه ، أن يعود إلى مثلها ، فينقص من حيث ظنّ أنّه زاد ، ويفسد عليه ما أراد .^(١) .

وقد حرص المؤدّبون أن لا يؤثر عن ملوكهم أو أبنائهم ما يشير إلى تعاطيهم المزاح أو السماح به في مجالسهم ، ونرى أن عبد الحميد الكاتب قد أوصى عبد الله بن مروان بن محمد ، الذي كان وليّ عهد أبيه ، في رسالة إليه بقوله : " إياك وأن يفاض عندك بشيء من الفكاهات ، والحكايات ، والمزاح ، والمضاحك ، التي يستخفّ بها أهل البطالة ، ويتسرّع نحوها ذوو الجهالة ، ويجد فيها أهل الحسد مقالا لعيب يذيعونه ، وطعنا في حقّ يجحدونه ،

١- ذيل زهر الآداب ص ١٢ .

مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهدم الشرف وتأثيل الغفلة^(١) .

ولكن يستحسن المزاح مع الملك إذا تبين النديم منه نشاطا لذلك ، على أن يستأذن قبل الشروع فيه ، فقد قال أحد الجلّساء للمأمون : "أياذن أمير المؤمنين في المداعبة؟" قال : " وهل العيش إلا فيها"^(٢) . وكان المأمون لمحبتة المزاح يغري إسحق الموصلي بالعبث بالعتّابي^(٣) (ت ٢٢٠ هـ) ، فأقبل يعارضه في كل ما يذكره ، ويزيد عليه ، فعجب منه ثم قال : "أياذن أمير المؤمنين في مسألة الإنسان عن اسمه ونسبه؟" قال : "افعل" ، فقال العتّابي : "من أنت ، وما اسمك؟" قال : "أنا من الناس ، واسمي كلّ بصل" ، فقال العتّابي : "أما النسبة فمعروفة ، وأما الإسم فمفكر ، وما كل بصل من الأسماء؟"

١- رسائل البلغاء ص ١٢٩ .

٢- أدب النديم ص ١٠ .

٣- كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي ، أبو عمرو ، من بني عدّي بن سعد مكاتب وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة ، يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي هو هو من أهل الشام ، سكن بغداد فمدح الرشيد وأخزين ، ورمي بالزندقة ، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن ، فسعى الفضل بن يحيى البرمكي بأخذ الأمان له من الرشيد ، فأمنه ، وعاد فاخصّ البرامكة ثم ظاهر بن الحسين . وصنّف عددا من الكتب . راجع ترجمته في الأعلام ٦ : ٨٩ - ٩٠ حيث يذكر مصادره .

قال إسحق : " ما أقل إنصافك ، وما كلثم من الأسماء ؟ والبصل أطيب من الثوم " . فقال العتّابي : " لله درك ما أرجحك ، ما رأيت يا أمير المؤمنين كالرجل قط ، أفيأذن لي في صلته بما يصله به أمير المؤمنين ، فقد والله غلبني " . فقال المأمون : " بل هو موقر عليك ، ونأمر له بمثله " ، ونهضا " . (١)

ولكن إذا سمح للنديم في المزاح فإنه يحذر من إغائة الملك ، وإذا وقع النديم في ذلك فإنه يستطيع أن يتخلص منه بأن يجعل حكاية ما يحكيه للملك ، وإشارة ما يضحك به عائدتين عليه ، ويجب أن لا يحمله ما يراه من ضحك الملك على الاستمرار فيما حدّره منه (٢) .

رابعاً - عدم التعرّض للحرم والغلمان .

إن من حقّ الملك أن لا يرفع أحد من خاصته رأسه إلى حرمة له صغرت أم كبرت ، لأن غيظته تجعله سريع الانتقام ممن يفعل ذلك . ولقد أدرك بعض الندما " نفسية الملوك وأغفلها آخرون " . ومما يستحسن من شدة تحرّز الندما " ما حكى : " أنه أهدى إلى بعض الملوك

١- أدب النديم ص ١١ .

٢- انظر رسوم دار الخلافة ص ٨٨ .

حلي وكسوة ، وبحضرتها امرأتان من نساءه ، ووزير من وزرائه ، فخير إحدى إمرأته بين اللباس والحلية ، فنظرت المرأة إلى الوزير كالمستشارة له ، فغمزها بإحدى عينيه على أخذ الكسوة ، ولحظه الملك ، فعدلت عما أشار به من الكسوة ، واختارت الحلى ، لثلاث يظن الملك للغمزة ، ومكث الوزير أربعين سنة كاسرا عينه ليظن الملك أنها عادة وخلقة" (١) .

ولم تقبل الملوك العبث بجواربها ، ويروي أبو الفرج الأصبهاني أن المأمون اصطحب يوما ومعه ندماءوه ، وفيهم محمد بن حامد ، وجماعة من المغنين ، وعريب (٢) (ت ٢٧٧ هـ) معه على مصلاه ، فأوما محمد بن حامد إليها بقبلة ، فاندفعت تغني ابتداءً :

رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بِطَعْنَةٍ كَحَاشِيَةِ الْبُرْدِ الْيَمَانِيِّ الْمُسْتَمِ

تريد بغنائها جواب محمد بن حامد ، بأن تقول له : "طعنة" ، فقال لها المأمون : "امسكي" ، فأمسكت ، ثم أقبل على الندماء ، فقال : "من فيكم أوما إلى عريب بقبلة ؟ والله لئن

١-الوزراء والكتاب ص ١١ ، وراجع العقد الفريد ١ : ٢١ .

٢-عريب المأمونية ، شاعرة ، مغنية ، أدبية ، من أعلام العارفات بصنعة الغناء والضرب على العود ، وقيل هي بنت جعفر بن يحيى البرمكي ، ولدت ببغداد ، ونشأت في قصور الخلفاء من بني العباس ، وأعجب بها المأمون فقرّبها حتى نسبت إليه ، ويقال إنها أجادت اللعب بالنرد والشطرنج ، وقد صنعت ألف صوت في الغناء . وأخبارها كثيرة في الأغاني . ماتت بسامراء . راجع ترجمتها في الأعلام ٥ : ١٩ حيث يذكر مصادرها .

لم يصدقني لأضربن عنقه" ، فقام محمد فقال: "أنا يا أمير المؤمنين أومأت إليها ،
والعفو أقرب إلى التقوى" ، فقال : " قد عفوت" (١) .

وشملت غيرة الخلفاء ، وغلماها ، فقد غضب المتوكل على نديمه أحمد بن إبراهيم
ابن اسماعيل بن حمدون وعاقبه لأنه كان يسهل للفتح بن خاقان الإتيان بأحد
غلمانه (٢) .

وكره الناس العاديون - وهذا طبع في الإنسان - التعرض لحرمهم ، وقد قال
بعضهم لنديم رآه يرمق حرمه :

كُلُّ هَنِئِيًّا وَمَا شَرِيَّتْ مَرِيئًا ثُمَّ قُمْ صَاغِرًا وَغَيْرَ كَرِيمٍ
لَا أَحَبُّ النَّدِيمِ يَرْمِقُ بِالْعَيْنِ إِذَا مَا أَنْتَشَى لِعِرْسِ النَّدِيمِ (٣)

وفخر بعض الندماء بالتخلص من إغراء نساء من ينادمون ، واعتبروه دليلا على إخلاصهم
لهم ، ويروى عن أحد الفضلاء أنه كان ينادم صديقا له فتعرضت له زوجته فامتنع عنها ،
وقال :

رَبِّ حَسَنَاءٍ كَالْمَهَابَةِ تَهَادَى قَدْ دَعَتْنِي لَوْصَلَهَا فَأَبَيْتُ
لَمْ يَكُنْ بِي تَحَجُّجٌ غَيْرَ أَنِّي كَدْتُ نَدْمَانَ زَوْجِهَا فَاسْتَحْيَيْتُ (٤)

١- الأغاني ٢١ : ٧١ .

٢- انظر معجم الأدباء ٢ : ٢٠٤ .

٣- انظر محاضرات الأدباء ٢ : ٦٩٨ ، والأغاني ١٧ : ٣٣٩ .

٤- انظر محاضرات الأدباء ٢ : ٦٩٧ .

خامسا : عدم السعاية بأحد

كرهت الملوك سعاية ندمائها ووشايتها ، وحملت ذلك على الكذب ، والملق ، ولذا فإن سبيل النديم أن يكف لسانه عن الغيبة عند سلطانه ، لأنه يتصور ذلك إما شرا غلب على طبعه ، أو حسدا استكن في صدره . فعبد الملك بن مروان حذر جليسه الشعبي أن يسعى إليه بأحد ، ولم يرض أن يغتاب عنده أحدا^(١) . وقد قال المأمون لأحد جلسائه بعد أن رآه يسعى بأخوانه ويغتابهم عنده : "إن الصديق يحول بالجفا عدوا ، والعدو يحول بالصلة صديقا ، وأراك رطب اللسان بعيوب إخوانك ، فلا تزدهم في أعدائك ، والعافل قليل الغيب ، وما اعتادت نفسي غيبة ولا ريبة"^(٢) . وكان علي بن الجهم خصيصا بالمتوكل لكنه أبغضه لأنه كان كثير السعاية إليه بندمائيه ، والذكر لهم بالقبيح عنده ، وكان إذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه ، ويثلبونه ويتنقصونه فيكشف عن ذلك ، فلا يجد له حقيقة ، فنفاه بعد أن حبسه مدة^(٣) . وروي في رسم دار الخلافة "أن أحد وزراء المقتدر بالله كان يكثر من ذكر علي بن محمد ابن الفرات"^(٤) (ت ٣١٢ هـ) والطعن عليه ،

١- انظر المحاسن والأضداد ص ١٥ ، وبهجة المجالس ١ : ٣٤٣ ، ومرج الذهب ٣ : ١٢٤ ،

وعيون الأخبار ٢ : ٢٣ .

٢- رسم دار الخلافة ص ٣٧ .

٣- انظر الأغاني ١٠ : ٢٠٥ ، وانظر التاج ص ١٢٠ حيث جاء : "إن من حق الملك أن لا يعاب عنده أحد ، صغرام كبير" .

٤- علي بن محمد بن موسى أبو الحسن بن الفرات وزير من الدهاة ، الفصحاء والأدباء الأجواد .

وهو مهتم الدولة للمقتدر ، ولد في النهروان الأعلى ، واتصل بالمعتضد بالله فولاه ديوان

السواد . ثم بلغ رتبة الوزارة أيام المقتدر ، فتولاها ثلاث مرات ، وانتهت المرة الأخيرة بسجنه

وضرب عنقه ، وطرحت جثته في دجلة . راجع ترجمته في الأعلام ٥ : ١٤١ - ١٤٢ حيث يذكر مضاده .

وكانت تظهر من المقتدر بالله كراهية لما يسمعه منه . فلما كان عنده في بعض الأيام ، أعاد الوزير ذكر ابن الفرات والوقية فيه ، فقال له المقتدر بالله :

"أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ مِنْ اللَّوْمِ أَوْ سَدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا"

فامتقع لون الوزير ، وكادت الأرض تخيس به ، ولم يعد له ذكرا^(١) .

سادسا : كيف يسأل النديم العطايا

يلزم الندماء الملوك طلبا لصلاتهم وجريا وراء جوائزهم ، وقد بلغ بعضهم درجة عالية في اقتناصها . ويفضل الملك ألا يلحق النديم في مسأله لأن ذلك يضجره ويدل على دناءة النديم^(٢) . كما يقبح بالنديم أن يستمع الملك على سكره ، لأنه يرى أن ذلك يجري مجرى الخديعة ويدخل في باب الحيلة^(٣) . ولكن إذا دفعته ضرورة إلى المسألة فالأحسن أن لا يبتدي بالسؤال محضا ، وأن يتوخى له من الأحاديث والمعارض ما يندرج السؤال في تضاعيفه على أطف ما يمكن في ذلك ، وأقربه من النادرة والفكاهة ، كما فعل المفضل

١- رسم دار الخلافة ص ٣٨ .

٢- انظر صبح الأعشى ١ : ٧٧ ، وعيون الأخبار ١ : ١٩ .

٣- أدب النديم ص ٣١ .

الضبي^(١) (ت ١٦٨ هـ) عندما بايت المهدي ، فلم يزل يحادثه وينشده حتى جرى ذكر حماد الراوية ، فقال له المهدي : " ما فعل عياله ؟ ومن أين يعيشون ؟ " قال : " من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد " (٢) .

ومن سوء الأدب أن يستقلّ الجليس العطيّة ، فمثلا عندما رفع قطرب النحوي^(٣) (ت ٢٠٦ هـ) كتابه في القرآن إلى المأمون أمر له بجائزة ، وأذن له ، فلما دخل عليه قال : " قد كانت عدة أمير المؤمنين أرفع من جائزته " . فغضب المأمون وهمّ به^(٤) .

١- المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبيّ، أبو العباس من أهل الكوفة ، راوية ، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب ، وكان ثقة . ويقال إنه خرج على المنصور العباسي الذي ظفر به وعفا عنه ، ولزم المهدي ، وصنّف له كتاب المفضليات . وللضبيّ كتب أخرى . راجع ترجمته في الأعلام ٨ : ٢٠٤ حيث يذكر مصادره .

٢- أدب النديم ص ٣١ .

٣- محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو عليّ الشهير بقطربه نحوي ، عالم بالأدب واللغة ، من أهل البصرة ، من الموالي . كان يرى رأي المعتزلة النظامية . وهو أول من وضع كتاب " المثلث " في اللغة . وقطرب لقب دعاه به استاذة سيوية فلزمه ، وكان يودّب أولاد أبي دلف العجلي . وله عدد من الكتب . راجع ترجمته في الأعلام ٧ : ٣١٥ حيث يذكر مصادره .

٤- انظر العقد الفريد ٣ : ٥٧ ، وكذلك صبح الأعشى ١ : ٧٧ حيث جاء عن صحبة النديم للسلطان : " ولا يواصل التثقيل بأغراضه أو الإلحاق بأسئلته ، ولا يظهر التشجب عند التقصير به ، ولا الغضب اتكالا على سالف خدمته ، وأن يتناسى ما أسلفه من الخدمة والصحبة " .

ويكره أصحاب السلطان أن ينحطّ ندمائهم إلى درجة السعي الخسيس وراة
العطية بحيث يظهرون لهم أن المال هو السبب الذي من أجله صاحبوهم ،
واتصلوا بهم ، ولما دخل أحد الندماء على صالح بن هارون الرشيد " وكان قد
كتب على جبينه : " سيدي ، هب لي شيئاً " . لم يستطع صالح ذلك ، ولم يستلمحه ،
واستبعده من مجالسه (١) .

سابعاً : ماذا يفعل إذا نعس السلطان .

إذا أخذت الملك سنة من النوم وغلبته عيناه ، فعلى ندمائه أن ينهضوا من
حضرتة بحركة لينة خفيفة ، حتى يتواروا عن قرار مجلسه ، ويكونوا بحيث يقربون منه
إذا انتبه . ولا يقولن إنسان في نفسه : " لعل الملك إن هب من سنته لا يسأل
عني ، أو لعله أن يمتد به النوم أو يعرض له شغل ، فإن هذا من أكبر الخطأ ،
وقد قتل بعض الملوك نديما في هذه الصفة " (٢) .

١- الأغاني ٧ : ٢٠٤ .

٢- التاج ص ٧٥ .

ويروى أنّ الرشيد "أمر جماعة من أهل العلم بمبايعة المأمون وهو غلام، فبات عنده الحسن بن زياد اللؤلؤي^(١) (ت ٢٠٤ هـ) ، فبينما هو يحادثه نعى المأمون، فقال له: "نمت أيها الأمير، فاستيقظ، وقال: "سويقي ورب الكعبة"، ثم قال: "يا غلام، خذ بيده"، فأخرجه، وبلغ الرشيد ذلك فاستصوبه"^(٢).

ثامنا : ماذا يفعل إذا أخطأ السلطان

إنّ أنفة الملوك وشعورهم بالتفوق لا يسمحان لهم أن يقبلوا من ندمائهم أن يعلموهم أمام من يحضر مجالسهم، ولا أن يتمسكوا بخطأ يسمعون منه، لأن ذلك إظهار لتقصير السلطان وتشهير بجهله. ومن الأفضل أن يخرج تعليم الجليس العالم له مخرج المذاكرة والمحاضرة، لا مخرج التعليم والإفادة^(٣)، وإن ظهر من السلطان خطأ أو زلل في قول أو عمل لم يجاهره بالرد، بل يعرض باستدراك

١- الحسن بن زياد اللؤلؤي ، أبو علي ، من أهل الكوفة، نزل ببغداد ، وكان أبوه من موالي الأنصار، وهو قاض، فقيه ، من أصحاب الإمام أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالما بمذهبه بالرأي . تولّى القضاء بالكوفة سنة ١٩٤ هـ ثم استعفى . وعلماء الحديث يطعنون في روايته . وله عدد من المصنّفات . انظر ترجمته في الأعلام ٢ : ٢٠٥ حيث يذكر مصادره .

٢- المخلاة ص ٣٢-٣٣، والمحاسن والمساوي ص ٦٢٠ - ٦٢١، والعقد الفريد ٣ : ٧ .

٣- جاء في المستطرف ١ : ١١٠ : "علم السلطان وكأنك تتعلم منه ، وأشر عليه وكأنك تستشير".
وراجع صبح الأعشى ١ : ٨٦، ورسائل البلغاء ص ٧٠ .

زله وإصلاح خلله • حكي أن عبد الملك بن مروان قال للشعبي: كم عطاءك؟ قال: "ألفين"، قال: "لحنت"، قال: "لما ترك أمير المؤمنين الإعراب كرهت أن أعرب كلامي عليه"^(١) • وهذا من أذكي التلميحات التي لجأ إليها الشعبي دون أن يشعر الخليفة أنه يتسقط أخطاءه ويقصد الإساءة إليه • ويروي الأصمعي قوله: "دخلت على الرشيد هارون، ومجلسه حافل، فقال: "يا أصمعي، ما أغفلك عنا، وأجفك لحضرتنا؟" قلت: "يا أمير المؤمنين، ما لاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك"، قال: "فأمرني بالجلوس، فجلست وسكتت عني، فلما تفرق الناس إلا أقلهم نهضت للقيام، فأشار إلي أن أجلس، فجلست حتى خلا المجلس ولم يبق غيري ومن بين يديه من الغلمان، فقال: "يا أبا سعيد، ما معنى قولك: "ما لاقتني بلاد بعدك؟" قلت: "ما أمسكتني، يا أمير المؤمنين، وأنشدت قول الشاعر:

كفأك كف ما تليق درهماً جوداً، وأخرى تعط بالسيف دماً

أي ما تمسك درهماً، فقال: "أحسنته وهكذا فكن، وقرنا في الملاء وعلمنا في الخلاه فإنه يقبح بالسلطان أن لا يكون عالماً، إما أن أسكت، فيعلم الناس أنني لا أفهم، إذ لم أجب، وإما أن أجيب بغير الجواب، فيعلم من حولي أنني لم أفهم ما قلت"، قال الأصمعي: "فعلمني أكثر مما علمته"^(٢) •

١- أدب الدنيا والدين ص ٧٥ •

٢- وفيات الأعيان ٣: ١٧٢-١٧٣ • وانظر أدب الدنيا والدين ص ٧٥ •

أ - لغة البلاط

كانت اللغة الفصحى هي اللغة الرسمية للبلاط عند ملوك العرب، وكان لا يقبل من الجلساء والندماء اللحن في الكلام لأنه يعتبر من عيوبهم . ولما لحن خالد بن صفوان عند عبد الملك بن مروان قال : " اللحن في الكلام أقيح من الجدرى في الوجه " (١) . وإذا أحب رجل أن يتخلص من صحبة السلطان وملازمته تعمد اللحن في كلامه حتى يغضبه فيكره مجالسته ، وذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي بعث إلى والي البصرة : " أن يختار له عشرة فصحاء " ، فاختار رجالا بينهم كثير بن أبي كثير ، وكان عربيا فصيحاً ، قال كثير : " بم أفلت من الحجاج ؟ ثم قلت في نفسي : " باللحن " ، فلما دخلت عليه دعاني فقال : " ما اسمك؟ " قلت " كثير " ، قال : " ابن من؟ " فقلت : " إن قلت " ابن أبو كثير " خفت أن يتجاوزها ، فقلت : " ابن أبا كثير " ، فقال : " اذهب ، فعليك لعنة الله ، وعلى من بعث بك " ، ثم أمر بجره من عنقه وأخرج " (٢) .

١- المخلاة ص ٤ .

٢- ذيل زهر الآداب ص ١٠ .

وكان أصحاب السلطان يتأذون عند سماع اللحن ، ويروى أن رجلين اختصما إلى عمر بن عبد العزيز ، فجعلاً يلحنان ، فقال الحاجب لهما : " كما فقد أوزيتما أمير المؤمنين " ، فقال عمر : " أنت والله ، أشد أذى إليّ منهما " . (١)

وكان الجلساء يحاولون الايقاع بمن يلحن عند السلطان إظهاراً لعجزه عن مجالسته ، وقد كان في صحابة المهدي رجل يعرف بالثقي البصري ، وكان أبو عبيد الله بن يسار (٢) (ت ١٢٠ هـ) له مستثقالا ، وكان يحب أن يضع منه ، فتكلم الثقي يوماً فلحن ، فقال أبو عبيد الله : " أتجالس أمير المؤمنين بالملحون من الكلام ؟ أما كان يجب عليك أن تقوم من لسانك ؟ " فقال له الثقي : " إنما يحتاج إلى استعمال الإعراب في جميع

١- المحاسن والمساوي ص ٤٥٥ .

٢- معاوية بن عبيد الله بن يسار ، الأشعري بالولاء ، أبو عبيد الله ، من كبار الوزراء ، أصله من طبرية ، اشتغل بالحديث والأدب ، واتصل بالمهدي قبل الخلافة وبعدها ، ففوض إليه تدبير المملكة ، فنهض بالأعباء وجعل للوزارة شأنًا . كان شديد التكبر والتجبر ، واستمر إلى أن تولى الربيع بن يونس حجابة المهدي ، فعزل ، ومات معزولا . وهو أول من صنّف كتاباً في الخراج . انظر ترجمته في الأعلام ٨ : ١٢٤ حيث يذكر مصادره .

الكلام ، يا أبا عبيد الله ، المعلمون ، لينفقوا عند من التمسهم لتعليم ولده ، يعرض
بأبي عبيد الله ، لأنه كان معلماً في أول أمره ، فضحك المهدي حتى غطى وجهه . (١)

وكان الخلفاء يستغربون أن يلحن بحضرتهم جلساؤهم من العلماء ، ويحكى أن
الغراء (٢) (ت ٢٠٧ هـ) مع جلاله قدره وعلو رتبته في النحو ، دخل يوماً إلى الرشيد ،
فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحيى البرمكي : " يا أمير المؤمنين ، إنه قد لحن " ،
فقال الرشيد للغراء : " أتلحن ؟ " فقال : " يا أمير المؤمنين ، إن طباع أهل البدو والإعراب
وطباع أهل الحضرة اللحن ، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع
ألحن " . فاستحسن الرشيد كلامه بعدما أحسن تخلصه بلباقة إجابته . (٣) وهكذا كان الخلفاء

١- الوزراء والكتاب ص ١٤٥ .

٢- يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، أبو زكريا ، المعروف بالغراء ، من الموالي ،
ولد بالكوفة ورحل إلى بغداد ، وهو إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ،
وكان فقيهاً متكلماً عالماً بأيام العرب وأخبارهم ، عارفاً بالنجوم والطب ، يميل إلى
الإعتزال . وكان يقال : الغراء أمير المؤمنين في النحو . عهد إليه المأمون بتربية ولديه
وتأديبهما . وله مصنفات . راجع ترجمته في الأعلام ٩ : ١٧٨ حيث يذكر مصادره .

٣- أنظر صبح الأعشى : ١ : ١٧٧ .

يقيدون جلساءهم بالتزام الفصحى ويشترطون عدم اللحن على جميع الوافدين عليهم .
وقد قال المأمون لأحد الذين كانوا في مجلسه : " بلغني أنك أمي ، وأنت لا تقيم
الشعر ، وأنت تلحن " (١) . وكأنه يعلمه بأنه لا يصلح لمجالسته لأنه لا يمتلك المؤهلات
التي تساعده على ذلك .

ولكن التزام الفصاحة في الكلام يمكن التخلّص منه إذا ما حكى النديم أو الجليس
نادرة ظريفة أو حكمة لطيفة ، فحينئذ ، يجب أن لا يعربها فتثقل ، ولا يمججها
فتجهل ، ولا يمطمطها فتبرد ، ولا يقطعها فتجمد " (٢) .

بـ صفات الأحاديث

إن محادثة الملوك توجب على الندماء والجلساء مراعاة آداب الحديث حتى يمنحهم
الملوك سمعهم وجوارحهم .

ومن آداب الحديث " أن لا يقتضب اقتضابا ، ولا يهجم عليه ، وأن يتوصّل اجتراره بما
يشاكله ، ويسبب له ما يحسن أن يجري معه في غرضه حتى يكون بعض المفاوضة متعلّقا

١- انظر صبح الأعشى ١ : ٤٣ .

٢- نيل زهر الآداب ١٠ . ومجموع الكتاب : لم يبيّن حروفه ، أو غيره وأفسده . أظن اللسان
مادة مجع .

ببعض ٠٠٠ وأن لا يبتدي حديثاً ثم يقطعه ، ويعد بإتمامه كأنه رَوَّاهُ فيه بعد ابتدائه ،
ولتكن التروية قبل التفوه به ، فإن احتجار الحديث بعد ابتدائه سَخَفٌ (١) . وذلك
لأن الاقتضاب يمكن أن يدعو إلى الإيجاز الذي يخل بالفائدة المتوقعة من الحديث ،
لأن الإيجاز المتكلف يحوّل الحديث إلى فقرات معانيها غير واضحة ، وإذا أهمل النديم
مراعاة ذلك ، فإنه يكون جاهلاً بأن لسامعه غاية يجب أن يبلغها من الحديث ، ومتعة
يجب أن يحافظ عليها .

ولكن عدم اقتضاب الحديث لا يعني أن يفرق المحدث في إطالته لأن "أحلى
الحديث وأحسنه موقعا أن تجتنب منه الأحاديث الطوال ذات المعاني المغلغلة ، والالفاظ
الحشوية التي ينقضي باقتصاصها زمان المجلس ، وتتعلّق بها النفوس ، وتحتس على
أواخرها الكؤوس ، فإن ذلك بمجالس القصاص ، أشبه منه بمجالس الخواص ، ولم يزالوا
يمدحون الأحاديث بالقصر ٠٠٠ وقال عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) :

بَيْنَ أَقْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سِحْرٌ وَمَا سِوَاهُ كَلَامٌ (٢)

١- أدب النديم ص ٢٣ .

٢- المصدر السابق ص ٢٤ ، ومرج الذهب ٣ : ٢٨٤ .

ومن نوادر إطالة الحديث ما يروى عن أحمد بن الطيب السرخسي (١) (ت ٢٨٦ هـ) حيث يقول : "كنت عند العباس بن خالد ، وكان ممن حبب إليه أن يتحدث ، فأقبل يحدثني وينتقل من حديث إلى حديث ، وكان في صحن منزله ، فلما بلغتنا الشمس انتقلنا من موضع إلى موضع آخر ، حتى صار الظل فينا ، فلما أكثر وأضجر ، ومللت حسن الأدب في حسن الاستماع ، وذكرت قول الأوزاعي : " وإن حسن الاستماع قوة للمحدث " ، فقلت له : " إذا كنت وأنا أسمع قد عييت مما لا كلفة علي فيه ، فكيف بك ، وأنت المتكلم ؟ " فقال : " إن الكلام يحلل الفصول الغليظة التي تعرض في اللهوات ، وأصل اللسان ، ومنابت الأسنان ، فوثبت وقلت : " ما أراني معك إلا أياج الفيقرا إذا أنت تتغرغر بي منذ اليوم ، والله لا أجلس ، ثم اجتهد بي فلم أفعل " . (٢)

-
- ١- أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب السرخسي ، قرأ على الكندي ، وهو عالم ، متأدب ، بليغ ، كثير الرواية ، وقد علم المعتضد بالله ، ونادمه ، وخص به ، وتولى حاسبة بغداد والنواريث ، وسوق الرقيق ، وله عدد من المصنفات . راجع ترجمته في معجم المؤلفين ٢ : ١٥٧ .
- ٢- ذيل زهر الآداب ص ١١ . والأياج : دواء وهو معرب . انظر اللسان مادة أيج .
الفيقرا : الداهية ، انظر اللسان مادة فقر . الغرغرة والتغرغر بالماء في الحلق : أن يتردد فيه ولا يسيفه .

وخصّص كشاجم وصفا للأحاديث التي تستعمل في مجالس الشطرنج مع الملوك ، ويرى أن ما يناسبها هو النوادر المدهشة ٠٠٠ وهي عدّة اللاعب ٠٠٠ ويقول :
"ولست استحسنها إلا في موضعين ، عند وقوفك على الضربة الحسنة الدقيقة ٠٠٠ وعند وقوفك على إمكان الضربة الجيدة صاحبك ٠٠٠ فأنت بما تستعمله تشغله وتدهشه حتى يكاد يعنى عن رشده" (١) ويسمح بهذا لأن مجالس الشطرنج يتساوى فيها الملك وندماؤه ، وليس في ذلك نقص على الملك ولا ضعة في الملك ، "غير أن ذلك لا يكون معه بذاء ولا كلام رفث ولا معارضة بما يزيل حقّ الملك ، ولا صياح يعلو كلامه ، ولا نخير ، ولا قذف ، ولا ما هو خارج عن ميزان العدل" (٢) .
وإذا لم يتساو الملك وملاعبه فقدت لعبة الشطرنج لذاتها ، وأصبح هناك طرف مميّز ، ولذا فإنّ الملك يرغب أن يساويه ملاعبه حتى يستمتع بملاعبتهم ، لأنهم إذا ظهروا بمظهر الجاهلين باللعبة ، أو بمظهر الذين يتساهلون معه ، فقد الملك ما سعى إليه منها ، ولذا رخص الملوك لندمائهم لاعبي الشطرنج أن لا يحتشموا ، وأن يتخلّصوا من بعض القيود التي تلزمهم في مجالس أخرى .

١- أدب النديم ص ٤٠ .

٢- التاج ص ٧٢ ، وراجع ص ٧٣-٧٥ .

ج - اختيار الألفاظ في مخاطبة الملوك

يفرض على النديم أن يحسن اختيار ألفاظه بحيث يكون على حذر من عشرة لسانه، حتى يكسب ودَّ الملك وعطفه ولا يثير غضبه وسخطه . وليس للنديم أن يفسد ألفاظه وكلامه بأن يقول في حديثه : " فاسمع مني ، أو افهم عني ، أو يا هذا ، أو ألا ترى " لأن هذا اتهام للملك بعدم الفهم والوعي لما يقول (١) .

ومن الواجب عدم مخاطبة أصحاب السلطان بأسمائهم وكناهم ، وإنما بما يشير إلى عزتهم ويؤكد سلطانهم ، وكان الجفاة من العرب بسوء أدبهم ، وغلظ تركيبهم إذا أتوا النبي (ص) خاطبوه ودعوه باسمه وكنيته ، فأما أصحابه ، فكانت مخاطبتهم إياه بـ : " يا رسول الله ، ويا نبي الله " . (٢)

ومن حقَّ الملك إذا دخل عليه رجل ، وكان اسمه إحدى صفات الملك ، وسأله الملك عن اسمه ، أن يكتفي عنه ، ويجيب باسم أبيه ، كما فعل سعيد بن مرة الكندي حين أتى معاوية ، فقال له : " أنت سعيد؟ " فقال : " أمير المؤمنين السعيد ، وأنا ابن مرة " (٣) .

١- انظر التاج ص ١١٢ .

٢- المصدر السابق ص ٨٥-٨٦ . وقد وصفهم الله تعالى في سورة الحجرات ٤ ، بقوله : الَّذِينَ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ .

٣- المصدر السابق ص ٨٧-٨٨ ويرى أردشير بن بابك أن مخاطبة الملوك يجب أن تجري على المثال السابق لأن ضيغهم غير صريح العامة . راجع عهد أردشير ص ٤٩ .

ويمكن أن يحذر الملك جلساءه أحيانا من إثارة غضبه بإجاباتهم ، وقد سأل معاوية أبا جهم العدوي^(١) : " أنا أكبر أم أنت؟ " فقال: " لقد أكلت في عرس أمك يا أمير المؤمنين " قال : " عند أي من أزواجهما؟ " قال : " عند حفص بن المغيرة " قال: " يا أبا جهم ، إياك والسلطان ، فإنه يغضب غضب الصبي ، ويأخذ أخذ الأسد " (٢) .

ويجب ألا تبلغ الجرأة بالجليس التطاول على الملك والإساءة إليه ، حتى ولو طلب منه أن يعاتبه ببعض أقواله ، ويروى أن يزيد بن معاوية شرب ذات يوم وعندَه الأخطل ، فلما ثمل قال : " يا أخطل ، اهجني ولا تفحش " ، فأنشأ يقول :

١- عامر - أو عمير ، أو عبير - بن حذيفة بن غانم ، أبو جهم ، من قريش ، من بني عدي بن كعب ، وهو أحد المعمرين ، أسلم يوم فتح مكة ، واشترك في بناء الكعبة مرتين : الأولى في الجاهلية والثانية حين بناها عبد الله بن الزبير ، سنة ٦٤ هـ ، ومات في تلك الغينة ، وهو أحد الأربعة الذين دفنوا عثمان بن عفان ، وقد اتصل بمعاوية بن أبي سفيان . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ١٧ حيث يذكر مصادره .

٢- العقد الفريد ١ : ٦١ وكان لمعرفته بحلم معاوية يجروء على ذلك ويقول فيه :

وَنُغْضِبُهُ لِنَخْبَرِ حَالَتِيهِ فَنُخْبِرُ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا
نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْنَا

"أَلَا أَسْلَمَ سَلِمَتُ أَبَا خَالِدٍ وَحَيَّاكَ رَبُّكَ بِالْعَنْقَرِ (١)
وَرَوَى عِظَامَكَ بِالْخَنْدَرِ (٢) قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ تَعْجَزِ
أَكَلْتَ الدَّجَاجَ فَأَفْنَيْتَهُمَا فَهَلْ فِي الْخَنَّائِصِ (٣) مِنْ مَغْمَزِ
وَدَيْنِكَ حَقًّا كَدَيْنِ الْحِمَا رَبِّ لَ أَنْتَ أَكْفَرُ مِنْ هَرْمُزِ"

فرفع يده ولطمه ، وقال : " يا ابن اللخناء ، ما بكل هذا أمرتك " (٤) .

ويمكن أن يسبب سوء اختيار الألفاظ قلقا للملك واضطرابا أحيانا ، ويروى أن
أرطأة بن سهيبة دخل على عبد الملك بن مروان ، وكان قد أدرك الجاهلية والإسلام ،
فراه عبد الملك شيخا كبيرا ، فاستشده في طول عمره ، فقال :

رَأَيْتِ الْمَرْءَ تَأْكُلُهُ اللَّيَالِي كَأَكْلِ الْأَرْضِ سَاقِطَةَ الْحَدِيدِ
وَمَا تُبْقِي الْمَنِيَّةَ حِينَ تَأْتِي عَلَى نَفْسِ ابْنِ آدَمَ مِنْ مُزِيدِ
وَأَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَكْرُ حَتَّى تُوفِّي نَذْرَهَا بِأَبِي الْوَلِيدِ

١-العنقرز : المرزنجوش • انظر اللسان مادة عنقرز •

٢-الخندريس : الخمر القديمة • انظر اللسان مادة خندريس •

٣-الخنائيس جمع الخنوص وهو ولد الخنزير • انظر اللسان مادة خنص •

٤-المحاسن والمساوي ص ٢٨٦-٢٨٧ ، وكان يجب على الأخطل أن يحسن الخروج
من هذا بهجاء نفسه مثلما فعل أبو دلامة عندما طلب منه المهدي هجاء أحد
الحاضرين وكان فيهم أقرباء الخليفة ، فنال عطف الحاضرين ورضاهم • راجع الأغاني

فارتاع عبد الملك ، وظن أنه غناه ، لأنه كان يكنى بأبي الوليد ، وعلم أرطاة بسهوه
وزلته ، فقال مستدركا : " يا أمير المؤمنين ، إني أكنى بأبي الوليد " ، وصدق الحاضرون ،
فسرى عن عبد الملك قليلا . (١)

وبما أن العظمة والمهابة للخليفة دون غيره ، فلا يجوز للنديم أن يخص الخليفة
بالدعاء ، ويروى أن شابا من بني هاشم دخل على أبي جعفر المنصور الذي سأله عن
وفاة أبيه فقال : " مرض أبي رضي الله عنه يوم كذا ، ومات رضي الله عنه يوم كذا ، وترك
رضي الله عنه من المال كذا ، ومن الولد كذا " ، فانتهره الربيع وقال : " بين يدي أمير
المؤمنين توالي بالدعاء لأبيك " ، وكان ذلك كافيا لضحك المنصور حتى افتر عن نواجذه . (٢)

ويستحب في النديم القدرة على التقاط الألفاظ المهدبة واختيارها ، وقد كان
عند المهدي مؤدب يؤدب ابنه هارون ، فدعاه المهدي يوما وهو يستاك ، فقال له :
" كيف الأمر من السواك ؟ " قال : استك يا أمير المؤمنين " ، فقال المهدي : " إنا لله ، وإنا
إليه راجعون " . ثم قال : " التمسوا لي من هو أفهم من ذا " ، فوصفوا له الكسائي ،
فأمر باستدعائه من الكوفة ، ولما دخل عليه قال له : " كيف تأمر من السواك ؟ " قال :

١- وفيات الأعيان ٦ : ١٠٣ .

٢- البيان والتبيين ٢ : ٣٢٨ - ٣٢٩ .

"سك، يا أمير المؤمنين"، قال: "أحسنت، وأصبت"، وأمر له بعشرة آلاف درهم (١).

ويجب أن يحذر النديم من إجابة الخليفة بما يحمل على الهجاء والإساءة إليه، ولما استشهد المهدي بعض الرواة قول زهير بن أبي سلمى: "لمن الديار بقنة الحجر". قال له المهدي: "ذهب والله من كان يقول هذا"، فقال له: "كما ذهب والله من يقال فيه"، فاستجهله واستحمله (٢).

وعلى النديم أو الجليس أن يتجنب في كلامه ما يوقع الطيرة والتشائم كقول الفضل بن الربيع وقد سأله الرشيد عن شجرة خلاف، فقال له: "وفاق يا أمير المؤمنين" (٣).

وإن دعت الحاجة إلى ذكر شيء يوافق اسم حرمة للسلطان، عليه أن يورد ذلك باسم مستعار ويتجنب ما تنبؤ عنه القلوب والأسماع حتى لا يظن أنه يشهر به ويعرض، كفعل عبد الملك بن صالح العبّاسي وقد أهدى لهارون الرشيد

١- معجم الأدباء ١٣: ١٧٢.

٢- انظر العقد الفريد ٣: ٧.

٣- رسم دار الخلافة ص ٥٩ - ٦٠.

وردا ، فإنه كتب : " قد أنفذت إلى حضرة أمير المؤمنين وردا من بستانه في داره التي أسكنها ، في طبق من قضبان " . فلما قري ذلك على الرشيد قال أحد الجلساء : " ما أبرد قوله في قضبان ! " فقال الرشيد : " إنما كنى به عن الخيزران الذي هو اسم أمي " . (١)

ويقتص الجلساء هفوات بعضهم بعضا ، فيستغلون ذلك ليرفعوا من مكانتهم لدى السلطان ، وليضعوا من مكانة الذين زلت ألقاظهم عن مواقعها . ويحكى أن الرشيد سأل الأصمعي عن أنساب بعض العرب ، فقال له : " على الخبر سقطت يا أمير المؤمنين " ، فقال له الفضل بن الربيع : " أسقط الله جبينك ! أتخاطب أمير المؤمنين بمثل هذا الخطاب " . (٢)

وبراعة الجليس تجعله يوازن بين ألقاظه بحيث ينفي عن سمع الخليفة ما يمكن أن يثير وحشته ، ولما سأل المأمون يحيى بن أكثم عن شيء ، وقال له : " لا وأيد الله أمير المؤمنين " ، قال المأمون : " ما أظرف هذه الواو ، وأحسن موقعها " . (٣)

-
- ١- رسم دار الخلافة ص ٥٩ . ويروى الخبر في " أخبار الظراف والمتاجنين ص ٥٩ ، خلال حوار للرشيد مع وزيره الفضل بن الربيع مع تغيير طفيف .
 - ٢- أدب الدنيا والدين ص ٢٥٩ .
 - ٣- راجع المستطرف ١ : ٥٢ ، وأخبار الظرف والمتاجنين ص ٤٦ ، والمخللة ص ٢٦٦ .

لأنه لو لم يستعمل هذه الواو لكان كلامه دعاء على المأمون .

والحديث بين الجلوس في حضرة الخليفة يجب أن يخلو مما يقدح في السلطان وينكر فضله ، حتى ولو دار حول خليفة آخر ، وقد دار حوار في مجلس المعتصم بين العباس بن المأمون ^(١) (ت ٢٢٣ هـ) وإبراهيم بن المهدي اللذين ^{جلسا} عن يمينه وعن يساره ، عندما جعل إبراهيم بن المهدي يقلب خاتما كان في يده ، فقال له العباس : " يا عم ، ما هذا الخاتم ؟ " فقال : " خاتم رهنته أيام أبيك فما فككته إلا في أيام أمير المؤمنين " ، فقال له العباس : " والله لئن لم تشكر أبي على حقن دمك مع عظيم جرمك ^(٢) ، لا تشكر أمير المؤمنين على فك خاتمك " ، فأفحمه . ^(٣)

١- العباس بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، أمير عباسي ، وولاه أبوه الجزيرة ، والشغور والعواصم سنة ٢١٣ هـ ، ولما مات المأمون سنة ٢١٨ هـ وخلفه المعتصم ، امتنع كثير من القواد والرؤساء من مبايعته ونادوا باسم " العباس بن المأمون " ، فدعاه المعتصم إليه ، وأخذ بيعته ، فخرج العباس ، وسكت الناس . وأقام إلى أن خرج المعتصم إلى الشغور ، فاتفق العباس مع بعض القواد على قتله ، فعلم المعتصم ، فقبض عليه ، وعلى أصحابه ، وعدّ به وسجنه إلى أن مات بمنبج . راجع ترجمته في الأعلام ٤ : ٣٥ ، حيث يذكر مصادره .

٢- يشير إلى عفو والده المأمون عن إبراهيم بن المهدي عندما نصب خليفة بدلا منه .

٣- وفيات الأعيان ١ : ٤١ .

ويجب أن لا يجروء الجلساء على مخاطبة الخليفة بما يشير إلى عيب في خلقته، ويحكى أن الواثق قد أذن لجلسائه ألا يردّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه فغنى الواثق يوماً :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَّرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ مَاءِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

وقد كان النبيذ عمل فيه وفي الجلساء، فانبعث إليه أحد الجلساء، فقال : " أنت تنظر أبدا من وراء زجاجة إن كان في عينيك ماء صاباة أو لم يكن "، فغضب الواثق من ذلك، وكان في عينيه بياض، ثم قال : " خذوا برجله . . . "، فسحب من بين يديه، ثم قال : " ينفي إلى عمان الساعة " . (١)

وإذا صادف عدم نجاح الخليفة بأحد الأعمال، وعلق أحد الخلقاء بما يشيره، فالأفضل أن يستدركه بما يزيل استغرابه ويسري عنه . وذكر عن الفتح به خاقان أنه كان مع المتوكل عندما رمى الخليفة عصفورا فأخطأه، فقال الفتح : " أحسنت يا أمير المؤمنين " . فنظر إليه الخليفة نظرة منكرة، فقال : " إلى الطائر حتى سلم فضحك المتوكل " . (٢)

١- الأغاني ٢٠ : ٢٨٩ - ٢٩٠ .

٢- انظر زهر الآداب ص ٩ .

د- إعادة الحديث

من الآداب التي تلزم النديم مسامر السلطان ومحدثه ألا يعيد عليه حديثاً مرتين، وإن طال الدهر بينهما، إلا أن يذكره السلطان فإن ذكره، فهو إذن منه في إعادته^(١). ويروى عن نديي جذيمة الأبرش اللذين لازماه أربعين سنة يحدثانه أتهما لم يعيدا عليه حديثاً قط^(٢). وكان روح بن زنباع^(٣) (ت ٨٤ هـ) يقول: "أقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة ما أعدت عليه حديثاً قط"^(٤). وكان عامر الشعبي يعتز ويقول: "ما حدثت بحديث مرتين الرجل بعينه قط"^(٥).

١- التاج ص ١١٣ - ١١٤، والمستطرف ١: ١٤٧.

٢- انظر نهاية الأرب ١٥: ٣١٧، وراجع رسوم دار الخلافة ص ٣٣ - ٣٤ حيث جاء في الحاشية رقم ٦: جاء في كتب الآيين: إن من حق الملك عدم إعادة الحديث مرتين.

٣- روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي، أبو زرعة: أمير فلسطين، وسيد اليمانية في الشام وقائدها، وخطيبها، وشجاعها. قيل له صحبة. كان عبد الملك ابن مروان يقول: "جمع روح طاعة أهل الشام، ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز". راجع ترجمته في الأعلام ٣: ٦٣ حيث يذكر مصادره.

٤- التاج ص ١١٣ - ١١٤.

٥- المصدر السابق ص ١١٤.

وكانت الخلفاء لا ترضى أن تعاد عليها الأحاديث ولما أعاد الشعبي أحد الأحاديث على عبد الملك بن مروان قال له: "قد سمعته منك"^(١).

وكانت الملوك تعتبر ذلك من غزارة علم محدثيها، فقد كان أبو العباس السفاح يقول: "ما رأيت أغزر علما من أبي بكر الهذلي، لم يعد عليّ حديثا قط".^(٢) والملوك لم ترض بذلك لأنها يمكن أن تحمله على استهتار الجلساء بحسن فهمها واستماعها وكأنها تعتبره استجهالا لها.

وعندما قام أحد جلساء المنصور بإعادة أحد الأحاديث عليه لفت نظره إلى أنه سمعه منه، ويروي هذا الجليس قوله: "حدثت المنصور أكثر من عشرة آلاف حديث، فقال لي ليلة، وقد حدثته عن يوم ذي قار: "قد اضطررت إلى التكرار، قلت: "ما هذا منها، يا أمير المؤمنين" قال: "أما تذكر ليلة الرعد والأمطار، وأنت تحدث عن يوم ذي قار"، فقلت له: "ما يوم ذي قار بأصعب من هذه الليلة"^(٣).

ولكن الملوك تسامحوا مع المحدثين المضحكين في إعادة أحاديثهم، التي يقصد

١- المستطرف ١: ١٤٧.

٢- المصدر السابق ١: ١٤٧، والتاج ص ١١٣-١١٤.

٣- التاج ص ١١٢.

منها الترفيه والتسلية ، فقد كان المهدي يستعيد الشرقي بن القطامي لأن أسماؤه كانت تعجبه وتضحكه (١) .

كما أن عيسى بن دأب كان إذا حدث موسى الهادي حديثا ، أعاده عليه في ليلة تالية حتى يحفظه (٢) .

هـ - الإستماع للحديث

إن حذق النديم في محادثة السلطان يفرض عليه أن يحسن الاستماع لحديثه ، والسلطان نفسه عليه القيام بذلك حتى يستمتع بما يسمعه .

وقد عرف كشاجم حسن الاستماع بأنه : " إمهال المحادث حتى ينقضي حديثه ، وقلة التقلب إلى الجواب ، والإقبال عليه بالوجه ، والنظر والوعي لما يقول ، وأن يصغي إلى حديثه ، ولا يشغل طرفه عنه بنظره ، ولا أطرافه بعمله ، ولا قلبه بفكره ، ولا يسأله إلى حديث يبدأ به لمعرفة ذلك الحديث ، بل يريه من الارتياح له والتعجب منه ما يوهمه أنه لم يخطر بباله ، ولا وقر بسمعه " (٣) . وهكذا فإن حسن الإستماع

١- التاج ص ١١٥ .

٢- المصدر السابق ص ١١٥ .

٣- انظر أدب النديم ص ٢٣ .

هو الإستسلام الواعي للمحدّث بحيث يشمل جميع الجواح التي يجب السيطرة عليها حتى لا يخلّ المستمع بأدب مجالسته .

وقد حكى عن روح بن زنباع أنّه قال : " إذا أردت أن يمتك الملك من أذنه فأمكن أذنك من الإصغاء لحديثه ، ولا يتعتّب (١) الرجل عندي إذا كان يصغي إلى حديثه ، ولا يقذح ما قيل فيه في قلبي لما تقدّم من حسن الإستماع عندي " . (٢)

وكان عبد الملك بن مروان معروفا بحسن استماعه لمحدّثيه ، ويروى عن الشعبي قوله : " ربّما حدّثت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، رحمه الله تعالى ، وقد هيأ اللقمة ، فيمسكها في يده مقبلا عليّ ، فأقول : " أحرها (٣) ، يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث من ورائها " ، فيقول : " الحديث أشهى إليّ منها " (٤) .

ومما يروى عن حسن إصغاء الندماء لأحاديث الملوك ما ورد عن أبي بكر الهذلي وقد حضر يوما عند أبي العباس السّفاح ، الذي كان مقبلا عليه يحدثه

-
- ١- التعتّب: التجنّي ، تعتّب عليه أي تجنّى عليه ، أو وجد عليه . انظر اللسان مادة عتب .
 - ٢- مروج الذهب ٣ : ٢٨٠ .
 - ٣- أحرها : ازدردها . انظر ذيل الأمالي ص ٨٠ .
 - ٤- ذيل الأمالي ص ٨٠ .

بحديث أنو شروان في بعض حرابه ، عندما عصفت الريح ، فأذرت ترابا ، وقطعا من
الآجر من أعلى السطح إلى المجلس ، فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك ، وارتاع
له ، والهذلي شاخص نحو أبي العباس لم يتغير كما تغير غيره ، فقال له أبو العباس
("لله أنت يا أبا بكر ، لم أر كاليوم ، أما راعك ما راعنا ، ولا أحسست بما ورد علينا؟ ")
فقال : " يا أمير المؤمنين ، ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وإنما جعل للرجل
قلب واحد ، فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين ، لم يكن فيه لحادث مجال ، والله
عز وجل إذا أفرد بكرامته أحدا أو أحب أن يبقي له ذكرها ، جعل تلك الكرامة
على لسان نبي أو خليفة ، وهذه كرامة خصت بها ، فمال إليها ذهني ، وشغل بها
فكري ، فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ، ولا وجمت لها ، إلا بما
يلزمني من نفسي لأمر المؤمنين ، أعزه الله " ، فقال له السفاح : " لئن بقيت لك لأرفعن
منك وضيعا لا تطيف به السباع ولا ينحط عليه عقاب " (١) .

و - مسامرة الملك

وبما أنه من عادة الملك أن يصطحب مسامره وندماءه عندما يخرج في نزحاته ،
فلئن النديم عندما يخرج معه ينبغي له أن يكون بالموضع الذي إذا أراد الملك

١ - مروج الذهب ٣ : ٢٧٩ - ٢٨٠ . وانظر المحاسن والمساوي ص ٤٩٤ - ٤٩٥ ، حيث

يروى خبر مشابه عن أنو شروان وأحد ندمائه .

أن يسأله عن شيء لم يحتج أن يلتفت، ويكون من ناحية إن التفت لم تستقبله الشمس، وإن سار بين يديه أن يحيد عن سفن الريح^(١) التي تودّي الغبار إلى وجهه^(٢). ومن واجبات النديم أن لا يبتدىء الملك بمسايرته، وإن طلب ذلك منه من يستحقّ المسيرة، فالذي يحزنه من ذلك أن يقف بحيث يراه ويتصدّى له. فإن أوما إليه سايره، وإن أمسك عن الإيماء علم أن إمساكه هو ترك الإذن له في مسايرته^(٣). ويحرص النديم إذا سايره ألا يمّس ثوبه ثوبه، ولا يديني دابته من دابته، ويتوخّى أن يكون رأس دابته بلزاً سرج الملك، وإن كان لا يثق ببلين عنان دابته حتى يصرفه كيف شاء ومتى شاء، فالرأي ألا يسايره لأنه ليس في آيين^(٤) المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه^(٥). وكان أصحاب السلطان يتمسكون

-
- ١- السفن: القشر، والسوافن: الرياح التي تسفن وجه الأرض، وسفنت الريح: هبت.
انظر اللسان مادة سفن.
 - ٢- انظر عيون الأخبار ١: ٢٢-٢٣، وكذلك العقد الفريد ١: ٢١، ورسوم دار الخلافة ص ٨٦.
 - ٣- انظر التاج ص ٧٧.
 - ٤- الآيين: لفظة فارسية معناها المشهور القاعدة أو الطريقة أو القانون، وكثيراً ما تستعمل مرادفة لكلمة الآداب كما في قولهم: "آداب الدرس أو آداب التعلّم"، ومما ذكر في معانيها أيضاً العادة. راجع ذلك في الترجمة والنقل عن الفارسية ١: ٢٣٠.
 - ٥- التاج ص ٧٧. ولكن جاء في رسوم دار الخلافة ص ٨٦: "إنّ النديم يمكن له أن يتقدّم الملك قليلاً حتى لا يكلفه الإلتفات حتى إذا انقضى ما يخاطبه فيه، وأراد التباعد عنه، تقدّم وكان في أوائل موكبه، حتى احتاج إليه استدعاه من امامه، ولم يحتشم التوقف على انتظاره".

بخلطائهم الذين يحافظون على آداب مسيرتهم ويعتزون بهم ، ولما عوتب زياد بن أبيه (ت ٥٣هـ) لاستثثاره بأحد جلسائه قال : "كيف أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق ، فلم تصطك ركاباه بركابي ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت عنقي إليه ، ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء قط" (١) .

ومن الأدب في مسaire الملوك الاهتمام بدابة النديم ، ولذا يجب أن تكون سليمة من العيوب التي تعرض في المسيرة ، فإن كانت كثيرة اللعاب أو كثيرة العبث برأسها أو مداومة للصهيل والشغب ، أو معتادة للحران والتحصن ، لم يصلح أن يسايرهم على مثلها ، ولأجل ذلك يختار الندما مسaire رؤسائهم على البغلات الطاهرات الأخلاق . (٢) ويحدث أن يساير النديم الملك على قدميه ، ويصادف أن يقدر لمسيره حسن تصرفه معه ، فيعامله بتقدير واحترام ، مثلما حصل عندما كان يحيى بن أكرم يمشي المأمون في أحد البساتين ، والشمس عن يسار يحيى والمأمون في الظل ، وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحادثان ، حتى بلغ حيث أراد ، ثم كرّ راجعا في الطريق التي بدأ فيها ، فقال ليحيى : "كانت الشمس عن يساري ، وقد نالت منك ، فكن الآن ، حيث كنت ، وأتحول أنا إلى حيث كنت" ، فقال يحيى :

١- أدب النديم ص ٦٥ .

٢- انظر رسوم دار الخلافة ص ٨٦ . ولعل ركوب النديم على البغلات إشارة إلى انحطاطه عن درجة الملك الذي يركب الخيل .

"والله ، يا أمير المؤمنين ، لو أمكنني أن أتيك هول المطع بنفسي لفعلت" ، فقال
المأمون : " لا هو الله ما يد من أن تأخذ الشمس مني مثل ما أخذت منك ، فتحول
يحيى ، فأخذ من الظل مثل الذي أخذ منه المأمون " (١) .

- الفصل الثالث -

دور الندماء والجلساء في البلاط.

الفصل الثالث

دور الندماء والجلساء في البلاط

لعب الندماء والجلساء دوراً هاماً في حياة البلاط، وقد اختلفت طبيعة هذا الدور باختلاف شخصياتهم وموهلاتهم العلمية والدينية والترفيهية . وقد قرب أصحاب السلطان جلساء وندماء ذوي مهارات متنوعة لحاجتهم إليهم في مجالسهم المختلفة، ولذلك برزت طبقات كثيرة من الندماء والجلساء ظهر منها المحدثون والوعاظ والشعراء والمغنون والظرفاء المضحكون .

دور الجليس أو النديم المحدث

ساهم تقريب الجلساء العلماء المحدثين في تثقيف الخلفاء وترفيهِهم، فعبد الملك بن مروان استدعى السمار والمحدثين لأن نفسه تآقت إلى معرفة أخبار الناس ومحادثة الرجال (١) .

وكان المحدثون بقدرتهم على إدخال السرور إلى نفوس الخلفاء يعرفون كيف

١- انظر مروج الذهب ٣: ١٠٠ . ولذلك استدعى الشعبي .

ينفون همومهم ويشيعون فيهم البهجة والسرور والإنشراح . ولما دخل الشعبي على
عبد الملك بن مروان ووجده قد كبا مهتماً قال : " مال أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرت
قول زهير :

" كَأْتِي وَقَدْ جَاوَزْتُ تِسْعِينَ حَجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لَجَامِي "

قال له الشعبي : ليس كذلك ، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة ، وقد بلغ سبعين حجة :

" كَأْتِي وَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حَجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَن مَنَكِبِي رِذَائِيَا "

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :

" بَاتَتْ تَشْكِي إِلَيَّ النَّفْسُ مُوهِنَةً وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا
فَإِنْ تَزَادِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا وَفِي الثَّلَاثِ وِفَاءٌ لِلثَّمَانِينَا "

ولما بلغ تسعين سنة قال :

" وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَسَوَّالِ هَذَا النَّاسِ كَيْفَ لِبَيْدٍ "

ولما بلغ عشرين ومائة قال :

" أَلَيْسَ وِرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لَزُومَ الْعَصَى تُحْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ
أَخْبِرْ أَخْبَارَ الْقُرُونِ الَّتِي خَلَتْ أَنْوُ كَأْتِي كُلَّمَا قَمْتُ رَاكِبٌ "

ولما بلغ الثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال :

"تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا
فَقَوْمًا فَقَوْلًا بِالَّذِي تَعْلَمَانِهِ
وَقَوْلًا هُوَ الْعَرُّ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ
إِلَى سَنَةٍ ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمَا

وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
ولا تخمشا وجهها ولا تحلقا شعر
أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
ومن بيك حولا كاملا فقد اعتذر

فقال الشعبي: "فقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها" (١).

وكان الحجاج بن يوسف عندما يارق يستدعي المحدثين ليتسلى بأحاديثهم ،
وقد قال لأحدهم: "إني أرق فتحدثني حديثا يقصر علي ليلي" (٢).

وكان المهدي يبعث رسله في طلب المفضل الضبي ليستشده وليحدثه ، وقد
سأله مرة عن أشعر بيت قالته العرب ، فذكر قول الخنساء:

"وإن صخرًا لتأتهم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار"

فاستبشر الخليفة وسر سرورا شديدا ، ثم قال: "أنت والله أعلم الناس" ثم قال:
يا مفضل أسهرتني أبيات الحسين بن مطير

١- العقد الفريد ٢: ٧٧-٧٨ .

٢- المحاسن والأضداد ص ١٣١ .

وَقَدْ تَغَدَّرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي غَنِيَّهَا فقيراً وَيُغْنِي بَعْدَ بُؤْسِ فَقِيرُهَا
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ تَغْيِيرِ عَيْشَةٍ وَأُخْرَى صَفَا بَعْدَ أَكْدَرَارِ غَدِيرُهَا

قلت: مثل هذا فليسهرك". قال: "حدثني يا مفضل، قلت: أي الأحاديث؟"
قال: "أحاديث الأعراب" فما زلت أحدثه حتى بلغت الشمس منه" (١).

وكان الهادي قد استدعى عيسى بن دأب ليزيل أرقه بعدما أسهره سفك بني
أمية دما، بني هاشم، وقد استطاع أن يزيل وحشته عندما أخبره أن بني العباس
قد تاروا بما قتلوه من بني أمية (٢).

والرشيد كان يطلب من الأصمعي أن يحدثه بما يزيل ضجره، فقد قال له مرة:
يا عبد الملك، أنا ضجر وأحِبُّ أن تسمعني حديثاً مما سمعت من أعاجيب الزمان
أفرِّج به، فحدثه وأضحك (٣). وكان الأصمعي يختار الأحاديث المضحكة التي
تعجب الرشيد، فقد روي عنه أنه قال: "دخلت على هارون الرشيد وبين يديه

١- المحاسن والمساوي ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

٢- انظر مروج الذهب ٣، ٣٣٨ - ٣٣٩ .

٣- المحاسن والأضداد ص ١٨٧ - ١٨٨ .

بدره ، فقال : " يا أصمعي ، إن حدثتني بحديث في العجز فأضحكتني وهبتك هذه
البدره " ، فقال : بينا أنا في صحاري الأعراب في يوم شديد البرد والريح وإذا
بأعرابي قاعد على أجمة وهو عريان ، قد احتملت الريح كساءه ، فألقته على الأجمة ،
فقلت له : " يا أعرابي ، ما أجلسك ها هنا على هذه الحالة ؟ فقال : جارية وعدتها
يقال لها سلمى ، أنا منتظر لها " ، فقلت وما يمنعك من أخذ كساءك ؟ فقال : العجز
يوقني عن أخذه ، فقلت له : فهل قلت في سلمى شيئا ؟ فقال : نعم . فقلت : أسمعني
لله أبوك " فقال لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه علي ، قال : فأخذته ، فألقيته عليه ،
فأنشأ يقول :

" لعلَّ الله أن يأتي بسلمى
ويأتي بعد ذاك سحاب مزن
فبيطحها ويلقيني عليها
تظهرنا ولا نسعى إليها "

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره ، وقال : اعطوه البدره ، فأخذها الأصمعي
وانصرف . (١)

وقد دخل على الرشيد مرة وقد أرق وعنده الفضل بن يحيى فسأله عن أحد
الأمثال وعن شعر رؤبة بن العجاج (ت ١٤٥ هـ) وغيره ، فأعجب به الرشيد وقال له : قد
أمتعت منشدا ووجدناك محسنا في أدبك " (٢) .

١- عيون الأخبار ٣ : ٣٠٠ .

٢- العقد الفريد ٥ : ٣٠٩ - ٣١٦ .

دور الجليس الواعظ

كان تأثير الوعّاظ على الخلفاء ضعيفا لأنهم لم ينجحوا في حملهم على اتباع نصائحهم . ولا يمكن أن نعتبر الوعّاظ جلساء ملازمين لهم لأنهم لم يرغبوا في ذلك لزهدهم في حياة القصور واستنكارهم لما يجري داخل جدرانها . وكانت مكانتهم الدينية حصانة تحميهم من بطش أصحاب السلطان . وقد قال طاوس لسليمان بن عبد الملك : هل تدري يا أمير المؤمنين من أشدّ الناس عذابا يوم القيامة ؟ قال سليمان : قل . فقال طاوس : أشدّ الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في ملكه فجار في حكمه ، فاستلقى سليمان على سريرته وهو يبكي ، فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه^(١) .

وكان هشام بن عبد الملك يقرب أحد نساء الشام ويطلب موعظته^(٢) ، وكما كان يبحث عن واعظ يرافقه في طريقه إلى الحج ، ولما أحضر طاوس ودخل عليه ، خلع نعله بلزاً بساطه ، ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ، ولم

١- المستطرف ١: ١١٦ .

٢- جاويدان خرد ص ١٣٤ .

يكه وجلس قربه ، ولما سأله عما فعل ، أحسن الإجابة ، ولما طلب هشام موعظته قال طاوس : " سمعت من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه " إن في جهنم حيات كالللال وعقارب كالبعال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته " ، ثم قام وهرب . (١)

وكان عمرو بن عبيد يدخل على أبي جعفر المنصور ويعظه ، وكان مثالا لزهد الوعاظ في عطايا السلطان ، وكان صديقه وصاحبه قبل الخلافة ، فدخل عليه فقرّبه وأجلسه ثم قال له : " عظني " فوعظه بمواعظ منها : إن الأمر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك ، فأحدرك ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده . فلما أراد النهوض قال : " قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ، قال : لا حاجة لي فيها ، قال : والله تأخذها . قال : والله لا أخذها ، وكان المهدي ولد المنصور حاضرا ، فقال : يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ " فالتفت عمرو إلى المنصور وقال : " من هذا الفتى ؟ " قال : " هذا المهدي ولدي وولي عهدي " . فقال : أما لقد ألبسته لباسا ما هو من لباس الأبرار وسميته باسم ما استحقه ، ومهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه " . ثم التفت عمرو إلى المهدي وقال : " نعم يا ابن أخي ، إذا حلف أبوك أحنته عمك ، لأن أباك أقوى على الكفارات من عمك " ،

فقال له المنصور: "هل من حاجة؟" قال: "لا تبعث إليّ حتى آتيك"، قال:
"إذا لا تلقني"، قال: "هي حاجتي، ومضى، فأتبعه المنصور طرفه، وقال:

"كَلِّمَ يَمْشِي رُوَيْدٌ كَلِّمَ يَطْلُبُ صَيْدٌ
غَيْرَ عَمْرٍو بِنِ عَيْدٍ" (١)

وكان نقد بعض الوعاظ لاندعا لا يجير له الخلفاء جوابا. ويروى أن الذباب
سقط على المنصور فطيره مرارا حتى أضجره، فاستدعى أحد الوعاظ وسأله: "هل
تعلم لماذا خلق الله الذباب؟" فأجابه: "نعم، ليدلّ الله عزّ وجلّ به الجبارة"
فسكت المنصور" (٢).

وقد حاول المهديّ أن يتخلّص من مأخذ^{أحد} الوعاظ الذي أبكاه طويلا عندما
احتجّ بفساد الزمان وتغيّر أهله وما حدث لهم من العادات (٣).

وأما الرشيد فكان يفضّل الموعظة الموجزة وكان يبكي عند سماعها (٤).

١- وفيات الأعيان ٣: ٤٦١ .

٢- السابق ٥: ٢٥٥ .

٣- الوزراء والكتاب ص ١٤٩ .

٤- راجع المخلاة ص ٢٨-٢٩ .

وعندما وعظ المأمون أحدهم أصغى إليه منصتا فلما فرغ قال: "قد سمعت موعظتك،
فنسأل الله أن ينفعنا بها، وبما علمنا، غير أنا أحوج إلى المعاونة بالفعال منا
إلى المعاونة بالمقال. فقد كثر القائلون وقَلَّ الفاعلون" (١).

وهكذا فإن تأثير الوعّاظ على الخلفاء كان آنياً، لا يتجاوز الوقت الذي يلتقون
فيه في البلاط لأنهم كانوا أقلّ المقربين مكانة، وذلك لطغيان دواعي اللهو والعبث
على معظم الخلفاء.

دور النديم الشاعر

كان البلاط مكاناً صالحاً لتجويد الشعر لأنه المكان الذي يتنافس فيه الشعراء
كسبا لرضى الخليفة. وكثيراً ما كان الخلفاء يستغلّون حضور الشعراء عندهم ليطلبوا
منهم الإنشاد فيما يقترحون، وقدرة الخلفاء على نقد ما يسمعون وتدوّقه جعلت الشعراء
يبدلون عناية كبيرة في صياغة أشعارهم، كما جعلتهم يقبلون بأحكامهم.

١- العقد الفريد ٣: ١٦٦. وهكذا أصبح الخلفاء لا يقيمون لكلام الوعّاظ وزناً.

وعبد الملك بن مروان بما عرف عنه من تعلق بالشعر وتقريب للشعراء كان يطلب من رواد مجلسه من الشعراء أن ينشدوه مما قالوا ، فقد سمر عنده ليلة كثير عزة ، فقال له : "أنشدني بعض ما قلت في عزة" فأنشدته حتى إذا أتى على هذا البيت

"هَمَمْتُ وَهَمَّتْ ثُمَّ هَابَتْ وَهَبَتْهَا
حَيَاءٌ وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقٌ"

فقال له عبد الملك : "أما والله لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك" ،

قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ "قال : "لأنك شركتها معك في الهيئة ، ثم استأثرت

بالحياء دونها" قال : فأبي بيت عفوت به يا أمير المؤمنين ؟ " قال : ("قولك

"دعوني لا أريدُ بها سواها دعوني هائماً فيمن أهيم". (١)

وكان بعض الخلفاء يريد أن يعبر الشعراء عما يشعر به من فرح وغبطة ، فلما

سبقت فرس لهشام بن عبد الملك فرح فرحا شديدا وقال : "علي بالشعراء" . قال

أبو النجم : "فدعينا ، فقل لنا : قولوا في هذه الفرس وأختها" ، فسأل أصحاب النشيد

النظرة حتى يقولوا ، فقلت له : هل لك في رجل ينقذك إذا استتسوك؟" (٢) قال : "هات" ،

فقلت من ساعتى :

١- العقد الفريد ٥ : ٣٧٣ - ٣٧٤ .

٢- استتسوك : من نسا بمعنى آخر ، انظر اللسان مادة نسا .

" أشاع للغراء فينا ذكرها
قوائم عوج أظعن أمرها "

قال أبو النجم : " فأمر لي بجائزة وانصرفت" (١) .

وأصبح النديم الشاعر في العصر العباسي يمارس دوره في الترفيه عن الملك بعدما انحصر دوره في العصر الأموي في الإنشاد . وكثيرا ما عمل بعض الخلفاء شعرا وأراد إجازته ، ثم أرتج عليه ، فاضطر إلى البحث عن شاعر يزيل عنه ما لحقه من غم بسبب عجزه عن ذلك . فقد عمل الرشيد ليلة بيتا ورام أن يشفعه بآخر فامتنع القول عليه ، فقال علي بالعباس بن الأحنف (ت ١٩٢ هـ) فلما طرق عليه زعر وفزع أهله ، فلما وقف بين يدي الرشيد قال له : " وجهت إليك بسبب بيت قلته ، ورمت أن أشفعه بمثله ، فامتنع القول علي ، فقال : " يا أمير المؤمنين ، دعني ترجع إلي نفسي فإنني تركت عيالي على حال من الخوف عظيمة ونالني من الخوف ما يتجاوز الحد والوصف " ، ثم استمع لبيت الرشيد فشفعه بأبيات حازت رضى الخليفة ونال جائزته . (٢)

١- العقد الفريد ١ : ١٩٣ - ١٩٤ .

٢- وفيات الأعيان ٣ : ٢٢ .

وإذا استطاع الشاعر أن يعبر عما يجول في خاطر الخليفة فإنه ينال جائزته
لنجاحه في إصابة الهدف من استدعائه ، ويروى أن الرشيد صنع قسيما وهو
"الْمَلِكُ لِلَّهِ وَحْدَهُ" ثم أرتج عليه ، فقال : "استدعوا من الباب من الشعراء فدخل
عليه جماعة منهم الجمّاز ، فقال : "أجيزوا" ، وأنشدهم القسيم ، فبدرهم الجمّاز فقال :
" وللخليفة بَعْدَهُ "

فقال له الرشيد : " زد " ، فقال :

" وللمحبّ إذا ما حبيبه بات عنده "

فقال له الرشيد : " أحسنته ولم تعد ما في نفسي " ، وأجازه بعشرة آلاف درهم ^(١).

ونجح بعض الشعراء في اكتساب ودّ الخلفاء وإعجابهم منهم ، مسلم بن الوليد
الذي وصف للرشيد وأدخل عليه ، وكان لقس النفس ^(٢) فأنشده وأعجب به وسماه
صريح الغواني ^(٣).

١- بدائع البدائة ١ : ٧١ .

٢- اللّقس : الغثيان ، ولقسّت النفس : خبثت وغثت .

٣- انظر المحاسن والمساوي ص ٢٥٣ - ٢٥٥ .

والرجال المتصلون بالخلفاء لهم شعراؤهم الذين لازمهم ، فعندما نعتت
إحدى الجواري عبد الله بن طاهر (ت ٢٣٠ هـ) قام علي بن الجهم وأنشده
لينشطه للصبح ، فاستحسن الأبيات وأمر بها فغنيت (١) .

وقد تحدث بعض ندماء الفضل بن الربيع فقال : كما عند الفضل ابن الربيع
في يوم دجن (٢) ، والسما ترش ، وهو أحسن يوم وأطيبه ، وكان العباس ابنه يومئذ
قد أصبح مهموما ، فجهدنا أن ينشط ، فلم تكن لنا في ذلك حيلة ، فبينما نحن
كذلك إذ دخل عليه بعض الشعراء فسلم ثم قال :

”ألا أنعم صباحاً يا أبا الفضل واربعِ على مربع القطربلي المشعشع
وعلل ندامك العطاش بقهوة لها مصرع في القوم غير مروع
فإنك لاقى كلما شئت ليلة ويوما يغصان الجفون بأذمع“

قال : ”فبكي العباس وقال : صدقت والله ، إن الإنسان ليلقى ذلك متى يشاء“ ثم دعا
بالطعام ، فأكل ، ودعا بالشراب فشرب ونشط ، ومّر لنا يوم حسن طيب (٣) .

١- انظر الأغاني ١٠ : ٢٢٤ .

٢- الدجن : ظل الغيم في اليوم المطير . انظر اللسان مادة دجن .

٣- الأغاني ١٩ : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

ولم يقتصر دور الشعراء على إنشاء أشعارهم بل إنهم استغلوا شعر غيرهم في الترفيه عن الخليفة . حدث الحسين بن الضحاک أنه " دخل على الواثق ذات يوم وفي السماء لطح غيم ^(١) ، فقال له : " ما الرأي عندك في هذا اليوم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما حكم به ، وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف ، فإنه أشار بصواب لا يرد ، وجعله في شعر لا يعارض . فقال : " وما قال ؟ " فقال : قال :

" أرى غيماً تولّفه جنوبٌ وأحسبه سيأتينا بهطل
فعيّن الرأي أن تدعو برطلٍ فشره وتدعو لي برطل "

فقال : " أصبتما " ، ودعا بالطعام وبالشراب والمغنين والجلساء واصطحبوا وتنادوا " (٢) .

دور النديم المغنّي

وجد المغنون في البلاط مكانا مناسباً لتجويد مواهبهم ، فاتصل روادهم بالأمويين والعباسيين الذين قربوهم لشغفهم بالسماع ، وبهذا كانوا من أهم العناصر الترفيهية التي اعتمد عليها الخلفاء في أوقات لهوهم .

١- لطح غيم : قليل غيم ، اللسان ، مادة لطح .

٢- الأغاني ٧ : ١٥٩ - ١٦٠ .

ورعى الأمويون الغناء والمغنين ، عندما غنى معبد بحضرة يزيد بن عبد الملك ،
صاح " أحسنت والله يا مولاي ، أعد ، فداك أبي وأمي " . واستخفه الطرب حتى
وثب وقال لجواريه : " افعلن كما أفعل " ، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو
يقول :

" يا دارُ دُورِنِي
يا قَرُورُ أَمْسِكِينِي
أَلَيْتُ مَنْذُ حِينِ
حَقًّا لَتَصْرَمِينِي
ولا تُواصِلِينِي
بِاللَّهِ فَاَرْحَمِينِي
لَمْ تَذْكَرِي يَمِينِي

فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويدرن معه حتى خر مغشياً عليه ، ووقعن فوقه
ما يعقل ولا يعقلن ، فابتدره الخدم ، فأقاموه ، وأقاموا من كان على ظهره من
جواريه ، وحملوه وقد جادت نفسه أو كادت " . (١)

وكان ابنه الوليد بن يزيد مولعا بالغناء والمغنين ، وعندما مثل معبد عنده
وغنى له ، وطرب طربا شديدا ، فقذف نفسه في بركة ملئت بالخمير والماء ، كانت قد
هيئت له " (٢) . وقد طلب من عمر الوادي يوما أن يغني له أبياتا اقترحها عليه ،

١- الأغاني ١ : ٦٨ - ٦٩ .

٢- السابق ١ : ٥٢ - ٥٣ .

فلما سمعه صاح الوليد وقام وأخذ الكأس واستعاده الصوت، وشرب كثيرا، ونزع الخاتم والحلّة التي كانت عليه، وقال له لا تبج حتى أسكر، فما زال يعيده عليه، ويشرب، حتى مال على جنبه سكرًا، فنام^(١).

ولشدة الوله بالنديم المغني نراهم يعتبرون غيابه عن مجلسهم من عيوب ذلك المجلس، ويروى أنّ الرشيد غضب على ابراهيم الموصلي فحبسه بالرقّة ثم جلس للشرب يوما في مجلس قد زينّه وحسّنه، فقال لعيسى بن جعفر (ت نحو ١٨٥ هـ): "هل لمجلسنا عيب؟" قال: "نعم، غيبة ابراهيم الموصلي عنه"، فأمر بإحضاره، فأحضر في قيوده ففكّت عنه، وأمر بمناولته عودا وطلب منه الغناء، فغناه واستعاده وشرب وطرب وقال: "هنأنتي اليوم، وسأهنئك بالصلة، ثمّ أجازه"^(٢).

وكان البرامكة يعتبرون إسحق الموصلي جزءًا من مجالسهم، ولذلك كانوا يبعثون إليه، فقد دعاه يحيى بن خالد يوما، وكان عنده الفضل وجعفر جالسين، فقال له: "يا إسحق أصبحت مهموما فأردت الصبح لأتسلى، فغنّني صوتا لعلّي أتفرّج به وأرتاح"، فغناه:

١- الأغاني ٧: ٨٨-٨٩ .

٢- السابق ٥: ١٦٦ .

"إذا نزلوا بطحاء مكة أشرفت
بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت إلا لجود أكرمهم
وأقدامهم إلا لأعواد منبر"

فطرب وارتاح ، وأمر له بمائه ألف درهم^(١) .

وكان محمد الأمين لا يستطيع الصبر على غياب إسحق الموصلي ، ولذا كان يبعث من يبيحث عنه لينضم إلى مجلسه^(٢) . وكذلك كان أخوه المأمون يبعث أصحاب الشرط ليحضره لعنادته^(٣) . وقد دخل مرة على المأمون فوجده حائرا متفكرا غير نشيط ، فأخذ يحدّثه بملح الأحاديث وطرفها ، ويستميله لأن يضحك أو ينشط ، فلم يفعل ، وخطر بباله بيتان ، فأنشده إياهما وهما :

"ألا عللاني قبل نوح النوائج
وقبل نشوز النفس بين الجوانج
وقبل غد يا لهف نفسي على غد
إذا راح أصحابي ولست برائج"

فتنبه كالمتفزع ، ثم قال : " من يقول هذا ويحك ؟ " قلته " أبو الطمحان القيني ، يا أمير المؤمنين " . قال : " صدق والله ، أعدهما عليّ " ، فأعدتهما عليه ، حتى حفظهما ، ثم دعا بالطعام

١- قطب السرور ص ٢٥ .

٢- الأغاني ٢٠ : ٣٢٣ - ٣٢٤ .

٣- العقد الفريد ٦ : ٤٥٦ - ٤٧٠ .

فأكل ودعا بالشراب فشرب، وأمر لي بعشرين ألف درهم^(١).

ودخل اسحق الموصلي على المعتصم يوما فرآه لقس النفس، فقال له: "أما ترى يا أمير المؤمنين طيب هذا اليوم وحسنه!" فقال المعتصم: "ما يدعوني حسنه إلى شيء مما تريد، ولا أنشط له"، فقال: "يا أمير المؤمنين، إنّه يوم أكل وشرب، فاشرب حتى أنشطك"، قال: "أوتفعل؟" قال: "نعم"، قال: "يا غلمان، قدّموا الطعام والشراب، ومدّوا الستارة، واحضروا الندماء والمغنين". فأتي بالطعام والشراب، فشرب، وحضر الندماء، والمغنون فغناه إسحق:

سُقِيَتِ الْغَيْثُ يَا قَصْرَ السَّلَامِ فَنِعْمَ مَحَلَّةُ الْمَلِكِ الْهَمَامِ
لَقَدْ نَشَرَ الْآلَهُ عَلَيْكَ نُورًا وَخَصَّكَ بِالسَّلَامَةِ وَالسَّلَامِ

فطرب المعتصم وشرب شربا كثيرا، ولم يبق أحد بحضرته إلا وصله، وخلع عليه وحمله، وفضل إسحق في ذلك أجمع^(٢).

١- الأغاني ١٣، ١٢ .

٢- السابق ٥: ٣٢٩ .

دور النديم الظريف.

قرب الخلفاء المضحكين الظرفاء . واختص بالوليد بن يزيد أشعب الطفيلي الذي نادى وأضحكه بنوادره وأفعاله . وظهر في البلاط العباسي مضحك استطاع ملازمة بلاط السقاج وأبي جعفر المنصور والمهدي وهو أبو دلامة . ومن نوادره أنه دخل على المنصور وبين إصبعيه خرقة ، فقال له : ما هذا يا أبا دلامة ؟ فقال ولدت لي البارحة صببة ، وقد قلت فيها :

"فَمَا وَلَدَتْكَ مَرِيْمُ أُمِّ عِيْسَى وَلَمْ يَكْفُلْكَ لُقْمَانُ الْحَكِيْمُ
وَلَكِنْ قَدْ وُلِدَتْ لِأُمِّ سَوْءٍ يَقُوْمُ بِأَمْرِهَا بَعْلٌ لَثِيْمٌ"

فضحك المنصور ، وقال : " ما تريد ؟ " قال : " ملء هذه الخرقة أستعين بها على تربيتها . فقال المنصور : املؤها دراهم ففتحوها ، فإذا هي رداء رقيق كبير ، فملئوه ، فأخذ عشرة آلاف درهم " (١) .

وقد حبسه المهدي مع الدجاج لأنه أتى به سكران ، فبعث له برسالة شعريّة استعطفه بها فأخرجه من السجن ، ثم أدخل عليه فأضحك الخليفة ونال جائزته (٢) .

١- ذيل زهر الآداب ص ١٠٢ .

٢- العقد الفريد ١ : ٣٠٢ - ٣٠٤ .

وقد دخل عليه يوماً فأنشده أبياتا أعجب بها فقال له : سلمي أبا دلامة ، واحتكم
وأفرط ما شئت ، فقال : " يا أمير المؤمنين ، كلب أصطاد به " ، قال : " قد أمرنا لك
بكلب ، وها هنا بلغت همّتك ، وإلى ها هنا انتهت أمّنتك ؟ " قال : " لا تعجل عليّ
يا أمير المؤمنين ، فإنّه بقي عليّ " ، قال : " وما بقي عليك ؟ " قال : " غلام يقود الكلب " ،
قال : " وغلام يقود الكلب " ، قال : " وخادم يطبخ لنا الصيد " ، قال : " وخادم يطبخ الصيد " ،
قال : " ودار نسكها " ، قال : " ودار تسكها " ، قال : " وجارية نأوي إليها " ، قال " وجارية
تأوي إليها " ، قال : " قد بقي الآن المعاش " ، قال : " قد أقطعناك ألفي جريب عامرة
وألفي جريب غامرة " ، قال : " وما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟ " قال : " التي لا تعمر ،
قال : " أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفاً من نيافي بني أسد " ، قال : " قد جعلتها
كلّها عامرة " ، قال : " فيأذن لي أمير المؤمنين في تقبيل يده ؟ " قال : " أما هذه فدعها " ،
قال : " ما منعني شيئاً أيسر على أمّ ولدي فقدأ منه " . (١)

ومع كون أبي دلامة شاعراً إلاّ أنّه لم يقرب لشاعريته ، وإنّما لظرفه وقدرته على
الإضحاك ، وشعره لا يخرج عن ذلك الإطار ، ويروى أنّه خرج مع المهدي في مصاد
فعمّ لهم ظبي فرماه المهدي فأصابه ، ورمى أحد رجال الخليفة فأخطأ وأصاب الكلب ،
فضحك المهدي وقال لأبي دلامة : " قل " ، فقال :

قَدْ رَمَى الْمَهْدِيَّ ظَبِيًّا شَكَ بِالسَّهْمِ فُوَادَهُ
وَعَلِيَّ بْنَ سَلِيمٍ نَ رَمَى كَلْبًا فَصَادَهُ
فَهْنِيئًا لَهُمَا كَلْبٌ إِمْرِيٌّ يَأْكُلُ زَادَهُ (١)

وكان في بلاط الرشيد مضحك اسمه المرتني (٢)، كما أن أبا الحارث حمير كان من ظرفاء مجلسه ومضحكيه، فقد جلس يتغدى مع الرشيد وعنده عيسى بن جعفر، فأتي بخوان عليه ثلاثة أرغفة، فأكل أبو الحارث رغيفه قبلهما، وقال: "يا غلام فرسي"، ففزع الرشيد، وقال: "ويلك! مالك؟" قال: أريد أن أركب إلى ذلك الرغيف الذي بين يديك، فضحك الرشيد وأمر له بجائزة (٣).

وكان الرشيد يعيب بجلسائه الظرفاء ويداعبهم، وقد قال لخادمه: "قل لابن جامع، وإبراهيم الموصلي، والزيبر بن سحمان، وزلز، وبرصوما، وابن أبي مريم المدني: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسأل كل منكم حاجة ٠٠٠ على أن يكتسبوا أمرهم عن أبي صدقة، وأذن لأبي صدقة قبلهم، فقال له: لقد أضجرتني بكثرة مسألتك، سأعطيك

١- العقد الفريد ٦: ٤٣٨ - ٤٣٩ .

٢- انظر أخبار الظرفاء والمتماجنين ص ٨٧ حيث يذكر إحدى نوادره في مجلس الرشيد .

٣- ذيل زهر الآداب ص ٢١٥ .

حتى لا تسألني شهرا ، واشترط عليه وتوثق الشرط أن أم صدقة تحت تصرفه يطلقها متى يشاء ، ثم دخل المغنّون والجلساء وأغدق الرشيد عليهم الصلات بما أثار أبا صدقة فطلب إقالة عثرته ، فلم يرض الرشيد ، فرمى بالدنانير ، وقال له : " طلق أم صدقة والحقني بجوائز القوم ، فضحك ووهب له ألف دينار زيادة " (١)

وشارك المحنّثون الظرفاء بالترفيه عن الخليفة ، ويروى أن المتوكل قال لجلسائه يوما : " ما الذي نقم المسلمون على عثمان ؟ أشياء منها : أنه قام أبو بكر دون مقام رسول الله (ص) بمرقاة ، ثم قام عمر دون أبي بكر بمرقاة ، فصعد عثمان ذروة المنبر ، فقال عبادة المخنث " ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان " ، قال : " وكيف ذلك ؟ " قال : " لأنه صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما قام خليفة نزل عن تقدّمه كت أنت تخطبنا من بئر جلولا ، فضحك المتوكل ومن حوله " (٢) .

وكان للخلفاء خدم يبيحثون عن يصلح لإضحاكهم ، فقد مرّ أحد خدم المعتضد وابن المغازلي / ويتكلم ويضحك الناس على الطريق ، فحضر حلقة ، ثم ذهب وأخبر الخليفة ، فبعثه لإحضاره ، فحادثه ولم يستطع إضحاكه ، وكان قد اشترط عليه الجائزة إذا

١- نهاية الأرب ٤ : ٥٧-٥٨ .

٢- أخبار الظرفاء والمتماجنين ص ١٢٨ .

أضحكه والصفح إذا لم يستطع، واتفق المضحك مع الخادم على اقتسام الجائزة، ولكنه
عجز عن إضحائه، فصفح، ثم قال للمعتضد: "إن للخادم نصف الجائزة"، فضحك المعتضد
وصفع الخادم، وأجازه خمسمائة درهم، تقاسمها وإياه. (١)

- الملاحق -

- الملحق الأول -

تراجم مشاهير الندماء والجلساء

عند

الأمويين والعباسيين

- الملحق الأول -

تراجم مشاهير الندماء والجلساء عند الأمويين والعباسيين

أولاً : أشهر الجلساء والندماء في العصر الأموي :

١- عامر بن سراحيل الشعبي :

ولد ونشأ وتوفي في الكوفة . كان وافر العلم ، جليل القدر ، متشيعاً ، وهو من رجال الحديث الثقات ، ومن رواة التابعين . كان فيمن خرج على الحجاج واختفى ، ثم مثل بين يديه ، وأحسن تبرير موقفه واعتذر منه . اتصل بعبد الملك ابن مروان وأصبح محدثه ، وكان رسوله إلى ملك الروم (١) .

٢- حماد بن أبي ليلى ساجور المعروف بحماد الراوية :

ولد في الكوفة وتوفي في بغداد . وهو مولى أصله من الديلم . كان أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، وهو أول من لقب بالراوية لكثرة حفظه . وقد جمع السبع الطوال ، وكانت ملوك بني أمية تؤثّره وتقدّمه وتستزيره ، فيغد عليهم وينال منهم . وقد اتصل بيزيد بن عبد الملك ، وجفاه هشام ثم اتصل بالوليد بن يزيد (٢) .

١- انظر وفيات الأعيان ٣ : ١٢-١٣ .

٢- انظر المصدر السابق ٢ : ٢٠٦-٢١٠ .

ثانياً - أشهر الندماء والجلساء في العصر العباسي:

امتاز العصر العباسي بكثرة الجلساء والندماء الذين امتهنوا الإتصال بالخلفاء ومجالستهم ومناذمتهم . وقد برز في هذا العصر أسر قدمت عدداً من الجلساء والندماء المشهورين ، وأشهر هذه الأسر آل الموصلية وآل الفنجم وآل حمدون . ويلاحظ أنها كلها كانت من أصل أعجمي .

والآن نتحدث عن أشهر ندماء الفترة العباسية حتى القرن الرابع الهجري .

أ - آل الموصلية :

غلب الغناء على هذه الأسرة وبرز منها نديمان هما :

١ - إبراهيم بن ماهان الموصلية :

وهو مولى ، من بيت كبير في العجم ، لم يكن من الموصل ، وإنما سافر إليها لتعلم الغناء ، وأقام بها مئة سنة ونسب إليها ، ويقال إنه صحب الضعاليك وتعلم منهم الغناء ، وكان يجيد الغناء الفارسي والعربي . والمهدي أول خليفة سمعه ، واستمر ينادم الخلفاء ويغنيهم حتى وفاته أيام الرشيد (١) .

١- انظر المصدر السابق ١ : ٤٢-٤٣ ، وكذلك الأغاني ٥ : ١٥٤ - ١٥٨ .

٢- إسحق بن إبراهيم الموصلي :

هو ابن المغني والنديم المشهور إبراهيم الموصلي الذي ورث عنه الغناء . كان جميل الهيئة ، حسن الزي ، نظيفا ، وكان عالما باللّغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين والكلام ، راويا للشعر والأخبار ، شاعرا ، له تصانيف كثيرة . نادم الخلفاء وسامرهم وغناهم من الرشيد حتّى المتوكل ، وكان أشهر ندما زمانه .

عمي قبل موته بسنتين ، ولما مات نعي إلى المتوكل الذي قال :

" ذهب صدر عظيم من جمال الملك ، وبهاء وزينته " (١) .

ب- آل المنجم (٢) :

بدأ اتصال آل المنجم بالبلاط العباسي أيام المنصور الذي اتخذ أبا منصور -

وكان مجوسيا - منجما له ، ثم اتصل ابنه يحيى بالمأمون منجما وندما ، فاختص به ، وأسلم (٣) . وبرز من هذه الأسرة :

١- انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٠٢ - ٢٠٥ ، والأغاني ٥ : ٢٠٤ ، ومعجم الأدباء ٦ : ٥٨ - ٥٠ .

٢- يلاحظ أن هذه الأسرة ورثت شهرة آل الموصلي .

٣- وفيات الأعيان ٦ : ٧٨ - ٧٩ .

١- علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم :

كان راوية للأشعار والأخبار، حاذقا في صناعة الغناء التي أخذها عن إسحق الموصلي، وكان قبل اتصاله بالخلفاء يلود بمحمد بن إسحق بن إبراهيم المصعبي، ثم اتصل بالفتح بن خاقان، وعمل له خزانة كتبه، واتصل بالمتوكل، وأصبح أشهر ندمائه، واستمر ينادم الخلفاء حتى وفاته أيام المعتمد، وكان مقدما عند الخلفاء يجلس بين أيديهم ويفضون إليه بأسرارهم، ويأمنونه على أخبارهم. صنّف عددا من الكتب، وهو أشهر ندماء آل المنجم الذين استمروا في الإتصال بالخلفاء من بعده.

ويلاحظ أنه كإسحق الموصلي جمع بين صناعة الغناء والموهلات التي تمكنه من ملازمة الخلفاء (١).

٢- هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم (ت ٢٨٨ هـ) :

أديب شاعر، ورواية للأشعار، ظريف، حسن المنادمة، لطيف المجالسة، وله مصنّفات (٢).

١- انظر وفيات الأعيان ٣: ٣٧٣-٣٧٥.

٢- انظر الفهرست ١: ١٤٤، ومعجم الشعراء ص ٤٨٥، ومعجم الأدباء ١٩: ٢٦٢، ووفيات الأعيان ٦: ٧٨-٧٩، والمستطرف ٢: ١٣، وزهر الآداب ١: ٢٢٠، ولم نجد في هذه المصادر ما يشير إلى اختصاصه بأحد الخلفاء أو ذوي السلطان.

٣- يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم:

متكلم معتزلي، وأديب وشاعر وإخباري . نادم الموفق وعددا من الخلفاء آخرهم
المكفي الذي علت رتبته عنده ، وله عدد من المصنفات (١) .

٤- أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم:

أديب شاعره وعالم فاضل ، وأحد رؤساء زمانه في علم الكلام وعلوم الدين ، وكان
على مذهب أبي جرير الطبري ، ويرى رأيه وينصر مذهبه ، اتصل هو وأخوه يوسف
بالراضي بالله ونادماه (٢) .

٥- علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم ، أبو الحسن :

مولده ووفاته ببغداد . كان شاعرا ، راوية ، متكلم ، ظريفا ، نادم الراضي بالله (٣) .
ويشار إلى أنه لم يرو لأبناء علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم وأحفاده
أي صنعة في الغناء ، إذ يلاحظ أن الشعر ، ورواية الأخبار والأشعار ، والفق ،

١- انظر ترجمته في معجم المؤلفين حيث يذكر مصادره .

٢- انظر معجم الأدباء ٥ : ١٤٦-١٤٧ .

٣- انظر وفيات الأعيان ٣ : ٣٧٥ .

وعلم الكلام ، قد غلب عليهم ، ولعلمهم رأوا أن المغني أصبح في طبقة دون طبقة الجليس أو النديم .

جزء - آل حمدون :

شاركت هذه الأسرة آل المنجم في منادمة الخلفاء ومجالستهم في الفترة الزمنية نفسها ، وبرز منها :

١- حمدون بن اسماعيل بن داود الكاتب:

رأس الأسرة، وأول من نادى الخلفاء من أهله ، اتصل بالمعتصم والمتوكل ، وله شعر ومصنّفات ، وتوفي بسر من رأى (١) .

٢- أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل ، أبو عبد الله بن حمدون:

شيخ أهل اللغة والأدب ، وأستاذ أبي العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، اختص بالمتوكل وناداه ، وقد غضب عليه ونفاه إلى تكريت ، ثم أعاده إلى خدمته ، ونادى بعده المستعين . وله مصنّفات (٢) .

١- أنظر ترجمته في الأعلام ٢: ٣٠٥ حيث يذكر مصادره . ولعلّ "حمدون" لقبه ، وإذا صحّ ذلك فيكون اسمه إبراهيم .

٢- انظر المصدر السابق ١: ٨١ حيث يذكر مصادره .

٣- عبد الله بن حمدون بن اسماعيل بن داود ، أبو محمد .

شطرنجي ، نادم المعتمد وخصّ به ، وكان من ثقاته ، كما نادم المعتضد ، وتوفي
في بغداد (١) .

٤- إبراهيم بن أبي العبيس بن أبي عبد الله بن حمدون ؛

أحد المشهورين بجودة الغناء ، وكان من ندماء الخلفاء (٢) .

٥- محمد بن عبد الله بن حمدون ؛

كان من ندماء الراضي بالله ، وكان يباري في الشرب بين يديه ، وقد غضب
عليه وحجبه عن مجالسه (٣) .

ويلاحظ أنّ هذه الأسرة عندما بدأت الإتصال بالخلفاء ومخالطتهم ، اتجهت
نحو التحديث ، فحمدون بن اسماعيل ، وأحمد بن إبراهيم بن اسماعيل ، كانا من

١- انظر معجم الأدباء ٢ : ٢١٢ .

٢- انظر المصدر السابق ٢ : ٢١٢ .

٣- انظر أخباره في " أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ .

العلماء والأدباء المصنّفين . ثم تحوّلت الأسرة نحو العمل الترفيهي ، فعبد الله ابن حمدون حذق النرد والشطرنج ، كما احترف إبراهيم بن أبي العبيس صنعة الغناء .

٦- أبو بكر محمد بن يحيى الصولي :

كان جدّه صول من دعاة بني العباس ، وهو أديب وراوية وكاتب ، وكان ألعاب زمانه بالشطرنج ، وبعض الناس يعتقد خاطئاً أنّه هو الذي وضعه . أخذ عن المبرد وثعلب وأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، وأخذ عنه الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) . أدب الراضي بالله وأصبح نديمه . وصنّف كثيراً من الكتب ، أشهرها كتاب الأوراق ، وله كتب صنّفت في أشعار المحدثين على حروف المعجم (١) .

ويمكن اعتباره استمراراً طبيعياً لأسرتي المنجم وحمدون ، لأنّه حذق العلوم والفنون التي أجادوها ، إلا الغناء ، ولعلنا نستطيع القول إنّ مهارته في الشطرنج تأثرت بما عرف عن اختصاص بعض رجال آل حمدون بهذه اللعبة ، ويمكن أن يكون ذلك هو الذي دفعه إلى إجادتها لينال ما نالوا من الحظوة ، ونظنّ أنّ هذا ساعده على

١- وفيات الأعيان ٤ : ٣٥٦ ، والفهرست ١ : ١٥٠ - ١٥١ .

ورائة شهرتهم لأن الشطرنج في زمانه أصبح من أدوات الترفيه الرئيسة في البلاط
العبّاسي .

- الملحق الثاني -

أثر الندوات والمجالس

على

الحركة الأدبية

الملحق الثاني

أثر المناديات والمجالسات على الحركة الأدبية

أ - كتب لندماء وجلساء مشهورين:

أسهم بعض الندماء والجلساء في تصنيف كتب تناولت الندماء والجلساء، ومجالسهم ونواديرهم، وقد ذكرت المصادر من هذه المؤلفات:

- كتاب: "مدح النديم" لعلي بن عبيدة الريحاني (ت ٢١٩ هـ) (١).
- كتب: "الندماء"، و"مناداة الإخوان"، و"المناديات" لإسحق بن إبراهيم الموصلبي (٢).
- كتاب: "الندماء والجلساء" لحمدون بن اسماعيل بن داود (٣).
- كتاب: "الإخوان والأصدقاء" لأبي العنيس الصيمري (٤).
- كتاب: "أدب الجليس" لمحمد بن يزيد العبردي (٥).

-
- ١- الفهرست ١: ١١٩ .
 - ٢- السابق ١: ١٤١ .
 - ٣- السابق ١: ١٤٤ .
 - ٤- السابق ١: ١٥٢ .
 - ٥- السابق ١: ٥٩ .

- كتاب: "الندما والجلساء" لعبيد الله بن أحمد بن خرداذبة (ت ٢٨٠ هـ)
نديم المعتد (١) .
- كتب: "أدب الملوك" ، و "المنادمة والمجالسة" و "زاد المسافر وخدمة الملوك" ،
و "الجلساء والمجالسة" لنديم المعتضد أحمد بن الطيب السرخسي
(ت ٢٨٦ هـ) (٢) .
- كتاب: "النديم" لجحظة البرمكي (٣) .
- كتاب: "مذاكرة النديم" لمحمد بن أحمد المغربي (ت نحو ٣٥٤ هـ) (٤) .
- كتاب: "أدب النديم" لأبي الفتح كشاجم .
- كتاب: "نظم السلوك في مسامرة الملوك" لإبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني (٥)
(ت ٣٨٨ هـ) .

ب- كتب أخرى حول المناديات والمجالسات لغير ندما أو جلساء:

وهناك مصنّفات أخرى تحدّثت عن الندما والجلساء تركها لنا الكتاب الأدباء،

-
- ١- الفهرست ١: ١٤٩ .
 - ٢- السابق ١: ٢٦٤ .
 - ٣- السابق ١: ١٤٦ .
 - ٤- معجم الأدباء ١٧: ١٢٩ .
 - ٥- السابق ١: ٢١٦ .

فعبد الله بن المقفع نقل عن الفارسية كتاب: "التاج في سيرة أنو شروان" (١) ، ولا يخلو هذا الكتاب على ما يعتقد من الحديث عن الندماء والجلساء الذين اتصلوا بملوك الفرس، كما أنه نقل عن الفارسية أيضا كتاب "آيين نامه" ، وهذا الكتاب كسابقه يمكن أن يكون قد تناول بعض آداب الندماء وتصرفاتهم . وله رسالة في "الصحابة" تحدث فيها عن صحبة السلطان . ولهذه الكتب أثرها في آداب المضامات ورسومها ، وفي الكتب التي عنيت بذلك .

ومن الكتب التي ذكرتها المصادر :

- كتاب: "أدب الإخوان" لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥هـ) (٢) .
- كتاب: "أخبار الندامى" لحمام بن إسحق الموصللي (ت نحو ٢٣٥هـ) (٣) .
- كتاب: "المنادمة وأخلاق الخلفاء والأمراء" لأبي العبد محمد بن أحمد بن عبد الله الهاشمي (ت ٢٥٠هـ) (٤) .
- كتابا: "الجلساء والندماء" و "نم الثقلاء" لمحمد بن خلف المرزيان (ت ٣٠٩هـ) (٥) .

-
- ١- الفهرست ١: ١١٨ .
 - ٢- السابق ١: ١٠٤ .
 - ٣- السابق ١: ١٤٣ .
 - ٤- السابق ١: ١٥٣ .
 - ٥- السابق ١: ١٤٩ ، ١٥٠ .

- كتاب "الشراب والمنادمة" لأحمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب (ت ٣١٢ هـ) (١)
- كتاب: "المتظرفات والمتظرفين" لعبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٣١٣ هـ) .
- كتاب: "أبواب الخلفاء" ومعناه من كان الخلفاء يأنسون به ويستشيرونه ويستعقلونه ويستعضدونه ، لمحمد بن أحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٤) (٢) .
- كتابا: "الموشى" و "أخبار المتظرفات" لمحمد بن أحمد بن إسحق الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) (٣) .
- كتاب: "حشوشاء الجليس" لقدامة بن جعفر (٤) (ت ٣٣٧ هـ) .
- كتاب: "المزخرف في الإخوان والأصحاب" لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني (٥) (ت ٣٨٤ هـ) .
- كتاب: "الجليس الكافي والأنيس الصالح الشافي" للمعافي بن زكرياء، ويعرف بابن طرار (٦) (ت ٣٩٠ هـ) .

-
- ١- الفهرست ١: ١٤٧ .
- ٢- السابق ١: ١١٠ .
- ٣- السابق ١: ٨٥ .
- ٤- السابق ١: ١٣٠ .
- ٥- السابق ١: ١٣٣ .
- ٦- وفيات الأعيان ١: ٣٢٤ . (موجود في الكتيبخانة الخديوية) .

- كتاب: "مجالسة الرؤساء" لمحمد بن أحمد الحرّون^(١) (ت ٣٩٠ هـ).
- كتاب: "المنادمين" لأبي أيوب سليمان بن أيوب المدني^(٢) (ت نحو ٤٠٠ هـ).
- كتاب: "الشعراء الندماء" لأحمد بن محمد المعروف بالمتيم الإفريقي^(٣) (ت نحو ٤٢٩ هـ).
- كتاب: "النديم" لأبي سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني^(٤) (ت ؟).

ج - مولّفات للندماء لها علاقة غير مباشرة بالمناديات .

تتوّعت مشاركة الندماء في حركة التآليف ، وقد كان لبعضها علاقة بمجالس المناديات .
ومن هذه الكتب :

- كتب: "الشراب" و "النغم والإيقاع" و "أخبار سعيد بن مسحج" و "أغاني معبد" وكتب أخرى تدور حول أخبار عدد من الشعراء ، وهي منسوبة لإسحق الموصلي^(٥) .
- كتاب: "أخلاق الملوك" لمحمد بن الحارث التغلبي (ت نحو ٢٥٠ هـ) الذي كان في جملة الفتح بن خاقان^(٦) .

-
- ١- الفهرست ١: ١٤٩ ، معجم الأدباء ١٧: ١٣٤ .
 - ٢- الفهرست ١: ٢٤٨ .
 - ٣- معجم الأدباء ٤: ١٨٨ .
 - ٤- الفهرست ١: ١٣٧ .
 - ٥- السابق ١: ١٤١ .
 - ٦- السابق ١: ١٤١ .

- كتب "الشعراء القدماء" والإسلاميين" و"إسحق الموصلي" و"الطبيخ" لعلي بن يحيى بن أبي منصور المنجم^(١) .
- كتب: "الشطرنج"^(٢) و"أدب الكاتب" و"أخبار أبي تمام" لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي^(٣) .

أخبار الندماء والمنادمات في التراث.

تناثرت أخبار الجلساء والندماء في المصادر العربية ، وهناك كتب عقدت فصولا تحدثت فيها عنهم ، فقد أفرد ابن النديم "الفن الثالث من المقالة الثالثة" من كتابه "الفهرست" لأخبار الندماء والجلساء ، حيث ذكر مؤلفاتهم^(٤) .

- وفي محاضرات الأدباء "للمراغب الأصبهاني فصل تحدث فيه عن الشراب والمنادمات^(٥) .
- وكذلك خصص الرقيق القيرواني فصلا عنهم في كتابه "قطب السرور"^(٦) .

-
- ١-وفيات الأعيان ٣: ٣٧٣-٣٧٤ .
 - ٢-الفهرست ١: ١٥٦ .
 - ٣-السابق ١: ١٥٠-١٥١ .
 - ٤-السابق ١: ١٤٠-١٥٦ .
 - ٥-محاضرات الأدباء ٢: ٦٦٨-٧٢٨ .
 - ٦-قطب السرور ص ٢٨٥-٣١٢ .

وقد حفل "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني بأخبارهم ونواديرهم ، وكذلك
العقد الفريد ، ومعجم الأدباء ، ونهاية الأرب ، ووفيات الأعيان ، ومرج الذهب
وزهر الآداب ، ونشوار المحاضرة (١) .

١- راجع . A. Chejne. The Boon Companion in Early Abbasid Times. Journal of the American Oriental Society
LXXXV, (1965) P, 329.

حيث يقدّر الكتب التي خصّصت بعض صفحاتها للحديث عن الندما
والجلساء .

- الملحق الثالث -

كتاب

أدب النديم

الملحق الثالث

- كتاب أدب النديم -

أ - ترجمة كشاجم

أبو الفتح محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك المعروف بكشاجم ،
فارسي الأصل ، من أهل الرملة بفلسطين . كان أديبا وشاعرا ومنجما ومن كتاب
الإنشاء . تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد ، ورحل إلى مصر أكثر من
مرة ، ثم استقر بحلب ، فكان من شعراء أبي الهيثم عبد الله والد سيف الدولة
الحمداني ، كما كان شاعر ابنه سيف الدولة . له ديوان شعر ، ومصنفات أخرى .
راجع ترجمته في الأعلام ٨ : ٤٣ حيث يذكر مصادره .

ب - كتاب "أدب النديم" لكشاجم .

كتاب صغير الحجم يقع في ثلاث وأربعين صفحة ، ويضم مقدمة وثلاثة عشر

بابا وخاتمة قصيرة .

يتحدث كشاجم في مقدمته عن سبب تأليفه فيقول : "إني وجدت من تقدم من
العلما وعني بتأليف الكتب من الأدباء قد جردوا بذكر الشراب كتباً ضمنوها من نعوت

أصنافه ، وأوصاف محرّمه ومحلّه ، وتبيين خصاله ولطائفه ، وحدود منافعه ومضارّه ،
وضروب ملاذّه ومسارّه ، وما استغرقوا فيه المعنى ، واستوفوا به المدى ، وأغفلوا
ذكر النديم بما يجب ذكره ، والتنبية على منزلته ، وموقعه وإفراده من القول ، بما
يبين عن فضله ويدلّ على محلّه إلا في جمل أدرجوها ، ولم يبسطوها ، ولمعني
أطراف الكتب غرقوها ولم يؤلفوها ، فأحببت أن أجرد في ذلك كتابا أفصله
وأبويه وأوفي كلّ معنى فيه حقّه وأضمّ إلى كلّ شكل شكله^(١) .

ثمّ يتحدّث عن مصادر مادّة كتابه ، ومنهجه في التأليف ، فيقول : " وأجمع
إلى ما تستطيعه القريحة أحسن ما وجدته في هذا المعنى ، متفرّقا في أمثال
الحكما ، ومنظم الشعرا ، ومنشور البلغا ، وأخبار الظرفا ، وأودعه من أدب
النديم ما لا يستغني عنه شريف ، ولا يجوز أن يخلّ به ظريف^(٢) .

ثمّ يحدّد الهدف منه فيقول : " ليكون منهجا واضحا لمن نظر فيه وإماما
يقندي به من وقع إليه^(٣) .

١- أدب النديم ص ٢-٣ .

٢- السابق ص ٣ .

٣- السابق ص ٣ .

وأبواب الكتاب هي :

- ١- باب مدح النديم وفضائله .
- ٢- باب أخلاق النديم وصفاته .
- ٣- باب التداعي للمنادمة .
- ٤- باب الشرب وكثرتهم وقتلهم .
- ٥- باب السماع .
- ٦- باب المحادثة .
- ٧- باب غسل اليد .
- ٨- باب إدارة الكأس .
- ٩- باب الإكثار والإقلال .
- ١٠- باب طلب الحاجة والاستماعة على النبيذ .
- ١١- باب هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه .
- ١٢- باب ما يلزم الرئيس لنديمه .
- ١٣- باب الأدب في الشطرنج .

ثم يلي ذلك خاتمة الكتاب .

وبعد أن يتحدّث في الباب الأول عن تسمية النديم ، يتناول الذين حرّموا النبيذ في الجاهلية مستشهدا بشعر بعضهم وأقوالهم ، ثم يعود إلى التماس أسباب

الولع بشره فيحدّدها بـ "اجتماع الشمل وأنس العنادمة وأريحية المذاكرة ، ولو انفرد
النبيذ بنفسه ، وحصل عليه وحده دون النديم المساعد ، والسماع المطرب ، وكان
الوعاء أولى به ، فقد تبين أنّ المعافر أفضل من العقار والنديم فائدة المدام" (١) .

وفي الباب الثاني يتحدّث عمّا يحتاج إليه النديم من المؤهلات التي تجعله
قادرا على مجالسة الرؤساء ، وينهي الباب بإبراز صفات النديم كجماله ومظهره ومروءته
داعما ذلك بالمأثور عن الندماء المشهورين (٢) .

ثم يوجز في الباب الثالث آداب التداعي للمنادمة ، مشيرا إلى العادات المكروهة
عند بعض الداعين ، وقد حمل ذلك على بخلهم ، وضرب مثلا لذلك بالداعي الذي يشترى
خروفا للدعوة ولا يذبحه إلا بعد حضور أصحابه فيتأخّر طعامه ، وينالهم من التنغيص
والتكدير ما يفسد الغاية من الدعوة . ولا ينسى كشاحم أن يتحدّث عن عيوب المدعو ،
كالتناقل عن إجابة الدعوة ، ويضرب مثلا وقع له مع صديق أخلّ بآداب الدعوة فألحق به
الجوع ، ويقدم شعرا لاذعا يعيبه ، منه :

١- الباب الأول ص ٣-٧ .

٢- راجع الباب الثاني ص ٧-١٢ .

”وأوحشت إخوانك المسعدين
وأضمرت للجوع أحشاءهم
فإن كنت تأمل أن لا تسب
فأنت وحقك عين الحمار”
ثم يورد أشعارا وأخبارا قصيرة في الدعوة والداعين دعواتهم القبيحة^(١) .

ويتناول في الباب الرابع عدد الشرب المتنادمين عارضا روايات وأشعارا
تصور أتم المجالس وأفضلها ، ويتحدث أيضا عن الشراب جيد وورديته ، مستشهدا
بأشعار أبي نواس ، والبحتري ، وعلي بن العباس الرومي (ت ٢٨٣ هـ) وشعره .
ويرى أن يسير الرائق الجيد من الشراب يعني على مقصر الطعام ، ويعلل تفضيله
لرائق الشراب بأن زمان المشاركة أطول من زمان المؤكلة^(٢) .

ويخصص الباب الخامس للغناء ، حيث يرى أن السماع الطيب يغني عن الطعام
والشراب لأن ” الغناء ” شي يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالح الجسم ،

١- الباب الثالث ص ١٢ - ١٧ .

٢- الباب الرابع ص ١٨ - ١٩ . ويلاحظ أن الحديث عن الشراب ليس له علاقة

بعنوان الباب ” باب الشرب وكثرتهم وقتلتهم ” .

كما أنّ لذة المأكول والمشروب تخصّ الجسم دون النفس^(١) . ثم يورد أقوال الحكماء في الغناء ، ويتحدّث عن فضله وفائدته . ويختم الباب شعرا ونثرا متناولا آداب الاستماع له^(٢) .

وينتقل في الباب السادس إلى المحادثة ، فيبيّن مكانها بين اللذات ، ثم يوضح آداب الاستماع للحديث ، ويشير إلى ضرورة اتّصاف النديم بالقدرة على التحديث ، ثم يعيّن صفات الأحاديث وآداب التحديث ، ثم يتناول الاختلاف حول الحديث عن الطعام ، ويتبعه بأمثلة لإساءة اختيار الأحاديث ، وهذا ما دفعه إلى الإشارة إلى ضرورة إجادة اختيار الأحاديث التي تتناسب ونفسية المستمعين له من الجلساء^(٣) .

وفي الباب السابع يوضّح الآداب المتّبعة في غسل اليد بحضرة الرئيس والندماء ، ويفضّل الإعتزال عند ذلك تخفيفا عن عيون الحاضرين^(٤) .

١- أدب النديم ص ٢٠ .

٢- الباب الخامس ص ١٩-٢٢ .

٣- الباب السادس ص ٢٢-٢٧ .

٤- الباب السابع ص ٢٤-٢٨ .

ثم ينتقل في الباب الثامن إلى آداب إدارة الكأس ويرى الإتفاق على ضرورة مناولة الشراب من الأيمن فالأيمن ، ويدعم آراءه بأشعار للجاهليين وأخبار أخرى (١) .

وفي الباب التاسع يتحدث عن فائدة افتتاح الشرب بالقده الكبير، ولكنه يشير إلى أن النديم ليس مختاراً فيما يشرب لأن الأغلب إجباره على الشرب، لأنهم يستثقلون امتناعه ، ولذلك تقال عشرته إذا سكره أما إذا كان هو الذي استدعى الشراب فتلزمه تبعة ما يقوم به ، ويشدد في نهاية هذا الباب على ضرورة تجنب الرئيس للسكر ، ويضرب أمثلة لما وقع فيه بعض الملوك نتيجة سكرهم (٢) .

وفي الباب العاشر يوضح آداب سؤال العطايا ، ويضرب أمثلة تبين ما يجب على النديم فعله سواً أكان على الشراب أم لم يكن (٣) .

١- الباب الثامن ص ٢٨ - ٢٩ .

٢- الباب التاسع ص ٢٩ - ٣٠ .

٣- الباب العاشر ص ٣٠ - ٣١ .

ثم يتحدّث في الباب الحادي عشر عن زيّ النديم مشيراً إلى أن ملوك العجم رسموا لكل طبقة لباساً ، معلّلاً الحكمة في ذلك ، ثم ينتقل فجأة إلى الحديث عن بعض واجبات النديم لرئيسه ، كالإسراع في الخطو في حضرته ، مشيراً إلى عادة بعض الندماء في التزام ذلك في كلّ المجالس حتى لا يخلّوا بذلك في حضرة رؤسائهم (١) .

ثم يتحدّث في الباب الثاني عشر عمّا يلزم الرئيس من واجبات لنديمه ، ويدور كلامه حول ضرورة الإنصاف في المفادمة حيث تستوي العشرة بين الرئيس وندمائه مشيراً إلى أن ذلك لا يحطّ في الرياسة . ويتخذ شعر أبي نواس والحسين بن الضحّاك دليلاً ليظهر موقفه من إنصاف النديم (٢) .

وفي الباب الأخير ينبّه إلى آداب النديم لاعب الشطرنج وصفاته ، ويتحدّث عمّا نستعمل في مجالس اللّعب من النوادر المدهشة التي يعتبرها عدّة اللّاعب ، ويبين مواضع استحسانها . ثم يورد أبياتاً في الشطرنج وبعد ذلك يتكلّم عن النرد ، وصفات لاعبيه ، ويقدم شعراً في ذمّه (٣) .

١- الباب الحادي عشر ٣٢ - ٣٤ .

٢- الباب الثاني عشر ٣٥ - ٣٨ .

٣- الباب الثالث عشر ٣٨ - ٤٣ .

ويختم الكتاب موضحاً الغاية منه متمنياً أن يكون ما قدمه "غاية الذي التمييز والفطنة وهداية إلى كريم الأخلاق في المنادمة"^(١).

ج - قيمة كتاب "أدب النديم"

الكتاب هو الأثر الوحيد المطبوع المخصص كله للحديث عن مجالس المناديات وآدابها^(٢). ويدور القسم الأكبر منه حول الآداب الخاصة بالندماء ومجالس المناديات، وصفات الجلساء الندماء وموهبتاتهم، وقد استطاع كشاجم أن يسخر شعره وما وقع له مع أصدقائه لخدمة كثير من أبوابه.

ويمتاز الكتاب باختصاره وإيجازه الشديدين، وبلغته السهلة وتبويبه.

١- أدب النديم : ٤٣ .

٢- جاء في " The Boom-Companion in Early Abbasid Times P. 329

للحديث
أن مخطوطة "رأسمال النديم" الموجودة في استانبول، خصصت/عن النديم .

- كشاف المصادر والمراجع -

كشاف المصادر والمراجع -

أ - العربية

- الأبشيهي شهاب الدين محمد بن منصور (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) • المستطرف في كل فن مستظرف • بولاق ١٢٧٢ هـ •
- الأزدي ، علي بن ظافر (ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) • بدائع البدائة • مطبوع على هامش "شرح شواهد التلخيص" المسمى "معاهد التنصيص" لأبي الفتح ^{عبد} الرحيم بن عبد الرحمن العباسي • القاهرة ، المطبعة البهية ١٣١٦ هـ •
- الأصفهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب (ت ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) • محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء • بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٦١ • ج ٢ •
- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) • الأغاني • القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٧ - ١٩٦١ • ١٦ ج •
- : الأغاني • حقق بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم • القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ - ١٩٧٣ • ج ١٧ - ٢١ •
- بروكلمان ، كارل • تاريخ الأدب العربي • ترجمة عبد الحليم النجار • القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ • ج ١ •

ابن بكار، أبو عبد الله الزبير بن عبد الله (٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) جمهرة نسب
قريش وأخبارها • تحقيق محمد محمود شاكر • القاهرة، مكتبة دار العروبة،
١٩٦١ ج ١ •

البهقي، إبراهيم بن محمد (ت نحو ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) • المحاسن والمساوي •
تحقيق فريدريك شوالي • ليينغ ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م •

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) • سنن الترمذي •
شرح ابن العربي • بولاق، ١٢٩٢ هـ •

التنوخسي، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) • المستجدات من فعاليات
الأجواد • تحقيق محمد كرد علي • دمشق مطبعة الترقى، ١٩٤٦ •

— : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة • تحقيق عبود الشالجي • بيروت، ١٩٧١ هـ —
١٩٧٣ ج ٨ •

ابن ثابت، حسان (ت ٥٤ هـ / ٦٧٤ م) • ديوان • بيروت، دار صادر، ١٣٨١ هـ /
١٩٦١ م •

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) • البيان والتبيين • تحقيق عبد السلام
هارون • القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٨ م — ١٩٤٩ م •
— : التاج في أخلاق الملوك • تحقيق أحمد زكي باشا • القاهرة، المطبعة الأميرية،
١٩١٤ م (منسوب للجاحظ) •

الجاحظ، عمرو بن بحر: تنبيه الملوك والمكائد • مخطوط مصور على "ميكروفلم" محفوظ في مكتبة الجامعة الأميركية، نقلًا عن نسخة دار الكتب المصرية في القاهرة. (منسوب للجاحظ) •

- : الحيوان • تحقيق عبد السلام هارون • القاهرة، ١٩٣٨ • ج ٧ •
- : المحاسن والأضداد • الطبعة الأولى • القاهرة، مطبعة الفتح الأدبية، ١٣٣٢ هـ • (منسوب للجاحظ) •

الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس بن عبد الله (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٣ م) •
الوزراء والكتاب • تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ •

إبن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) • أخبار الظراف •
والمتماجنين • تحقيق محمد بحر العلوم • الطبعة الثانية، النجف الأشرف، مطبعة الغربي الحديثة، ١٣٦٨ هـ / ١٩٦٧ م •

إبن حبيب، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م) • المحبر • تحقيق إيلزة ليختن شتير •
حيدرآباد الدكن، مطبعة جمعية المصارف العثمانية، ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م •

إبن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) • فتح الباري •
بشرح البخاري • القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، ١٩٥٩ م •

إبن حجر، عمرو القيس (ت ٥٤٥ م) • ديوان • بيروت، دار صادر، ١٩٥٨ •

- الحصري القيرواني ، أبو إسحق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠ م) • جمع الجواهر
في الملح والنوادر أو ذيل زهر الآداب • تحقيق علي محمد البجاوي • القاهرة،
دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٣ م •
- زهر الآداب وثمر الألباب • تحقيق علي محمد البجاوي • الطبعة الأولى • القاهرة،
دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م •
- ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) •
وفيات الأعيان • تحقيق إحسان عباس • بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٠ - ١٩٧٢ م •
- ابن الداية ، أبو جعفر أحمد بن يوسف (ت نحو ٣٤٠ هـ / ٩٥٢ م) • المكافأة • تحقيق
أحمد أمين وعلي الجارم • القاهرة ، بولاق ، المطبعة الأميرية ، ١٩٤١ م •
- الرقيق ، إبراهيم بن القاسم (ت نحو ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) • قطب السرور في أوصاف الخمور •
تحقيق أحمد الجندي • دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٩ •
- الرومي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) • معجم البلدان •
بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٥ - ١٩٥٧ م •
- معجم الأدباء • تحقيق أحمد فريد رفاعي • القاهرة ، ١٩٣٦ - ١٩٣٨ م •
- الزبيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م) • نسب قریش •
تحقيق أ. ليفي بروفنسال • القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٣ •
- الزركلي ، خير الدين • الأعلام • الطبعة الثانية • القاهرة ، مطبعة كونستانتينوس ،
١٩٥٤ - ١٩٥٩ م •

- السجستاني ، محمد بن طاهر بن بهرام (ت نحو ٢٧٢ هـ / ٩٨٣ م) . صوان الحكمة .
مخطوط في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ، رقم MS. 921.9 S15KA
- إبن سعد كاتب الواقدي ، محمد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) . الطبقات الكبير . تحقيق إدوارد
سخو . ليدن هيريل ، ١٣٢١ هـ - ١٣٢٢ هـ .
- إبن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م) . كشز الحفاظ في كتاب
تهذيب الألفاظ . تحقيق لويس شيخو . بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٥ م .
- الشابستي هلي بن محمد (٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) . الديارات . تحقيق كوركيس عواد . بغداد ،
مطبعة المعارف ، ١٩٥١ م .
- الصابي ، أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) . رسوم دار الخلافة .
تحقيق ميخائيل عواد . بغداد مطبعة العاني ، ١٩٦٤ م .
- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٧ م) . أخبار الرازي بالله والمتقي لله .
عني بنشره ج . هيورث دن . القاهرة ، مطبعة الصاوي ، ١٩٣٥ م .
- أشعار أولاد الخلفاء . نشر ج . هيورث دن . القاهرة ، مطبعة الصاوي ،
١٩٣٦ م .
- ضيف ، شوقي . تاريخ الأدب العربي . الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار المعارف ،
١٩٦٦ م ، ج ٣ .
- إبن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) . الفخري في الآداب
السلطانية . عني بنشره يوسف توما البستاني . القاهرة ، المطبعة الرحمانية ،
١٣٣٩ هـ .

العامري ، أبو الحسن محمد بن يوسف (ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) . السعادة والإسعاد في
السيرة الإنسانية . انضمام قدمت وفهارس بكتابت ومباشرت هجبتى مينوي ،
ويسبادن ، ١٣٣٦ هـ . ش / ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ . انتشارات دانسكاه طهران ،
٤٣٥ .

العاملي ، بهاء الدين محمد بن الحسن (ت ١٠٣١ هـ / ١٦٢٢ م) . الكشكول . تحقيق
أحمد ظاهر الزواوي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦١ م .
- : المخلاة . الطبعة الأولى . القاهرة ، المطبعة الأدبية ، ١٣١٧ هـ .
إبن العبد ، طرفة (ت ٥٦٤ م) . ديوان . تحقيق علي الجندي . القاهرة ، مكتبة
الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ م .

إبن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) . بهجة المجالس
وأنس المجالس وشحد الذهن والهاجس . تحقيق محمد مرسي الخولي ومراجعة
عبد القادر القط . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٢ م .
سلسلة تراثا .

إبن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م) . العقد الفريد . تحقيق أحمد
أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري . القاهرة ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ،
١٣٥٩ هـ ، ١٩٤٠ م - ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٩ م .

عهد أردشير . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، دار صادر ، ١٩٦٧ .
إبن غوث ، الأخطل غياث (ت ٩٠ هـ / ٧٠٨ م) . ديوان . تحقيق انطوان الصالحاني ،
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٩ م .

الغزولي ، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م) . مطالع

البدور في منازل السرور . الطبعة الأولى . القاهرة ، مطبعة إدارة

الوطن ، ١٢٩٩هـ - ١٣٠٠هـ .

القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م) . الأمالى . القاهرة ،

مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م .

- : ذيل الأمالي والنوادر . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٤هـ /

١٩٢٦م .

إبن قتيبة ، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) . الشعر والشعراء . الطبعة

الثانية ، تحقيق مصطفى السقا . القاهرة ، مطبعة المجاهد ، ١٣٥٠هـ .

- : عيون الأخبار . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م -

١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م .

القرآن الكريم .

القلقشندى ، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) . صيح الأعشى في صناعة الانشاء .

نسخة مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية في القاهرة ، ١٩٦٣م .

إبن قيس ، الأعشى ميمون (ت ٦٢٩م) . ديوان . تحقيق غاير . شرح

وتعليق محمد محمد حسين . بيروت ، المكتب الشرقي للتوزيع والنشر ، ١٩٦٨م .

كحالة ، عمر رضا . معجم المؤلفين . دمشق ، مطبعة الترقى ، ١٩٥٧ - ١٩٦١ .

كرد علي ، محمد . رسائل البلغاء . القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٤م .

كشاجم ، أبو الفتح محمود بن الحسين (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) أدب النديم • بولاق ، المطبعة

الأميرية ، ١٢٩٨ هـ •

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) • الأحكام السلطانية •

القاهرة ، ١٢٩٨ هـ •

- : أدب الدنيا والدين • تحقيق مصطفى السقا • الطبعة الثالثة : القاهرة ،

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٩٥٥ م •

متز ، آدم • الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري • ترجمة محمد عبد الهادي

أبو ريدة • القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر • ١٩٤٠ - ١٩٤١ م •

محمد ي ، محمد • الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الإسلامية الأولى • بيروت ، منشورات

قسم اللغة الفارسية وآدابها في الجامعة اللبنانية ، ١٩٦٤ م ، ج ١ •

المرزبانسي ، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) • معجم الشعراء • تحقيق

عبد الستار أحمد فرّاج • القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٠ م •

- : الموشح • تحقيق علي محمد البجاوي • القاهرة ، دار نهضة مصر ،

١٩٦٥ م •

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ / ٩٥٦م) • التبيه والإشراف • تحقيق

دوغويه • ليدن ، بريل ، ١٨٩٣ م •

- : سراج الذهب ومعادن الجواهر • تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد •

الطبعة الرابعة • القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م •

- مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) • جاويدان خرد • تحقيق
عبد الرحمن بدوي • القاهرة • مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٢ • دراسات
إسلامية (١٣) •
- إبن المعتز ، عبد الله (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) • طبقات الشعراء • تحقيق عبد الستار أحمد
فراج • القاهرة • دار المعارف ، ١٩٥٦ م • ذخائر العرب (٢٠) •
- إبن المقفع ، عبد الله (ت ١٤٢ هـ / ٧٥٩ م) • كلیلة ودمنة • تحقيق طه حسين وعبد الوهاب
عزّام • القاهرة • مطبعة المعارف ، ١٩٤١ م •
- إبن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) •
لسان العرب • بيروت • دار صادر ، ١٩٥٦ •
- نجم ، محمد يوسف • صور من التمثيل في الحضارة العربية من الكّج حتى المقامات •
آفاق عربية ، ص ٣٤٣ ، ت ١٩٧٧ م •
- إبن النديم ، محمد بن اسحاق (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م) • الفهرست • تحقيق غوستاف فلوجل •
لبنين ، ١٨٧١ - ١٨٧٢ م •
- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م) • نهاية
الأرب في فنون الأدب • القاهرة • دار الكتب المصرية ، ١٩٢٣ - ١٩٥٥ م •
- إبن هانسي ، أبو نواس الحسن (ت ١٩٨ هـ / ٨١٤ م) • ديوان • بيروت • دار صادر ،
١٩٦٢ م •
- الوشاء ، أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م) • الموشى • تحقيق
رودولف أ. برونو • ليدن • مطبعة بريل ، ١٣٠٢ هـ •
- إبن يزيد ، الوليد • ديوان • جمع وترتيب ف. جبريالي • تقديم خليل مردم بك • دمشق • مطبعة
ابن زيدون ، ١٩٣٧ م •

- Chejne, Anwar. The Boon - Companion in Early Abbasid Times.
Journal of the American Oriental Society,
LXXXV, 327-335, 1965.
- Crawley, Alfred Ernest. Dress, Drinks and Drums. London, Methuen,
1931.
- Diehl, Charles. Byzantium: Greatness and Decline. Translated from
the French by Naomi Walford. New Jersey, Rutgers
University Press, 1957.
- Psellus, Michael. Fourteen Byzantine Rulers. Translated by E.R.A.
Sewter. Baltimore, Penguin Books, 1966.
- Runciman, Steven. Byzantine Civilization. London, Edward Arnold
and Co., 1933.

<u>صفحة</u>	<u>الفهرست</u>
٢ - ١	تمهيد
٥ - ٣	المقدمة
١١٧ - ١	الفصل الأول:
	- مفهوم النديم
	- تاريخ المنادات
١١٨ - ١٩٣	الفصل الثاني:
	- صفات الندما* والجلسا*
	- وأخلاقهم وتصرفاتهم *
١٩٤ - ٢١٦	الفصل الثالث:
	- دور الندما* والجلسا* في البلاط
	- الملاحق:
٢١٧ - ٢٢٥	- الأول : تراجم مشاهير الندما* والجلسا*
	عند الأمويين والعباسيين
٢٢٦ - ٢٣٢	- الثاني : أثر المنادات والمجالسات
	على الحركة الأدبية
٢٣٣ - ٢٤١	- الثالث: كتاب أدب النديم
٢٤٢ - ٢٥١	كشاف المصادر والمراجع:
٢٥٢ *	فهرست :